

علامة السيد محمد تقى المدرسي

# البعض من ملامح





العلامة السيد محمد تقى المدرسي

# البعث الاسلامي

المراكز الثقافية الإسلامية



مكتبة لسان العرب

[www.lisanarab.com](http://www.lisanarab.com)

رابط بديل [lisanerab.com](http://lisanerab.com)

اسم الكتاب: البعث الإسلامي

المؤلف: العلامة محمد تقى المدرسي

الناشر: المركز الثقافي الإسلامي

الطبعة الأولى

التاريخ: ربیع الثانی ١٤٠٤ھ / یناير ١٩٨٤ م

## المقدمة

# بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآلـه الطـاهـرـين ..

في شهر الله الفضيل، شهر رمضان المبارك، وفي خضم صراع المؤمنين مع قوى الجاهلية والنفاق، على امتداد العالم الإسلامي، كنا نجتمع وثلة من المؤمنين، لنقلـيـةـ اـحـادـيـثـ فيـ اـسـتـراتـيـجـيـةـ الـاصـلـاحـ فيـ أـمـةـ مـحـمـدـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ). وقد وفقـناـ اللـهـ سـبـحـانـهـ لـالـقـاءـ سـنـةـ وـعـشـرـينـ حـدـيـثـاـ، فيـ هـذـاـ الـحـقـلـ، وـكـانـتـ تـذـاعـ عـبـرـ الـأـثـيرـ. ماـ اـثـارـتـ حـاسـ بـعـضـ الـأـخـوـةـ لـلـمـبـادـرـةـ بـكـاتـبـهاـ وـتـصـحـيـحـهاـ وـمـنـ ثـمـ اـعـدـادـهاـ لـلـنـشـرـ.

والآن حيث طلب مني كتابة تقديم لها بعد سنة ونصف، ارى أشياء كثيرة قد تغيرـتـ فيـ الـعـالـمـ وأـكـثـرـهـ تـدـعـمـ الـأـفـكـارـ الـمـطـرـوـحةـ فيـ تـلـكـ الـأـحـادـيـثـ.

واسـأـلـ اللـهـ أـنـ يـغـفـرـ لـنـاـ تـقـصـيرـنـاـ وـانـ يـجـعـلـ مـسـتـقـبـلـنـاـ خـيـراـ مـنـ مـاضـيـنـاـ. وـانـ يـدـخـرـ لـنـاـ صـالـحـ أـعـمـالـنـاـ لـيـومـ لـاـ يـنـفـعـ فـيـهـ مـاـ لـاـ بـنـونـ الـأـلـاـ مـنـ اـتـىـ اللـهـ بـقـلـبـ سـلـيمـ.

محمد تقى المدرسي

ـ ١٤٠٤ / ٤ / ١٠

١٩٨٤ / ١ / ١٤

٢٠١٥

٢٠١٥



## الفصل الاول:

- منطلقات الثورة الاسلامية
- ما هي الثورة؟
- الاسلام والارادة الثورية
- برمجة الثورة الاسلامية
- النظرية العلمية في الثورة الاسلامية



## منطلقات الثورة الاسلامية

### كلمات في البدء

● لكي نتعرف على ماهية الثورة الاسلامية وشروطها الذاتية والموضوعية لابد لنا من استنطاق المصادر الاصلية واستقاء افكارنا من منابعها الصافية. ذلك ان فهم أي مبدأ لابد أن يكون عبر منهاجه، وانطلاقاً من قواعده الفكرية ومنطلقاته الفلسفية، ولا يمكن ان ندرس فلسفة بمنهج علمي تطرحه فلسفة اخرى وكذلك الاسلام لابد ان يعرف بمنهجه وبفهم الاطار العام الذي يطرحه للحياة ولا يمكننا ان ندرك نظر الاسلام الى الثورة من دون ذلك.

وبصائر القرآن واصحة حول الانسان والحياة مما يشكل اطاراً لفهم النظرية الاسلامية في الثورة، فالاسلام يرى ان هذا الكون بربابته وبما يحتويه من المجرات الهائلة خلوق لله ابدعه بارادته وطبق موازين العدل الاهي، فالارض اشترت بنور ربها والسموات امسكها بيده وهي مطويات بيمنيه.

\*[وما قدروا الله حق قدره والارض جمعاً قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمنيه سبحانه وتعالى عما يشركون]\*

فالكون ليس صدفة جاء بلا سبب و ينطفيء يوماً ما بلا مبرر معقول . و حرارة الكون - كوجوده- لا تخضع للصدفة (كما يزعمون) بل هي سنة ثابتة دائمة وفق حسابات دقيقة الى ان يشاء الله ربها ، وهذه السنة لن تتغير ولن تتحول ولن تتناقض .

\*[فلن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله خويلا]\*  
— ٤٣ / فاطر —

و كل شيء في الكون خاضع لتلك السنة لا يحيد عنها و يعبر القرآن عن ذلك بقوله تعالى:

\*[يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدس]\*  
— ١ / الجمعة —

\*[ولله يسجد ما في السموات وما في الارض]\*  
— ٤٩ / النحل —

فكل شيء يسعى ليتمحور حول مركز التوحيد حول النور الأبدى الذي لا يوصف ولا يحدد ولا يؤقت ولا يؤئن ولا يكيف وهو:

\*[الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم]\*  
— ٣٥ / النور —

تلك هي سنة الكون، ييد ان الانسان ذا النفس الامارة بالسوء، والشيطان الموكل بالنفس قد يشذ بها عن قاعدة التوحيد، قاعدة الطاعة المطلقة لله سبحانه و الا فالانسان بوصفه ظاهره كبقية ظواهر الطبيعة مخلوق لله و وبالتالي يجب ان يسير وفق

سنن الله وتقديره في جانبه الارادي، كما في جانبه البيولوجي ومع هذا لا نستطيع أن نقول ان الانسان كله شاذ في عالم الطبيعة، انا بعد من الانسان وهو بعد الذي يتعلق بالجانب الارادي فقط، وحتى هذا البعد لا يشذ مطلقاً واما في اطار المحددات الثلاثة التالية:

- ١- بعض الناس يبعدون الله وحده.
- ٢- البعض الذي يعبد الله لا يمكن أن يستمر في كفره أبداً اما يكفر بالله بعض الوقت ريثما ينجلي عن عقله فيثوب الى رشدته.
- ٣- البعض الذي يتبرد على فطرته فيبقى على كفره في حياته فهذا يعاد قسراً الى عبادة الله في الآخرة حيث يكتشف الحقيقة وينسجم مع المسيرة العامة للكون. وكل هذه الاصناف ينالون هنالك الجزء الواقف الذي يتظارهم.

في هذا الاطار من المسئولية نفهم ان مهمة الانسان في الحياة هي طاعة الله والخضوع لسننه في جوانبها التشريعية والفلسفية. وهذه المهمة لازمة للانسان بمعنى أنه لا يستطيع الفكاك منها بأي حال من الاحوال فقد يتخلى عن بعض جوانب المسئولية هذه لبعض الوقت ولكن سرعان ما يجد نفسه عند الله ليوفيه حسابه، ويعود بالقوة الى سنة الله وملكته قدره.

وهنا نصل الى النقطة المهمة التي تتصل بالثورة في المفهوم الاسلامي، فمن هذه البصيرة الاسلامية المتكاملة تنبثق نظرية الثورة.

## الثورة في الاسلام

على ضوء ما سبق يمكننا تعريف الثورة في الاسلام بأنها تصحيح مسيرة الانسان واعادته الى النظام، الى سنن الفطرة والحياة لينسجم معها ويقطف ثمار الانسجام هذه عاجلاً أو آجلاً وبكلمات اخرى اعادة الانسان المنحرف الشاذ عن قاعدة التوحيد في عالم الخلائق الى حظيرة الامان.

\*[وان هذا صراطي مستقىما فاتبعوه ولا تبتوا السبيل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم  
وضاكم به لعلكم تتفون]\*

—١٥٣/الانعام—

وعليه يجب ان يعاد الانسان الى الصراط المستقيم والى مجموعة البرامج والمناهج  
التي يقوم عليها الكون بكل ابعاده وعملية الاعادة هذه هي الثورة بل هي الرسالة،  
فهدف رسالات السماء اما هو تصحیح مسيرة الانسان وهذه هي نظرية الحق الالهية  
التي وردت في القرآن:

\*[الم ترأن الله خلق السموات والارض بالحق]\*

—١٩/ابراهيم—

اذ ان كل شيء قائم على اساس ونظام معين هو «الحق» والشذوذ عنه «باطل»  
والاعادة الى ذلك النظام تعتبر في منطق الاسلام «ثورة» انطلاقاً من هذه النظرية  
فانه من الواضح ان الثورة في الاسلام ليست فوضى بل عودة الى النظام، واما الفوضى  
هي تلك الحالة من الشذوذ التي يبحن اليها الانسان احياناً انسياقاً وراء اهوائه او  
لعجزه وجهله، فتلك الحالة «باطل».

\*[وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً]\*

—٨١/الاسراء—

وربما كانت كلمة «زهوقاً» تعني فيما تعنيه المتناثر والغير مرتب بنظام، كما ورد  
في آية أخرى:

\*[ولا تطع من اغفلنا قبله عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً]\*

—٢٨/الكهف—

يعني متناثرا فوضويا، فالثورة في الاسلام تعني اذن اعادة الانسان الى النظام

والشاذ الى القاعدة والباطل الى الحق، اذ ليس ككل هدم ثورة، ولا كل اضطراب وهيجان ثورة، لان الثورة نابعة من صميم النظام وما يدعيه المنحرفون (الطغاة) أنه نظام، ليس كذلك، لان نظامهم الذي يزعمونه هو شذوذ عن مسيرة الكون، ولذلك فهو فوضى وليس نظاما.

وهذا الاستنتاج يهدينا بدوره الى بعد آخر للثورة وهو ان الثورة مترجمة ذاتياً منذ بدايتها، فالثورة الاسلامية لا تدعو الناس الى شيء مجهول وغير معقول، لا تأمرهم بالتحرك ثم بعد ذلك تدعوهم ليجلسوا و يبرمجوا الامور.. أبداً أنها تدعوهم الى برنامج منذ اللحظة الاولى، وكل خطوة يقطعها الناس في طريق الثورة الاسلامية اما لبرنامج معد سلفاً وكل الخطوات قائمة على اساس برنامج الاسلام.

ينبغي على واقع الانسان ان ينسجم مع الكون وعالم الطبيعة. وان اي شذوذ بحاجة الى ثورة لاعادة المياه الى مجاريها وهذا معنى عدم مهادنة الاسلام لأي انحراف، وهو مغزى تاكيد القرآن الكريم لانبياء الله عليهم الصلاة والسلام ان لا يتنازلوا عن ذرة من مبادئهم مهما اصابهم لان الباطل محدود الأجل بينما النصر للحق، فالعواقب محدودة زمانية كانت أو مكانية، وهذا يعني ان الباطل لا يمكن ان ينمو بينما (ما كان لله ينفع) لذلك على صاحب الرسالة ان لا يأبه لما تعترضه من صعاب آنية.

## الثورة على الطاغوت

ان الثورة الاسلامية تعني بلغة السياسة ان الانسان اذا تسلط على الغير بالقوة وفرض سيطرته على الآخرين بالقهر فذاك هو «الطاغوت» الذي لابد من اشعال الثورة ضده حتى يتم تحطيمه واسقاطه. والطاغوت هو من يطغى بنفسه مستكراً على سنته ربه وفطره وطبيعته و يريد حفنة من الآخرين ان يسايروه في طفواه، ليفرض بعد ذلك على الناس طاعته واتباع فلسفته وتشريعه وثقافته عن سنة الله التي قرد عليها،

لتحویل ولائهم له ومن ثم الشرك بالله والانفلات من توحیده سبحانه في الخلق والتشريع والعبادة والسلوك. فالثورة اذن لاسقاط الطاغوت، ولقد أمرت آيات كثيرة الناس بالثورة على الطاغوت، ولكن الآية ٣٦ من سورة النحل تتضمن هذا المفهوم بكثير من الشمولية، يقول تعالى:

\*[ولقد بعثنا في كل امة رسولاً ان اعبدوا الله. واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلاله فسيراوا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين]\*

— ٣٦ / النحل —

ان الهدف الذي يحمله الانسان —الرسول العابد لله— ان يكون ثائراً في وجه الطاغوت حتى اسقاطه، لأن اجتناب الطاغوت في الآية في مقابل عبادة الله، وهذا يعني: ان من يعبد الله لا يمكن ان لا يكون ثائراً، واجتناب الطاغوت لا يعني عدم الرضوخ له، وذلك بالهرب بعيداً عن الطاغوت، واما اجتناب الطاغوت يعني الا زالة تماماً، كقولنا اجتناب النجاسة يعني ازالتها والطاغوت عند الله احقر من النجاسات لانه اكثر قذارة، كما تزيل البول اذا اصاب جسمك، لأن الله يأمرك باجتناب النجاسات كذلك الأمر إذا تفشي في المجتمع نظام طاغوتي فان المجتمع مطالب باجتناب الطاغوت، وذلك بالتطهر من دنسه ورجسه، اذن فاجتناب الطاغوت بحد ذاته عبادة لله، والله بعد ذلك يهدد (ومنهم من حقت عليه الضلاله فسيراوا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) وهذا ما سنعود الى تفصيله بعد حين.

## ● منطلق الثورة في الحقل الثقافي

ماذا يقول القرآن ازاء سيطرة الطاغوت ثقافياً والارهاب الفكري بكل اشكاله من الغزو الثقافي والتحذير والتبرير وما الى ذلك.

ان القرآن الكريم يهتف بنا قائلاً:

\*[الم ترالي الذين أتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجحث والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً]\*

— ٥١ / النساء —

ان الذين أتوا نصيبا من الكتاب هم رجال العلم والمشفون ورجال الفكر فالعالم مهما كانت مكانته أو صفتة ينبغي له ان يكون بعيداً عن «الجحث» أي المصلحة والأنانية والوصولية ولا يخفى ان هوى النفس وحب الدنيا وشهوة الرئاسة ان عرفت سبيلا الى رجال العلم والفكر فان ذلك معناه الواقع فريسة في شباك الطاغوت، والعلم التابع لسياسية الطاغوت هو نوع من الثقافة التي تفرزها السياسية المنحرفة الباطلة، والثورة على الطاغوت هنا هي بالذات العودة الى الثقافة السليمة والعودة الى الولاء الصحيح.

من ناحية أخرى ان رجل العلم الذي رضي لنفسه بان يصبح «برغياً» في آلة الطاغوت — تحت ضغط الهوى والشهوات — هو نفسه عالم السوء الذي علينا ان نجتنبه ونثور عليه كما نجتنب الطاغوت نفسه ونثور عليه. ان الخصوص للثقافة الطاغوتية امتداد للرضوخ القسري للسياسة الطاغوتية.

وهذا بدوره يقود الى الشرك بالله وكيف تجتمع عبادة الله مع ثقافة شركية.

لا يمكن ان يدعي احد أنه يعبد الله في ظل الثقافة الجاهلية، أجل ان عبادة الله في ظل هذه الثقافة تعني «الثورة الثقافية» ولا ضير مادمنا واعين لدورنا فان الحديث الشريف صريح في ذلك، حيث يقول:

■(من استمع الى ناطق فقد عبده، فان كان الناطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان، وان كان الناطق عن الرحمن فقد عبد الرحمن)

ورجل العلم بخصوصه واستسلامه للطاغوت تحول الى وسيلة رخيصة بيده منذ ان قبل بعبادة الطاغوت واشرك بالله رغم علمه ورغم نور العلم.

وبالتالي على الانسان ان يبتعد عن هذا النوع من العلماء الذين ينطقون عن الشيطان (الطاغوت) وليس عن الرحمن، كما على المرء ان يكون في حصانة من تأثيراتهم السلبية المنحرفة، فقد قال عزّ من قائل:

\*[والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانبوا الى الله هم البشرى فبشر عباد \* الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اوئلک الذين هداهم الله واولئلک هم أولوا الالباب]\*

—/١٧،١٨ الزمر—

ولأن كانت الآية الاولى (٥١/ النساء) قد وردت بحق رجال العلم والعلماء فان هذه الآية قد وردت بشأن الجماهير المؤمنة الذين لا يخضعون للثقافة الطاغوتية لأن الخضوع لثقافة الطاغوت فقدان للاستقلال العلمي والثقافي وهذا بدوره مدعوة للضلاله والانحراف.

لذلك فالثورة في ميدان العلم هي رفض ثقافة الطاغوت وعلماء الطاغوت ولا يحدث ذلك بالطبع الا بالثورة السياسية، لأن الخضوع سياسياً للطاغوت يفرض التبعية له في المجال الثقافي والعلمي، من هنا لا يتم نسف النظام الثقافي الطاغوتي الذي يؤدي الى استضعاف الانسان واذلاه وسلب حقوقه، الا عن طريق نسف النظام المستبد برمته، كيلا يبقى العلم قمراً يدور في فلك السياسة او الاقتصاد او القوى الاجتماعية واما يكون العلم لله، فقد جاء في الحديث:

■(من تعلم لله وعمل لله وعلم لله دعى عند الله عظيماً)

انه يطرح برنامج الاسلام في الثورة الثقافية بكل ايجاز ووضوح.

## ● منطلق الثورة في الحقل الاقتصادي

ان الاقتصاد دعامة قوية من دعائم المجتمع وركيزة اساسية في أي نظام،

والاسلام كنظام تشرعي لم يغفل هذا الجانب فقد أوضح سنت الله الكونية والتشريعية في عالم الاقتصاد اذ يقول تعالى:

\*[وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتَجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُنَّ لَا يُظْلَمُونَ]\*  
—الجاثية/٢٢—

أو كما يقول عز من قائل:

\*[وَانَّ لِيَسْ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ \* وَانَّ سَعْيَهُ سُوفَ يُرَىٰ]\*  
—النجم/٤٠، ٣٩

فسنة الله اذن هي ان الانسان لا يملك الا جهده وللآخرين جهودهم، وما زاد عن جهد المرء فهو سرقة من جهود الناس، ورغم ان بعض التفسيرات التي وردت للآياتين الكريتين خصتها بما يتصل بعالم الآخرة، وهذا صحيح الا ان عالم الآخرة ما هو إلا نتيجة لعالم الدنيا أو امتداد له، فالحديث الشريف يؤكّد ان:

■(الدنيا مزرعة الآخرة)

في الدنيا عمل وزراعة، وفي الآخرة جراء وحصاد.

وهذا هو الحق الذي موجبه خلق الله السموات والارض ويعتضاه لا يحق للانسان ان يسرق منه، كما لا يجوز ان يُسرق، وكما ان له حقوقاً على المجتمع كذلك عليه حقوق، ورجل المال عليه ان يشارك في الثورة ومسؤولياتها، حسب الحد الشرعي وحسب تشبع الفرد بقيم الثورة والايثار فمن غير المعقول ان يكتنز الفرد المال ولا يقوم بواجباته المالية، ليس من السليم أن يتصرف الفرد في المال تصرفات لا مسئولة، تضر به - كفرد - وتضر بالمجتمع فتضييع بذلك الاهداف المشروعة في سياسة المال.

ان المال يجب ان يكون في خدمة حركة المجتمع، فاذا انحرف الفرد في توظيف

ماله ضمن هذا الأطار فعلى المجتمع أن يضع يده على المال ويعنده من التصرفات الشاذة، وذلك طبقاً لما نطق به القرآن الحكيم:

\*[ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً]\*

—٥/ النساء—

فالمال من المجتمع والى المجتمع، وسيلة للتنمية وتبادل الجهد والتعاون البناء من أجل رفاه الإنسان، ومن أجل عبادة الله وبالتالي فهو في سبيل الله، وهذه هي سنة الله في المال النسجمة مع السنن الكونية.

اما ان كان المال وسيلة للاستغلال والسيطرة والتبذير او حتى للكنز بخلاً به فانه ليس قياماً وحينئذ فانه مال السفهاء الذي ينبغي الحجر عليه، وهذا يعني ان للمجتمع دوراً معيناً في صيانة المال، فل يحيز للفرد السفيه صغيراً كأن او مجنوناً او مبذرًا او مستغلاً او بخيلاً او احتكارياً، التصرف بالمال؟! ان ذلك مضر بمصالح الفرد وارباك اللوضع الاقتصادي العام.

والنهي الصريح «لا تؤتوا» في هذه الآية كالأمر الصريح في الآية السابقة «واجتنبوا الطاغوت» تأكيد قطعي على الفعل، رفض، ثورة وقرد، في الآية الأولى كما أنه في الثانية تحريض ومنع ومصادرة لأموال السفهاء لمصلحة الحق، وهو معنى القيام — كما يبدو لي — بما يقيم المجتمع، وهذا قريب من معنى النضال وما يحتاجه من الدعم والمثابرة.

## ● منطلق الثورة في الحقل الاجتماعي

حينما يقرر القرآن الحكيم مؤكداً:

\*[إن الله يأمر بالعدل والاحسان وابتلاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر]

**والبغي يعظكم لعلكم تذكرون \* وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا اليمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان [الله] يعلم ما تفعلون \***

— ٩١+٩٠ النحل —

وفي آيات كثيرة غيرها، كما يؤكّد على حرمة الفرد والمجتمع على حد سواء، فللفرد حرمه كما للمجتمع حرمه والحقوق حرمات لا يجوز الاعتداء عليها بأي حال من الاحوال والمجتمع الذي تسوده الديكتاتورية والاستبداد وحكم معاملاته الظلم ولو كان بمقدار جلب شعيرة — كما يقول الإمام علي (عليه السلام)، فهو مجتمع غير إسلامي، هو مجتمع الطاغوت، مجتمع الفساد والتفسخ والانحلال وهذا الوضع لا بد ان يتغير، كان عمر بن الخطاب في جمع من الصحابة فيهم سلمان الفارسي، فقال عمر أملك أنا أم خليفة؟

فقال سلمان: «ان جبيت من ارض المسلمين درهماً أو أقل أو أكثر وضعته في غير حقه (اي ضلماً وجوراً فانت ملك غير خليفة..!). وبديهي ان الخلافة هي وفق سنة الله [ومن احسن من الله حكماً] بينما الملك جاهلية وطاغوت ، ومقدار درهم بل أقل، يوضع في غير محله يقلب موازين العدل والاحسان، مما يوجب الثورة حتى تستقيم الامور.

هذه منطلقات الاسلام للثورة في الحقل السياسي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي ، والتي تؤكّد لنا أن الاسلام بذاته ثورة في كل الميادين والحقول وما هو بثورة في المال وحسب ، أو ثورة في السياسة فقط ، وإنما في جميع اشكال المجتمع وقواعده التحتية، ثورة على الطغيان والاستبداد وتمرد على الفساد وعوده الى الحق ولعل لفظة «الحنيف» في قوله تعالى عن النبي ابراهيم(ع) :

\*[ان ابراهيم كان أمة قاتناً لله حنيفاً ولم يك من المشركين]\*

— ١٢٠ النحل —

تعبر بعمق عن الفكرة الثورية في الاسلام، ولهذا يعبر الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الثورة الرسالية بهذه الكلمة قائلا:

## ▪ (جنتكم بالحنفية البيضاء)

فهذه اللفظة تشير الى اتجاه الاسلام الثوري، فالحنفية تعني الميلان، ولكن باتجاه الحق نحو الصراط المستقيم، وهكذا حينما يكون المجتمع كله يسير في اتجاه الباطل، ثم يقوم من يتمرد عليه ويسير في الاتجاه الصحيح، منحرفاً عن المجتمع الى الله ، فانه آنذ من اتباع ابراهيم الخليل(ع) لأنه كان حنيفاً ثار على مجتمعه في كل الابعاد وليس في بعد واحد فقط.

## ● الثورات الجانبية

اما الثورات التي حدثت في العالم فغالباً ما كانت ثورات جانبية أي تمس جانبَاً واحداً من جوانب المجتمع وتترك الجوانب الأخرى فيه: اما ثورة سياسية او اخرى ثقافية او ثورة تهدم البنى الاجتماعية القائمة او ثورة لتصحيح الاوضاع الاقتصادية وهكذا، فشمولية الثورة الاسلامية هي الفارق اضافة الى فروق أخرى — بين الثورة في الاسلام وبين الثورات ذات المنطلقات الوضعية والمحتوى المادي.

ومادامت الثورة هي طلب الاصلاح الشامل ضد الانحراف الذي دبت في المجتمع او سار نحوه المجتمع، فان هناك سؤالاً في هذا الاطار .. عن صمت المجتمع، فهل ان قبول افراد المجتمع بالطاغوت يعطيه الشرعية، وهكذا سكوت المجتمع عن الاوضاع الفاسدة السائدة، هل تسحب من الانسان التأثر مبرر الثورة؟  
بایجاز كلاً.

ان الثورة لا تبدأ حينما يعم الاستياء كل الجماهير بعد ان تسحقها الفئة المنتفعه — بطانة وحاشية — كلاً. اما الثورة تبدأ منذ اللحظة الاولى التي ينحرف فيها المجتمع سواء كان راضياً أو ساخطاً.

فالنبي حين يأتي بالرسالة الجديدة لا يتوقع ان يستقبل المجتمع منه ذلك بسهولة ماداموا ضلالاً، والقرآن يذكرنا دائمًا عبر قصص الانبياء، ان الاقوام التي كثيرةً ما عانت من ظروف القهر والاستغلال والارهاب، كانوا بدورهم يحاربون الانبياء(عليهم السلام) الذين لم يكونوا ليهندوا أو يت婉وا في تبليغ رسالات الله، من هنا لابد من الاصرار والتابعه وتوعية المجتمع وكشف زيف الانظمة الطاغوية حتى يعود العباد الى عبادة الله شاعوا أم أبوها وهذا معنى قوله تعالى:

\*[فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلاله]\*

فمن استمع الى القول واتبع احسنته لصفاء سريرته، وحسن طويته ومسارعته للخيرات فانه يسعى نحو تحويل الصمت الى ثورة بعد ان تلمس منطق الحق في رسالة النبي وأولئك من هدى الله، اما من تنكر للحق بسبب الإهواء المتكافحة وتركز العبودية الثقافية في نفسه فأولئك لن يعطوا إلطاغوت حق الاستمرار ولن يسلبوا من الرسالي مبرر الثورة.

وانطلاقاً من هذه الحقيقة فاللنا لا نعتبر المجتمعات الامريكية والاوروبية او أي مجتمع آخر قبولاً بهذا النظام أو ذلك، لأن الطاغوت قد سلب الجماهير ارادتهم وشل بثقافته قدراتهم وتفكيرهم، وعليه فهل نسكت عنهم، ان هذه المجتمعات هي من عناهم ربنا سبحانه وتعالى حينما قال:

\*[ومنهم من حقت عليه الضلاله فسيروا في الارض فانظروا كيف كانت عاقبة المكذبين]\*

واذا كان هنالك طاغوت وتحته مجتمع راض بحكمه – أي مجتمع طاغوتى – فانه لا يعني ان هذا المجتمع بعيد عن غضب الله وعذابه، اما هو مكذب بأيات الله، والله سبحانه وتعالى معاقبه اشد العقاب، وسنشرح ذلك بالتفصيل ان شاء الله في

الاحاديث القادمة.

ان عمق النظرية الشورية في الاسلام قد جعل المفارق الموجودة بينها وبين النظريات السائدة في العالم كبيرة جداً وفي رأيي ان تلك النظريات قد ساهمت مساهمة كبرى في استغلال الجماهير وتضليلهم، لأنها قد أعطتهم سلحاً فاسداً حسبوه صالحاً وراحوا يحاربون به، فإذا بهم يسقطون ضحية الاستغلال مرة أخرى.

ومن هنا حق لنا ان نقول ان الماركسيه او الوجودية او الليبرالية او القومية ليست بنظريات ثوريه، وإنما هي تشبه الثوريه فيخدع بها الناس .. وتخدع بها تلك الفطرة الصافيه للبشرية التي تسعى من أجل الحق والحرية والكرامة، وبذلك تضحي هذه النظريات من حيث يدرى اصحابها أولاً يدرؤن سبباً لتكريس الفساد والطغيان بدل الحرية والعدالة والامان.

## ما هي الثورة؟

- ما هي الثورة التي نقصدها..؟ وهل هناك حدود فاصلة بينها وبين الحركة الاصلاحية التي تستمر طبيعيا في الحياة أم لا..؟  
لقد اصطلح الناس على تحديد معنى الثورة بالتحول الجذري فهي في الاصل «إشارة» والاشاره عملية لا تتم الا بتغيير أساس واقع حتى يثار ذلك الواقع، ثم يتحول الى واقع آخر.

وهناك فرق واضح بين الثورة والاصلاح – في المصطلح السياسي الحديث – وهو ان الاصلاح عملية مستمرة في حياة الانسان، سواء كان هذا الاصلاح في المجال المادي او المعنوي، فحياة البشرية تسير نحو الاصلاح (كما يراه البشر سواء اخطأوا في تقدير حالة الاصلاح أم أصابوا).

بينما الثورة ظاهرة لا تتكرر الا في ظروف خاصة وتختلف مضامين الثورة باختلاف الفلسفة التي تقف وراءها، فالفلسفة المادية تعتقد ان الثورة هي التحول الجذري في حياة الانسان باتجاه تغيير واقعه الفاسد المتمثل في التخلف، في حين ان الفلسفة الاسلامية تنفي هذه الفكرة أساساً وترى ان الثورة الحقيقة هي تغيير حياة الانسان القائمة على أساس الانحراف واعادتها الى فطرتها المستقيمة، وخلال (تنظيرنا)

للثورة لا نجد نص كلمه «الثورة» في الاحاديث المأثورة والنصوص القرآنية، ولكن لا ريب ان الأحاديث والآيات تتضمن «مضمون» هذه الكلمة، وسوف نشرح تعبير هذه النصوص عن الثورة فيما بعد.

## ●شروط الثورة

وهنا سؤال يطرح نفسه – اذا كانت الثورة تختلف جذرياً عن عملية الاصلاح – باعتبار ان الاصلاح عملية يومية تتكرر في حياة البشر واذا كانت الثورة ظاهرة لا تتكرر بصورة مستمرة في حياة الانسان، اذا كانت كذلك فما هي الظروف الموضوعية التي تنبت فيها الثورة..؟ وما هي أرضيتها؟ متى تقوم.. ومتى تتفجر هذه الظاهرة التي لا تتكرر..؟

- ان الشروط الموضوعية للثورة هي:
- اولاًً: انحراف واضح في مسيرة المجتمع.
- ثانياً: شعور عميق بهذا الانحراف.
- ثالثاً: اراده حازمة لتغيير هذا الانحراف.
- رابعاً: برنامج عمل لصب تلك الارادة الحازمة في قناة التغيير العملية.

وهذا يعني ان الثورة لا تتحقق دون توفر انحراف بعيد عن فطرة الاستقامة للانسان والمجتمع، أو وجد انحراف، ولكن لم تشعر به مجموعة من الناس شعوراً عميقاً وكافياً للتحرك أو شعروا ولكن لم يجدوا في أنفسهم الارادة الكافية أو لم يجدوا البرنامج المناسب لتغيير ذلك الانحراف، فآنذاك لا تتحقق الثورة رغم وجود الانحراف.

وهذه الشروط الأربعه ان لم توفر فان الثورة لا تحدث، وإنما تتحقق حركات اصلاحية أو تستمر الأوضاع الفاسدة كما هي، بل وتتردى.

وهنالك تعريفات أخرى للثورة ولظروفها نتجاوزها لعدم أهميتها.

## • هل للثورة ظرف خاص؟

ويبقى سؤال آخر هام يقول: هل الشروط الأربع للثورة قائمة اليوم في عالمنا الاسلامي، أو حتى في العالم ككل؟

ونترك الاجابة عن هذا السؤال الكبير الى احساس الانسان ونظرته العابرة لما حوله من احداث وظواهر. بالنسبة لنا — كمسلمين فاننا لا نجد وقتا في تاريخنا أنساب للثورة من عصرنا الحاضر، ويكتفي أن ننظر الى ما حولنا. فقد يتبدل احساس الانسان بسبب تكرر المأساة كما يقول الشاعر العربي المتنبي:

من يهن يسهل الهوان عليه      ما لجرح بيّت اسلام

فالذى يعيش في بؤرة فاسدة لا يشعر بعفونة الجواب، بل يتعدّد عليه، ولكن اذا غير مكانه أحسن بالتغيير الذي طرأ على حياته، اما ان عدنا الى فطرتنا ونظرنا لما حولنا بالمقاييس التي وفهها ربنا سبحانه وتعالى — أي بمقاييس الانسان كأنسان — بان نرجع الى أنفسنا ونسأله ماذا ت يريد..؟ الحرية أم القمع والارهاب..؟ هل تشتد الكرامة أم الاهانة والذلة..؟ هل تطلب المعرفة أم الجهل والتضليل..؟ وهل تفضل الوحدة والوفاق أم التجزئة والخلاف..؟ ثم وبعد ان نبلور فطرتنا دعنا ننظر الى العالم، وبالذات الى عالمنا الاسلامي.. فما عسانا نرى..؟

اني اعني هنا هؤلاء الشبيبة الذين لم تتلوث نفسياتهم بوسخ الجاهلية الحديثة. ولا تزال شعلة الرفض متوجهة في اعماقهم، ولا تستطع اجهزة الارهاب الفكري والسياسي ان تدجن نفوسهم او تمسخ فطرتهم النقية ونفوسهم الأبية!!.

اني ادعوهم للعودة الى فطرتهم وهم في مقبل العمر، وليسألوها ماذا نريد من هذه الحياة؟ اما أولئك الذين تجاوزوا هذا السن ليعودوا بذاكرتهم الى الماضي — أيام نشأتهم وشبابهم — هل كانوا يحلمون بحياتهم التي يعيشونها الأن أم لا..؟

ذلك لأن الشباب الناشيء في الواقع وخلال المراهقة هم المقياس المفطري لحياة الاستقامة البعيدة عن الانحراف، لأن أيام الشباب هي الأيام التي يكتشف الله فيها عن عقل الإنسان، ففي تلك الأيام يهب ربنا تقدست أسماءه لقلب الإنسان فجوره وتقواه حسب ما جاء في الأحاديث الشريفة، فتلك الأيام هي مقياس تقييم الحياة، فلنتساءل أذن من خلال استعادة ذكريات تلك الأيام—أي حياة كنا ننشد—وأي مجتمع كنا نعيش فيه. ولربما لو قيل لنا في تلك الأيام أن لا أمل في تغيير الأوضاع فهي ستستمر بما فيها من ذلة وارهاب وقمع، لكننا نفضل الموت على الاستمرار في الحياة!، ولكن شيئاً فشيئاً استطاعت اجهزة القمع والسلط بوسائلها القمعية والتضليلية، واجهة التلوث الفكري والروحي التي تمتلكها ان تتغلب على فطرتنا السليمة وفرضت علينا الامر الواقع.

فللننظر بتلك الفطرة السليمة—والعقل الوهاج الذي غرسه ربنا في اعماقنا— إلى الحياة لنكتشف مأسينا ولنعرف في أي وضع شاذ نعيش، وهل خلقنا الله سبحانه مثل هذا الوضع..؟

هل خلق الشعب العراقي—على سبيل المثال—حتى يصبح لعبة بيد جبار زنیم يلعب بالنفوس والأموال والاعراض، بل وبالمقدسات الدينية؟

لقد نقل لي أحد الوافدين من العراق ان الطاغية صدام فرض على شعبنا المسلم في العراق ان يسلموا عليه باعتباره قائداً، قبل أن يسلموا على الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع)، أو على الامام أبي عبدالله الحسين(ع) اذا فرض عليهم أن يبدأوا قبل الزيارة بهذه العبارة «اللهم احفظ لنا صدام قائداً وذرراً في الدنيا والآخرة».

هل خلق الشعب العراقي ليكون صدام، مثل ترجمة والفساد، ذرراً له في الدنيا والآخرة؟ وهل يجعل الله مجرم المجازر والتهجير والاعتداء على الاعراض والابادة بحرب مفروضة وتغيير المعالم الجغرافية والارهاب والاعدامات ذرراً للشعب المسلم؟. ربما فقد البعض في العراق فطرتهم الندية ودجنوا ورّضوا وسلبت منهم فطرتهم وقالوا لابد أن نقبل بهذا الوضع وكأنه قدرنا ومصيرنا..!

كلا.. ما خلقنا الله هكذا ولا أراد لنا ان يكون صدام ملكاً على العراق او حسني اللامبارك فرعوناً على مصر.. وما خلق الشعب المسلم في الجزيرة العربية ليحكمه القرود، كلما مات قرد نزى على السلطة قرداً آخر، وأمر جميع الناس ان يبايعوه ملكاً أو ولينا للعهد..! أبداً لم يخلق شعب الخليج ليحكمهم مجموعة من لا دين لهم ولا شرف فيبيدوا ثروات المسلمين على زواتهم الشخصية ثم يخلقوا في تلك البلاد ثقافة تبريرية رجعية فاسدة..!

ان الله لم يخلق الشعوب الاسلامية لتقع تحت سيطرة الامبراليات الغربية أو الشرقية..! فعندما تأمرهم الامبراليات بقطع مساعداتهم عن قوات الردع في لبنان تمهدأً للتدخل الاسرائيلي هناك نجد ان البرلمان الصوري في الكويت يوافق على قطع تلك المساعدات، وفي أقل من اسبوع تقتتحم القوات الاسرائيلية المعتمدية الاراضي اللبنانية، بينما نجد ان هذا البرلمان الصوري نفسه يفرض عليه ان يوقع مساعدة النظام العراقي العفن فيوقع..! لماذا الآن «البعث» شيء جديد؟ قوات الردع في لبنان أيضاً «بعث» او ان العروبة مقاييسكم؟ فأولئك ايضاً عرب، وان كنتم تنظرن الى القضية بنظار المصلحة فمصلحتكم أن تسترضوا جميع الدول العربية!! الا ان وراء الاكمة ماوراءها..! فالله سبحانه وتعالى لم يخلق الشعب اللبناني ليتحقق تحت سنابك الدبابات الاسرائيلية، وان تهدم البيوت بل المدن، ويُقتل مئات الآلاف من شعبنا في لبنان ويشرد مثلكم لا شيء الا هوى «بيعن وشارون» وكذلك الأمر في تشاد أو «مورو» أو «قطاني» أو «قبرص» أو «افريقيا» وكذا كافة بلاد المستضعفين. هذا التخلف الذي يتمثل في عالم السياسة بالتبعية والارهاب. وينعكس في عالم الاقتصاد بالتجارة والاستغلال، كما وينعكس في عالم الشذوذ بالتبغية والتضليل، وهل هو قدرنا الذي لابد لنا منه..؟

اننا —نحن المسلمين— نعيش واقعناً مريضاً، ما كتبه الله علينا، لذا فلا بد ان نعود الى فطرتنا ونحدد الأوضاع الخطيرة والانحرافات الحادة التي آلت اليها حالتنا في العالم الاسلامي. وننظر الفداحة المأساة وخطورة الانحراف الذي يصعب قياسه بالنسبة

للانحرافات التي تعرضت لها قطاعات بشرية اخرى فالانحراف كبير وبالتالي لا يمكن ان تكون معالجته بالوسائل الاصلاحية تماماً كما لو ابتي انسان بعذة سرطانية —والعياذ بالله— فان مجرد تناول العاقير لا يجدي معه، وانما لابد من اجراء عملية جراحية عنيفة لاقتلاع تلك الغدة كي لا تنتشر وتنهي الحياة، وكذلك التخلف في واقع الامة ماذا بامكان الحركات الاصلاحية ان تفعل ازاءه فالاعداء لا يكتفون بالهدم، وانما هدم مع تغيير الفطرة وتعريف الفكر وتزوير الارادة واستبدال الثقافة لتنقاد لهم طوعاً ورغباً لا اكراهاً ورهباً! وهذا ما نلاحظه اليوم حيث تنساق الملايين من الشبيبة في العالم الاسلامي وراء الاتجاهات الشرقية والغربية! وتلك انتكاسة ماحقة ان يركض الانسان وراء مستعليه وجلاديه! فماذا نصنع ازاء هذا الامر الخطير انهم يسلبونا اعز ما نملك وهو العقل فهل تنفرج على هذا الفعل الرهيب..؟

## • الطلق ومسؤوليات الثورة

ان الاحساس العميق بضرورة الثورة على الوضاع الفاسدة لا يحتاج الى أن يتحسس الجميع بعمق الانحراف الذي دبت في الامة، وانما يكفي ان تتحسس الصحفة المؤمنة من أبناء الامة بهذا الانحراف لتحمل رسالة الثورة، فمسئوليية الطليعة الرسالية، توعية الجماهير، وحملها على الاحساس بالخطر المحدق وبالتالي ما هي واجباتها تجاه الانحراف، وهذا الشرط، من شروط الثورة —قد تحقق والحمد لله في عالمنا الاسلامي والا لما امتلأت سجون الطغاة بشبابنا، او بالنخبة المثقفة والصفوة الطلائعية من شبابنا، اذ ان السجون مكتظة بالمفكرين والعلماء والخطباء وبالاطباء والمهندسين والصيادلة وخريجي الجامعات ومحاضريها .. في العراق والخليل ومصر والسودان وتونس والجزائر والمغرب وأنى توجهت تجاه أفضل ابناء الامة في المعتقلات!. وهذا دليل على ان هؤلاء جميعاً احسوا بضرورة التغيير الجذري، ولو كان هؤلاء جميعاً ينادون باقامة الصلاة فقط، دون شرطها وشروطها لما منعهم احد مما يريدون!! وفي كتابه «الحكومة الاسلامية» يذكر الامام الخميني «حفظه الله» بأن المنصب

السامي البريطاني حينما قدم العراق سمع الأذان من المنارة لأول مرة فسأل أحد مستشاريه: ما هذا؟ فقال إنه اعلام للصلوة قال: وما الصلاة؟ — طقوس عبادية تؤدي جماعة في المساجد، فسأل: وهل تضرنا صلاتهم؟ هل يتحدثون فيها عن احتلالنا لبلادهم — قال: كلا.. قال اذن فليصلوا الى الليل!! أجل طالما ان الصلاة لا تضرهم فضل ماشت وابن المساجد ماشت وأسس جمعيات خيرية ماشت، أو مستشفيات، وغيرها فهذا يخدمهم، ولكنهم سيعارضون أشد المعارضة اذا تحدثت عن سياستهم أو اقتصادهم أو سيطرتهم على بلادك!.

من هنا فان الذين يقبعون في السجون ما سجنوا لأنهم بنوا مساجد او جعوا تبرعات للمساكين، اغا سجنوا لأنهم عارضوا هذه المؤسسة الفاسدة، والكيان الجاهلي القائم في بلادهم سياسياً وثقافياً واقتصادياً واجتماعياً، ولذلك ايضاً وجدوا أنفسهم امام المشانق وفرق الاعدام.

ومن الطريق ان نجد الاحزاب غير الاسلامية «المعارضة» (...) تحاول هي الاخرى الاستيلاء على السلطة ومع ذلك ترك لها مجال العمل بحرية!! وما ذلك الا أنها امتداد للسياسة الاستغلالية والاستعمارية، فالحزب الشيوعي في تونس حر، ولكن الاتجاه الاسلامي منوع رسمياً لان «المجاهد الاكبر»، بل «المنافق الاكبر» في تونس افتقى بحرمة تدخل رجال الدين في السياسة!

اما دخول الشيوعيين والاحزاب اليسارية في السياسة فلا بأس! لان الاستعمار يريد اليسار، ولكن اليسار بديلاً عن الاسلام لان اليسار يمكن مساومته واستدراجه الى الاختصار، اما الاسلام فلا، لأنه يعارض الكيان الجاهلي ككل، فهذا لا يمكن التفاهم معه، بينما اليسار فإنه يريد ان يغير جانباً من الجوانب فقط، فيستبدل عميلاً بعميل! وهل يهم شكل العميل او طوله وعرضه؟ أبداً في العراق يحكم يوماً عميل باسم القومية، ويوماً باسم الاشتراكية، وأآخر باسم الشيوعية، ويوماً باسم البعثية، وغداً باسم آخر والله اعلم. فالمهم ان لا يحكم الاسلام، لأنه الروح الاصيلة في هذه البلاد

والتي ترفض اي لون من التواجد الاجنبي !!، واذن فالشرط الثاني للثورة متحقق ايضا في بلادنا.

واما عن الارادة الحازمة والعزيمة الصادقة للتغيير الانحراف ووضع الخطط والبرامج العملية لهذا التغيير فذلك ما نريد ان نتناوله عبر بحثنا، لأن الامة لا زالت تفكرب بجدية وتبحث صادقة عن طريقة للخلاص من محتتها القاتلة..!!

يبقى ان نعود لما بدأناه في اول الموضوع عن موقف الاسلام من الثورة فكما سبقت الاشارة ان القرآن يتطرق بشكل صريح لمضمون الثورة، ولكن دون التلفظ بنص هذه الكلمة «الثورة» بالتدبر في الآيات القرآنية لا نجد دعوة لغير الثورة الجذرية التي لا تعترف بانصاف الحلول أو المواقف المهادنة. بل، يتحدث القرآن عن الاصلاح ولكنه لا يعني المصطلح المعروف للاصلاح، ففي قوله تعالى:

\*[ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً ان رحمة الله قريب من المحسنين]\*

—٥٦/الاعراف—

\*[ان أريد الا اصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب]\*  
—٨٨/هود—

اقول حين يتحدث عن الاصلاح فليس، يعني الترميم مع تقبل الوضع الفاسد القائم فالقرآن صريح في هذا الصدد.. لأن المهادنة مع الشرك حرام.

يقول تعالى:

\*[قل يا أيها الكافرون\* لا أعبد ما تعبدون\* ولا أنتم عابدون ما اعبد\* ولا أنا عابد ما عبدتم\* ولا أنتم عابدون ما أعبد\* لكم دينكم ولِي دين]\*

—سورة الكافرون—

و يقول سبحانه:

\*[وَدُوا لَوْتَهُنَّ فِي دَهْنٍ] \*  
—القلم—

ان الاسلام يرفض لا تباعه ان يهادنوا الظالمين.

\*[وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَاكَ لَقَدْ كَدْتَ تَرْكَنَ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا] \*

—الاسراء—

فحتى هذا الشيء القليل من الركون الى الظالمين مرفوض اسلامياً، بل حتى مجرد التمني بهادنة الفاسدين والمفسدين من قبل المؤمن باطل وحرام فكيف ان يتمنى الرسول او الرسالي ذلك؟!!

من هنا فان الاسلام لا يقبل الترقيعات الاصلاحية بالمفهوم الراهن، وحينما يأمر الاسلام بالتوحيد وينهى عن الشرك، انا ليلغي سلطة الطاغوت نهائياً لأن الطاغوت شرك، وغليه فطاعة القوى السياسية غير الدينية في اي مجتمع اسلامي شرك لأنه قبول بحكم غير ما انزل الله.

\*[أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ] \*  
— النساء—

ولأن الاسلام لا يقبل ان يرضى بحكومة الفساد لحظة واحدة فان الامام علي بن ابي طالب(ع) حالما اصبح الخليفة لل المسلمين كتب رسالة الى معاوية يعزله عن ولاية الشام رغم اعتراض بعض اصحابه على الموضوع، مقتربين مهادنة معاوية حتى يبايع الامام ثم يعزله بعد ذلك الا ان الامام العادل ابي ان يرضى باجتماع الحق والباطل في لحظة من الزمن!.. كيف يولي من لا يراه صالحاً للولاية على المسلمين أو ليس خيانة بحق الله ورسوله..؟

هكذا هو الاسلام، فهل يقبل اليوم بان تخضع للطغاة الذين يتحكمون في رقابنا؟ وهل يرضى بمناهج التربية والتثقيف التضليلية التي تقوم بها الوسائل الاعلامية

والاجهزة التعليمية في بلادنا؟ وهل يسكت عن تحكم القوى السياسية وتسلط كل جبار عنيد؟ أبداً فكل ذلك شرك بالله، والشرك مرفوض من الاساس.  
من هنا نستطيع التأكيد بكل اطمئنان ان اساس الاسلام واساس الرسائلات السماوية قائم على الثورة الشاملة.

## الاسلام والارادة الثورية

### ● تمهيد

يزعم البعض ان رسالات الله تلغي اساساً مصالح الانسان، وكأن الرسائل السماوية تتجاهل الناحية المادية التي يحرص الانسان على تحقيقها لنفسه واهله ومجتمعه، فهذا البعض حين يقارن بين المذاهب الوضعية والرسائل السماوية، وينظر الى المحور الذي تقوم على اساسه كل نظرية، يجد الفرق بينهما، بأن الرسائل السماوية تتمحور حول الحق، بينما تتمحور النظريات الوضعية حول المصلحة المادية.

ان ما نستوحيه من آيات الكتاب الكريم هو ان محور النظرية الاسلامية هو «الحق والخير معاً»، بينما نظرة المذاهب المادية الى المصلحة نظرة قشرية احادية، فنظرة الاسلام الى مصلحة الانسان وسعادته، وما يتعلق بالخير والسعادة والفلاح نظرة متکاملة في جميع الأبعاد ولجميع الناس وللمصلحة الحقيقة للانسان.

صحيح أن كل النظريات تهدف مصلحة الانسان، الا ان بصيرة الاسلامية تؤكد على المصلحة الحقيقة الدائمة الكاملة للناس بكل فئاتهم، فيما تذهب النظريات المادية الى المناداة بمصلحة الانسان الجزئية القشرية الاحادية.

وحينما نطالع آيات القرآن نجد ان كلمات الفلاح والخير أو ما يؤدي الى معانيها هي «صبغة القرآن» انه يدعو الى الاحسن—الافضل—(الخير)، اذ تتكرر كلمة الاحسن والافضل والخير والفلاح في القرآن الحكيم.

من هنا فان الصبغة القرانية تدعو الى المصلحة الانسانية، التي لا تتنافى مع الحق، فالحق لا يعني ما يتناهى ومصلحة الانسان، بل انه يرفع وعي الانسان الى مستوى من العمق والشمول، ليفهم المصلحة الحقيقة لنفسه، ورد في الدعاء المأثور عن الامام علي بن الحسين السجاد(ع) :

﴿فليس بخير خبر وراءه النار .. وليس بشر شر وراءه الجنة﴾

فنظرتنا الى الخير يجب ان تشمل الدنيا والآخرة، لأن الخير الذي يعقبه شر مستطير، أو الشر الذي يعقبه خير عميم، يختلفان جوهرياً عن اسميهما.

فالاسلام لا يرى شبهة البطن سعادة حقيقة للانسان، اما السعادة الحقيقة للانسان ان يشع ويشع جيرانه ايضاً، «فتر الناس من جلد عبده ومنع رفده» والمؤمن الحقيقي يتتسائل:

﴿أم أبیت مبطاناً وحولی بطون غرثی واکباد حرثی﴾

والشاعر يقول:

وحسبك داء أن تبیت ببطنـة      وحولك أكباد تخن الـقد

انها ليست سعادة وهل يستطيع ان يزعم السعادة من يعيش في جزيرة منعمة مرفهة وحوله محـيط من الفقر والشقاء؟ ابداً ذلك مجرد زعم، السعادة الحقيقة اما يستشعرها الانسان عندما يجد الآخرين حوله يتنعمون سعداء مثله، وكثيرة هي الشواهد التي نستطيع ان ننتزعها من الواقع لدعم هذه الحقيقة.

اراد احد ابناء التجار ان يتزوج فاشترط اهل العروس مهرأً كبيراً بما يناسب وضعهم الاجتماعي، فقام هذا الشاب وكان مؤمناً، بمبادرة حسنة، حيث اقترح على عروسه ان يتزوجها زواجاً بسيطاً، ويوفر المهر الذي سيصرفانه على حفلة الزواج،

الشهداء من أجل الله؟!

اننا نعلم ان تلك جريمة بشعة نكراء، ولكننا نقول ان النظرية التي تدعوا  
الانسان «الثوري» الى ارتكاب مثل هذه الجريمة المفجعة يجب ان نشك في صحتها،  
أجل يجب ان نتيقن ببطلان هذه النظرية التي تنتزع الشاب من اسرته وتحوله الى مجرم  
يقتل خيرة ابناء الامة الاسلامية، من العلماء وقادة الثورة، وهي في بداية انطلاقها،  
وفي أوج معركتها مع الامبراليات الامريكية، ففي هذه النظرية فجوة — اساسها قائم  
على المادة.

فالمنطق المادي لا يمكن ان يخلق انساناً ثورياً، وحتى لو ادعى ذلك فان ثوريته  
هذه تحمله الوقوف ضد الشهيد المظلوم آية الله بهشتی .. والمنتظري ومدني ودستغيب  
وامثالهم !.

اليس الاخرى بهؤلاء الذين يدعون الثورية والتقدمية ان يذهبوا الى الانظمة  
الفاشدة ويحاربوها، فما اكثراها في العالم الاسلامي ! ويا المؤسهم وشقارتهم، انهم  
بدل ذلك راحوا يتحالفون مع انظمة الكفر في بغداد وعمان والرياض وتونس والقاهرة  
و... ليخاربوا الاسلام وثورة الجماهير. اليş في ذلك خطأ عظيم !! ولكن الخطأ  
والانحراف ليس في الشخص، وإنما الخطأ والانحراف في النظرية التي آمن بها هذا  
الشخص.

## ● برامج الاسلام تبني الارادة الثورية

ان الارادة الثورية الصلبة التي لا تتنزع في نفس المؤمن، اما هي وليدة البرنامح  
الاسلامي في تعاليمه ومفاهيمه وعباداته ومعاملاته. فالقرآن كله تعاليم في هذا  
الصدق والصيام وتهجد الليل والدعاء، كلها ممارسات عملية لقوى الارادة وتنميتها  
وحتى معاملات الانسان مع الاسرة والمجتمع في البيت والسوق والجامع والمدرسة  
تطبيقات مبرمجة .. منظمة تبني الارادة الثورية بالتوكل على الله والثقة به والامل في

نصره وكيف لا تبني الارادة والانسان كل يوم يتحدى المحرمات ويزرع روح التقوى في ذاته، تلك الارادة الثورية التي تبلور في الايام العادية في القدرة على بناء البلاد، وايام مقاومة الحركات والحكومات المنحرفة تصنع المعجزات.

ان البرامج الثورية التي يطرحها الاسلام معتمدة على تلك الارادة. فالاسلام لا يدعو الى التحرك ببرنامج مبتور يكتمل من خلال الممارسة بالرغم ان التجربة والممارسة النضالية تكمل برنامج الانسان، الا ان اصول البرنامج الثوري في الاسلام واضحة المعالم منذ البدء ولا تحتاج الى تفكير واستنتاج. فالاسلام ومنذ البداية يصر باسقاط الطاغوت بكل اشكاله ولا يسمح بالترقيع، أو تعديل النظام الطاغوتي أبداً، بل حتى الانسان المؤمن، المخلص، العالم، المضحى من أجل وطنه اذا اصبح حاكما.. ولكنك اتبعته من أجل دنيا، أو شهوة، أو خوف ، فانه يصبح بالنسبة اليك طاغوتاً.

## • قصص الانبياء مدرسة الارادة الثورية

فحتى الى هذا المستوى يؤكّد الاسلام على البرنامج الذي يجده واضحأً في القرآن عبر قصص الانبياء التي لم يأت بها الله سبحانه وتعالى للmutation ولا للتسلية كما يقول به بعض المفسرين حين يعلّلون ورود ذكر نبي مع قومه في القرآن بأنه تسلية لقلب الرسول(ص) فقط؟ وفاتتهم قصة نوح، وقصة آدم، ادريس، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وصالح عليهم جميعاً سلام الله، اما وردت في القرآن مراراً وتكراراً لا تسلية لقلب رسول الله(ص) وإنما نبراس يضيء الدرب لكل مؤمن ابتداء من الرسول وانتهاء بنا جميعاً والا فلم نقرأ القرآن نحن !

ان قصص الانبياء في القرآن برامج الثورة في الاسلام، من هنا فان كل الثوريين الاسلاميين مدعون الى ان يعيدوا نظرتهم في براجمهم عبر تدبرهم في آيات القرآن العزيز، لاسيما قصص الانبياء ثم تطبيق مواقفهم على الواقع المعاصر لمعرفة فرعون

العصر وموسى الزمان، وتميّز نبود الآن وابراهيم اليوم، بل والتمعن جيداً في مواقف الانبياء(ع) مع الطغاة، وحتى مع جماهيرهم واتباعهم، وثورات الانبياء تأتي بشيء من التفصيل في بعض السور القرآنية، مثل سورة النمل والشعراء والقصص فهي تتحدث عن الثورة واصلها وطرقها واساليبها وتستعرض مختلف الطرق وما يناسبها من الموقف الرسالية الحكيمية. وان من اوليات القضية التي يمكن ان نستخلصها من القرآن ما يلي:

### ● اولاً:

ان القرآن امام المؤمن الثوري فعل التأثير المسلم ان يديم قراءته لأنه سجل ضخم لسير الامم وملف حافل بتجارب الانبياء التي لا تستغني عنها اي ثورة رسالية مبدئية، وما اجمل بالثوري ان يكون حافظاً للقرآن متسلحاً به لأنه سلاح لا يهزء، وما اجمل بالثوري ايضاً ان يردد القرآن بالنصوص المستلهمة من آياته كنهج البلاغة، والصحيفة السجادية، وهل هناك اجمل من ان يعيش المؤمن الثوري مع القرآن ويتخذه انيساً وجليساً وحليفاً.

ينبغي ان لا تقتصر مطالعاتنا على الجرائد واستماع الاخبار لتقوية ذهنياتنا السياسية، وان كان ذلك امراً ممتازاً، الا ان مثالنا حينها يصبح كمثل من يبني بيته بناء فاخراً ويزينه بالزخارف والا ثاث الجميل ويزوده بكل شيء، الا انه ينسى ان يمده بالضياء! فالقرآن ضياء العلم ونور الحياة وبصيرة الثورة، فان كنت تحمل قضية سياسية او تقرأها، دون أن تعرف رأي القرآن فيها تضل - وكثيراً ما حدث - وربما ننحدر شيئاً فشيئاً حتى نصبح من اتباع الشيطان - والعياذ بالله - الا ان القرآن هو حصننا.

### ● ثانياً:

القيادة بما تعنيه من تشخيص القائد ومعرفة حقه والاتفاق حوله وضروره الانصياع لأمره ولزوم الشورى له، ثم الاقتباس منه والتأسي به وتعاونته في الامور

الصغرى ليفرغ للامور الاكبر، وما الى ذلك من صنع القيادات وتوفير الشروط اللازمه  
ها ان لم توجد !

●ثالثاً:

الاخلاص في العمل ببذل الجهد في الاطار المرسوم من قبل القيادة بلا جنوح او  
اتباع الهوى، والتمحور حول الحق في كل حركة والتسلل بل بلباس التقوى دون ان  
نسى لحظة ان المنطلق والغاية من والي الله سبحانه.

وهذه الركائز الثلاث التي سنتناولها فيما بعد بتفصيل اكثـر\_ ان شاء الله\_ اذا  
ما توفرت في الثورة فلا تخشى على نجاحها فهي بثابة العوامل الذاتية التي تساعد على  
انجاح الثورة وبلغ النصر باذن الله سبحانه وتعالى.

# النظرية العلمية في الثورة الاسلامية

- قبل الشروع في الحديث عن علمية الثورة الاسلامية لابد من الاشارة الى عدة نقاط:

## اولاً

قد يظن البعض: أننا— حين نطلق كلمة العلم — نعني بها معنى يتنافى مع معنى الفلسفة اي بمعنى المذهب العلمي والمذهب العقلاني، فيحسب القضايا التي تخضع للمعادلات الرياضية «علمًا» بينما المسائل التي تخضع للحسابات العقلية ولا دخل للمعادلات الرياضية فيها يسميهما بـ «العقل» أو بـ «الفلسفة» كما يُسمى نتائجها «مذهبًا» أو «نظريّة».

الا ان هذا التمييز— من وجهة النظر الاسلامية— خاطيء، لأن الوصول الى الحقيقة — أيًّا كانت الوسيلة التي توصلنا اليها عبرها— هو «علم» فسواء كان الوصول الى الحقيقة عن طريق الوحي أو القياس العقلي أو المعادلات الرياضية فانه «علم»، لأن التعريف البسيط للعلم هو: احاطة الانسان بالحقائق، أو انكشاف الحقائق للانسان.

### ● ثانياً

قد يعتقد أنسنا حين نتحدث عن العلم نقصد به ما يتنافى مع «الغيب» باعتبار ان المسائل التي لا يرقى اليها المنهج المادي في العلم، ولا تخضع للتفسير أو التحليل تحت المجهر أو في المختبرات لا تسمى علمًا، وإنما يطلق عليها شيء آخر «دين» مثلاً فان هذا التمييز خطأ هو الآخر، الإيمان هو جزء من العلم، فمعرفة الله هي اساس الایمان، والایمان الحق هو نتيجة المعرفة، والمعرفة ليست الا علمًا.

و ذات الوسيلة التي تهدينا الى معرفة الشمس والقمر ومعرفة دوران الارض حول الشمس وحول نفسها، هي ذات الوسيلة التي تهدينا الى ان للكون إلهًا او لسنا نعرف الحقائق بظواهرها وأياتها، اذن نعرف ربنا سبحانه وتعالى بالآيات التي تهدينا اليه، وبالاسماء التي توصلنا الى رحاب قدسه، فالایمان بالغيب، الایمان بالماضي وبالمستقبل، والایمان بالرسالات السماوية هو الآخر نتيجة للعلم، وبهذا المفهوم سوف نستخدم كلمة «العلم».

### ● ثالثاً

هناك نظريات تدعى «العلمية» قد تصدق احياناً اذا ما قورنت بنظريات فوضوية لا علمية، ولكنها تصبح جاهلية اذا ما قورنت بالاسلام! ومن بين هذه النظريات «النظرية الماركسية»، فالماركسية تعتمد على التحليل المادي للتاريخ، قد تصدق في زعمها اذا قورنت بالنظريات الطوباوية التي كانت سائدة حين نشأت الماركسية، لأن ماركس كما يقول بعض المؤرخين: قد فتح باب التحليل فيما يتعلق بصنع المستقبل حينما قال: «كما يخضع مستقبل الانسان - الفرد - للتخطيط وال усили، فكذلك يخضع مستقبل الانسان - المجتمع - للتخطيط وال усили والتحرر وقد ضرب «الجنرال بوفر» في بعض كتبه الاستراتيجية، مثلاً لصحة هذه الحقيقة بهتلر صاحب كتاب «كافافي» الذي رسم فيه مستقبلاً لألمته كما يراه هو وبال усили راح يطبق نظرياته ومبادئه، بل وحتى التكتيكات التي تنبأ بها، اتبعها! اننا نرى ان ذلك لا يدل على صحة ما كتبه وتنبأ به في كتابه، وإنما يدل ذلك على ان

العمل والsusي والتحرك نحو صنع المستقبل، هو حق لا غبار عليه في هذا العالم.

\*[وان ليس للانسان الا ما سعى]\*

— التجمـ / ٣٩—

## ● «العلمانية الماركسية» في الميزان

في ذلك الجو المشحون بالنظريات الطوباوية التي كانت سائدة على اوربا في عصر ماركس، جاء هذا الرجل ليبيّن ان المستقبل، اما يصنعه الانسان.

وقد لا تصح نظريته في تحليلها الطبقي للصراع وتفسيرها المادي للتاريخ، ولكنـ ارى انها صحيحة بنسبة ضئيلة. ولا يكفي للنظرية، لاي نظرية — لكي تكون صحيحة — ان تكون صحيحة بنسبة ضئيلة، واما اذا كانت واقعية في جميع ابعادها، وعلى اي حال تعتبر أهمية نظرية ماركس في عالم الثورة، في كونها قد اعطت شرعية للعمل، ولسعي الفرد والمجتمع لصنع مستقبله، — ما جعل هذه النظرية — دون النظريات الاشتراكية الاخرى قادرة على ان تبني دولاً وتقوض أخرى، فما ذلك بسبـ صحتها كلا، ولكنـ لصحة جزء منها وهي القاعدة التي تقررـ بأنـ السعي يصنع المستقبل، او كما قال غوتـه «في البدء كان العمل» ونظرـاً لصحة هذه القاعدة النظرـية استطاعتـ أنـ تفعلـ ما فعلـه في العالم.

من هنا فـانـ الماركسية — قياسـاً لتـلك النظـريـات الطـوبـاوـية — صارت علمـية في بعض جـوانـبـها، بينما لـدى مـقارـنـتها بالـنظـريـة الـاسـلامـية — ذات البـصـيرـة الـاهـمية المـتـكـامـلة — فـأنـذ تـبـدوـ تلك النـظـريـة جـاهـلـية حتى النـخـاعـ، لأنـها تنـفي مـصـادرـ عـدـيدـة للـعلمـ.

## ● هل التجربـة كلـ العلمـ؟

انـ العلمـ هوـ العلمـ سواء حـصلـتـ عـلـيهـ عنـ طـرـيقـ المـبـصـعـ أوـ المـجـهـرـ أوـ العـقـلـ أوـ

الوحي أو عن طريق آخر، فمهما اكتشفت حقيقة أو عرفت شيئاً معرفة حقيقة واضحة بذلك علم، كما يقول ديكارت الفيلسوف الفرنسي الشهير بـ«العلم هو التمييز الواضح امام الانسان بالشهود المباشرين بين الانسان وبين الحق» اي حينما تتجلى لك حقيقة ما بصورة واضحة فلا تسأعل آنذاك عن المصدر الذي دعاك للاطمئنان والاعتراف بتلك الحقيقة، لأنك ان آمنت بشيء فانك لا تستطيع ان تنكره او ترفضه لأنك وصلت اليه، ومن أين عرفنا –بان الصدق حسن، هل جربناه؟ وهل يستطيع انسان ان يقنعك قناعة لاشية فيها ان الاحسان الى الآخرين عمل سيء، وان الاساءة اليهم عمل حسن..؟ أبداً: وان هذا الاقرار بهذه الحقيقة هو علم وهو رفع درجة من العلم التجريبي أو الحسي! انه أسمى من العلم بلون شعاع الشمس، لأن الحواس قد تخطيء سواء العين أو الاذن أو غيرها من الحواس –، ولكن العقل لا يخطيء وهذه الحقيقة اما عرفناها بالعقل والواقع، ان لهذا البحث مقامه الخاص في الفلسفة، ولكن أشرنا اليه لنقول ان الماركسية التي تنفي ان يكون الوحي مصدرآ آخر للعلم هي نظرية جهل وليس بنظرية علم، انها نظرية جاهلية، اما الاسلام فانه يقول ان كل علم تحصل عليه بالتجربة فهو صحيح وذلك كما يقول الحديث:

■(في التجارب علم مستحدث)■

كما ان العقل هو الآخر منبع اصيل لكشف الحقائق وتحصيل العلم، فالحديث يقول:

■(الفكر مرآة صافية)■

اما العلم الذي يحصل عليه الانبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام عن طريق الوحي فانه علم أعمق بكثير من علم المجرب والتفكير، فالعلم الذي يصل بصاحبـه الى ذلك المستوى الرفيع حيث يقول الامام علي(ع):

■(والله لو كشف لي الغطاء ما أزددت بقينا)■

للحقيق به ان يوصلنا الى ارقى درجات اليقين، لا نستطيع ان نوفي هذه الكلمة حقها من التفسير في هذه العجلة، لأن الامام علي(ع) لا يتحدث عن العلم الذي يبصره عينه كلون الحائط حيث تخدع العين بالنظر ولا يتكلم عن نظرية كانتي قال بها أرخيدس حول «الطفو» و «الوزن»، وإنما يقصد بكلماته تلك معرفته بالله رب العالمين!— الذي عجزت عن ادراكه كنه صفتة العقول۔

وما علم العرفان بالله ببساط حتى يدع عليه انسان كعلي بن أبي طالب(ع) الذي لم تسجل عليه كذبة في حياته قط، ثم يقول وبهذه القاطعية والاطمئنان:

□ (والله لو كشف لي الغطاء ما أزدلت بقيناً) □

فهذا هو العلم الذي يحصل عليه الانسان عن طريق—الوحي—والاهام والاتصال الروحي بينه وبين ربه سبحانه، كما وعن طريق التقوى والزهد! من هنا فان الماركسية التي تنفي هذه المصادر الصرحة للعلم هي نظرية جاهلية! يقول احد الكتاب الغربيين حول علاقة العلم بالایمان في كتابه «لن ترهقهم الحياة» ان الجاهل والعاجز هو الذي لا يستطيع أن يؤمن، لأن الایمان مستوى رفيع.

ومتى وصل الانسان الى قمة انسانيته آمن! وان الجاهل هو الذي لا يؤمن، انه تماماً كالشخص الذي يقول أنا لا اعترف بوجود الدنيا ولا بالشمس ولا بالقمر، فهو انسان ذو عقل محدود والمشكلة فيه هو، لا في الحقيقة التي لا يعترف بها.

## ● علمية الثورة الاسلامية

حينما نقول الثورة الاسلامية، ثورة علمية لا يعني انها تنفي المبادىء، أو أنها تستهين بقيمة الوحي والشرع وقوانينهما، كما لانعني انها تنفي قيمة التجربة والعلوم التي تخضع للحسابات الرياضية، وإنما يعني انها تعتمد المبادىء العلمية التي يراها الاسلام، ولننبعضي الشورات التي تعتبر نفسها اسلامية ثم لا تبني المبادىء العلمية

للإسلام، ولتوضيح الفكرة، لابد من توضيح عدة نقاط:

### • الأولى

انني حينما اسميها الثورات «الاسلامية» فان ذلك من باب التغليب لأنها في اطار اسلامي؟ وذلك لأن الشورة التي لا تعتمد العلم كقيمة أساسية فهي ليست علمية، ولا يهم العاملين فيها ان يصلوا الى نتائج، وانما همهم العمل.. وكأن العمل لا يرتبط بالنتائج.

ينبغي ان نعمل ولا ندع فجوة بين العمل وبين النتيجة، اي لابد أن نخطط لكافة المراحل التي نجتازها حتى النصر!

اننا نرى الكثير من العاملين يعيشون فجوة في عقولهم، أنهم يعملون.. والمهدف واضح أمامهم، ولكن بين العمل اليومي الذي يقومون به، والمهدى الاسمى الذي يرمون الوصول اليه مراحل طويلة لا يعرفون كيف يتتجاوزونها، ولم يخططوا، ولم يفكروا، ولم يسعوا من أجل تجاوزها، ان هذا ليس تحركاً علمياً.. وليس بشورة علمية ولا يتفق مع النظرية العلمية في الثورة الاسلامية التي تعتقد ان كافة المراحل ينبغي ان تكون مغطاة بالاستراتيجية.. بالخطيط.. بالمعرفة..

### • الثانية

ان الثورة الاسلامية الحقة لا تعتمد «الوحى» فقط كمصدر لصنع المستقبل، فالوحى طريق واحد فقط للمعرفة وهو موجه بشكل رئيسي لا ثارة القيم العقلية الموجودة لدى الانسان، وفي نفس الوقت يرسم الاستراتيجية العامة والخطط العريضة لتحرك الانسان، الا ان ذلك لا يعني ان نقتصر على القرآن في العلم فقط، بل القرآن نفسه يحثنا على طلب العلم في حوالي ثلثمائة موضع مختلف العبارات التي تدل على ذلك كالعلم، والتفكير، والسمع، والبصر، والسير في الارض، والتذكرة وما اشبه، فالقرآن منهج للمعرفة وليس معرفة كاملة للانسان، وانما جزء من معرفته، ودعوة الى تكمل الجزء الثاني عن طريق السعي والتجربة والتفكير وهكذا، وكما القرآن كذلك

النصوص الدينية، والحديث الشريف يقول:

■ (اطلبيوا العلم ولو في الصين)

ماذا كان يقصد؟ هل يقصد الذهاب الى الصين لتعلم تفسير القرآن؟  
أبداً، وإنما العلوم التي تحتاجها في كل شئون الحياة.. من هنا فان ثورة  
لاتأبه بمحكّمات الحضارة الحديثة وتنغلق، ازاء التقدّم العلمي والتكنولوجي في العالم  
هي ثورة لا يمكن تسميتها بالعلمية.

● الثالثة

الثورة الاسلامية هي التي تعتمد العلم وتعمل به وتسير وفقه، فالقرآن الحكيم  
يقول:

\* [وَلَا تَنْقُفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ  
مَسْؤُلًا] \*

—الاسراء—

فالآية صريحة بأن لا يخطو الانسان خطوة دون علم [لا تُنْقُفْ] اي لا تتحرك وراء  
شيء بلا علم، ويعبر الامام علي(ع) عن هذه الفكرة في وصيته لاحد اصحابه هو  
(كميل) قائلاً:

□ (واعلم انه لابد لك قبل كل جولة من فكرة)

فقبل كل حركة على المؤمن ان يرسم خطة متكاملة ويدرس القضية من جميع  
جوانبها، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى عليك ان تتبع المعلومات التي تسمعها  
جيداً كي لا تستقبل معلومات مغلوطة أو غير صحيحة، وبالتالي كل ما تسمع وتطالع  
وتفكر يجب ان يكون علمياً، كما ان القرآن في هذه الآية الكريمة يوجّهنا الى اتباع  
الاساليب العلمية في كل تحرّكاتنا خارجياً [وَلَا تَنْقُفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ] وداخلياً [ان

السمع والبصر والرؤاـد يعني من جميع النواحي علينا ان لا نتخلـ عن العلم لحظة واحدة، وهذا يعني ان الثورة التي ترفع العلم شعاراً، ولكن لا تقتـد به في واقعها الحركـي والعلمـي فـانـها تـفـقـد شـرـطاً اسـاسـياً من شـروـط النـجـاح والـانتـصار، فالـتـغـيرـ الـخـارـجي منـوطـ بالـتـغـيرـ الدـاخـليـ.

\*[ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغـيرـوا ما بـأـنـفـسـهـمـ]\*

-الرعد- ١١-

## • الاستراتيجية العلمية

ان الثورة الاسلامية ثورة علمية، لـذـا يـنـبـغيـ انـ تكونـ واـضـحةـ المـعـالـمـ مـعـدـدةـ الخـطـىـ، ثـابـتـةـ الاـسـتـرـاتـيـجـيـةـ، عـبـرـ مـخـتـلـفـ المـراـحـلـ، الاـ أـنـاـ نـرـىـ انـ الثـورـةـ الاـسـلـامـيـةـ فـيـ العـالـمـ الـيـوـمـ تـمـتـمـ بـوـضـوحـ كـافـ فيـ الـاهـدـافـ، اـذـ لـيـسـ هـنـالـكـ ثـورـةـ فـيـ العـالـمـ واـضـحةـ الـاهـدـافـ كـالـثـورـةـ الاـسـلـامـيـةـ، وـمـنـ نـاحـيـةـ التـكـتـيـكـ وـالـوسـائـلـ تـحـظـىـ، كـذـلـكـ بـجـانـبـ لـابـسـ بـهـ مـنـ اـسـالـيـبـ الـمـفـيـدـةـ، وـلـكـ بـيـنـ التـكـتـيـكـ وـالـاهـدـافـ هـنـالـكـ فـجـوةـ كـبـرىـ حـيـثـ تـفـقـدـ الثـورـةـ الاـسـلـامـيـةـ وـضـوحـ الرـؤـيـةـ فـقـدـاـنـاـ يـكـادـ يـكـونـ تـامـاـ.

ولـدـىـ المناـقـشـةـ معـ بـعـضـ القـادـةـ الاـسـلـامـيـنـ حولـ الاـسـتـرـاتـيـجـيـةـ فـانـهـمـ يـتـحـدـثـونـ عـنـ التـكـتـيـكـ اوـ الـاهـدـافـ، مـاـ يـدـلـ عـلـىـ انـهـمـ يـعـوـضـونـ عـجـزـهـمـ الاـسـتـرـاتـيـجـيـ بالـحـدـيـثـ المـفـصـلـ عـنـ الـاهـدـافـ الـواـضـحةـ، اوـ عـنـ التـكـتـيـكـاتـ الـمـعـرـوـفـةـ. فـطـبـاعـةـ الـكـتـبـ مـثـلاـ:ـ كـتـكـتـيـكـ، وـاـنـ سـئـلـ اـحـدـهـمـ عـنـ اـسـتـرـاتـيـجـيـةـ فـيـ ذـلـكـ أـجـابـ بـأـنـهـ يـطـبـعـ كـتـبـاـ فـيـ الـاـقـتـصـادـ وـالـاجـتـمـاعـ وـالـسـيـاسـةـ جـاـهـلـاـ بـأـنـ هـذـاـ تـكـتـيـكـ وـلـيـسـ اـسـتـرـاتـيـجـيـةـ، وـمـرـةـ اـخـرـىـ يـجـبـ بـأـنـهـ يـطـبـعـ كـتـبـاـ صـغـيـرـةـ وـكـبـيـرـةـ بـاـحـجـامـ مـخـتـلـفـةـ وـلـغـاتـ شـتـىـ، وـلـاـ يـدـرـيـ اـنـ هـذـاـ تـكـتـيـكـ وـلـيـسـ اـسـتـرـاتـيـجـيـةـ، وـلـوـسـئـلـ اـيـضاـ عـنـ اـسـتـرـاتـيـجـيـةـ لـأـجـابـ بـأـنـهـ يـعـملـ مـنـ أـجـلـ اـسـلـامـ، بـيـنـماـ هـذـاـ هـدـفـ وـلـيـسـ اـسـتـرـاتـيـجـيـةـ.

انـ بـيـنـ الـهـدـفـ وـالـتـكـتـيـكـ فـجـوةـ اـسـتـرـاتـيـجـيـةـ التـيـ تـلـعـبـ دـوـرـاـ فـيـ تـأـخـيرـ اـنـتصـارـ

الثورة الاسلامية، ولا يمكن الاستمرار في هذا الوضع، واذا كان الكتاب الاسلاميون قد اشبعوا—أو كادوا—المكتبة الاسلامية بمؤلفات الفكر الاسلامي في قضايا الفكر والفلسفة والثقافة والفقه و...و.. فانهم قليلاً ما كتبوا عن اساليب العمل والتكتيك رغم ان العاملين لا يعوزهم ذلك فيما نلاحظ ان الكتابة حول الاستراتيجية في الثورة الاسلامية تكاد تنعدم! وغني عن القول ان المنصر في شتون الدنيا هو من يمتلك في تحركه استراتيجية واضحة صادقة سواء كانت اهدافه سليمة أم لا؟.. ويكفي ان نعرف ان الاستعمار لم ينجح في استبعادنا الا أنه يمتلك الاستراتيجية الواضحة فالله سبحانه وتعالى لم يجعل الدنيا للمؤمنين فحسب، وإنما جعلها للعاملين فقال تعالى:

\*[كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك]\*  
—٢٠/ الاسراء—

لان الدنيا دار ابتلاء لذلك حينما سأله ابراهيم الخليل رب العالمين ان يرحم المؤمنين فقط ويرزقهم الشمرات وحدهم، قال سبحانه وتعالى:

\*[قال ومن كفر فأمته قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار]\*  
—١٢٦/ البقرة—

فالدنيا دار الجميع، ولهذه الدنيا قوانينها وأسبابها، ومن اسباب الدنيا ان من يمتلك وضوح الاستراتيجية فإنه ينجح، وهذا ما يفسر مثلاً نجاح مجرم كهتلر الذي كتب استراتيجية في كتابه «كافاري» ثم طبقها في الواقع.

فما هي الاستراتيجية للثورة الاسلامية اليوم؟

الاستراتيجية هي وضوح المدف مع وضوح الامكانات المتوفرة حالياً، ومعرفة النتائج التي يمكن الحصول عليها من هذه الامكانات، ثم معرفة الامكانات الأخرى التي يمكن الحصول عليها بالسعى، ووضوح المكاسب التي يمكن ان نصل اليها عن طريق تلك الامكانات التي نوفرها بالسعى. وباختصار، فان الاستراتيجية هي وضوح حالة الانسان، كما يعبر عن ذلك الامام الرضا(ع) بقوله:

□ المؤمن العارف بأهل زمانه لا تهجم عليه المواسن

فمعرفة الزمان والظروف والامكانات الموجودة، ثم السعي والاستفادة من كل تلك الامكانات حسب الظروف للوصول الى الاهداف.

والفرق بين الاستراتيجية الثورية، والاستراتيجية العلمية غير الثورية، هو ان صاحب الاولى لا يقتصر على الامكانيات القائمة، بل يوظف الامانات التي يمكن ان يفجرها في ذاته.

انه مثلاً يفكر في ارادة الجماهير والمعنيات، وأثر التشجيع في الصراع، يقول الله سبحانه:

\*[يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا  
مائتين] \*

—٦٥/الإنفال—

هذا عن الشوري، اما الآخر فانه يفكر كيف يستفيد من الموجود بين يديه ويقسمها على الفترة الزمنية المتوفحة له تماماً، كمحظط الميزانية الذي يريد ان يقسم عشرة آلاف دينار لبناء بيت بنصفها والنصف الآخر للاستهلاك لمدة عشرة شهور فانه رأساً يجعل خمسة آلاف لبناء البيت وخمسين دينار لكل شهر، هذا طبعاً مع الفرق ما بين ميزانية شخصية وبين الذي يرسم الاستراتيجية التي تخضع لكثير من العوامل الخارجية بينما لا تخضع الميزانية لتلك العوامل!

من هنا فان على الاستراتيجي الثوري ان يحسب حساب الاحتمالات، ولا يفكر في بعد واحد، وانما يفترض عدة حالات وجد لكل حالة حلاً.

## **الفصل الثاني:**

- عوامل الثورة الاسلامية
- بناء الكوادر في العالم الاسلامي
- العوامل المساعدة للثورة
- استراتيجية الثورة الاسلامية



## **عوامل الثورة الاسلامية**

ما هي الأستراتيجية المقترحة للثورة الاسلامية في ظروفها الراهنة؟  
لاتتم الاجابة على هذا السؤال الا بمعرفة أمرين:  
(أ) عوامل الثورة.  
(ب) المجتمع بين العلم والعمل

### **● ماهي عوامل الثورة؟**

حين يطرح الكثير من مؤرخي الثورات تحليلاتهم، يقسمون الثورات على اساس عواملها الظاهرة دون الغوص الى أعماقها. فيصنفونها الى ثورات تحريرية تهدف تطهير الارض من المحتل الاجنبي، وثورات تحريرية غايتها تغيير النظام السائد، والتي تصنف بدورها الى ثورات اجتماعية، او دينية، او اقتصادية، او عنصرية، او طبقية. ولكن هذا يتناول الفهم الظاهري من الثورة، ويدع الجانب الحقيقي والجوهرى، الذي يكشف لنا فعلا العوامل الحقيقية للثورة.

بينما لا يستطيع احد وضع استراتيجية حكيمة من دون فهم عميق لعوامل الثورة الأساسية. من هنا كان من الضروري ان نبدأ حديثنا هنا عن الاستراتيجية بالتعقق في عوامل الثورة التي نلخصها في أربعة عوامل:

## • اولاً: الجماهير نحو الأفضل

ان للانسان رغبة في ان يكتسب تقدماً مضطراً في حياته، فمهما تنوّعت المشاعر والاحاسيس البشرية الا ان الناس جميعاً يشتّرون في الاحساس بضرورة (التقدم) سواء كان هذا التقدّم اقتصادياً، او اجتماعياً، او مادياً، او معنوياً.

وهذا الشعور هو الوقود الذي حرك البشرية عبر مراحل التاريخ، منذ كان الانسان يسكن الكهوف في العصر الحجري، والى عصر السرعة والالكتروني وغزو الفضاء وسير اغوار المحيطات؛ وهذا الشعور –حسب اعتقادي – كان وراء احتياز الانسان للصعب وابتکار الوسائل المختلفة في سبيل تقدمه، وهو شعور يشترک الناس جميعاً فيه آنئي كانوا وبایة فكرة، او مذهب آمنوا.

وحينما يشعر مجتمع ما: ان هناك حاجزاً يحول دون تقدمه، او يشعر الجزء الاعظم منهم بذلك ، فان المجتمع يبدأ بالتعلّم ثم لا يلبث ان يثور محظماً ذلك الحاجز بهدف الوصول الى وضع افضل من السابق.

وكثيراً ما تكون الانظمة الحاكمة هي الحاجز الذي يقف في وجه المجتمع الثائر، ولهذا فان الانظمة هي التي تحطم بفعل الثورات الجماهيرية، ليقوم مكانها نظام جديد يتنااسب وتطلعات الجماهير نحو التقدّم والرقي.

لا أريد أن أقول ان الدافع المادي فقط، هو سبب الثورة، كما لا اقول ان النظام الذي يقف فعلاً امام تقدم المجتمع هو الذي يتعرض للثورة بل اقول ان النظام الذي يحسبه المجتمع حاجزاً امامه هو الذي يتمرد عليه ويشور ضده، فشعور المجتمع هو

الفيصل، اذ قد يوجد نظام تقدمي ولكن تحس الجماهير بأنه رجعي؛ أو بالعكس، فقد يقوم النظام الرجعي بتضليل المجتمع اعلامياً فيحسبه تقدماً، فمثلاً يتطور وضع الرياضة على حساب التقدم الصناعي، والاقتصادي، والعسكري، والسياسي، ثم يقنعهم بالتطور والرقي فيسكنون عليه.

بينما النظام الذي يحاول ان يصل البلاد الى حالة من التكامل ولا يستطيع اقناع الجماهير بعمله الصامت يثرون ضده، اذن فاصطدام النظام برغبة الجماهير واحساسها بضرورة التقدم سبب في انهياره، وهذا يوضح لنا اهمية عامل «الاعلام» في مجال الثورة.

## • ثانياً: مواكبة التقدم الاجتماعي

حينما تكون الانظمة ضعيفة لا تستطيع مواكبة الاندفاعة الجماهيرية ولا تستوعب التقدم الاجتماعي فانها سرعان ما تفكك وتنهار امام قوة المجتمع تماماً كالقنوات التي سرعان ما تنهار وتحطم امام اندفاعة السيل الهادر. وهذا شأن الحكومة التي لا تستطيع ان تطور من قدراتها وامكانياتها بتطور المجتمع، اذ ستكون عبئاً على المجتمع، ولا سبيل الا الثورة عليها ومحظيمها، ولعل ذلك يفسر سر تغير الحكومات حين انطلاق الثورة الثقافية، او الصناعية. فتقدّم مجتمع ما في المجال الاقتصادي أو الثقافي أو الاجتماعي مع انعدام مقدرة الحكومة على مجاراة ذلك التقدّم، يتسبّب في انهيارها.

وهناك بعض الدراسات تعزى الثورة الفرنسية الكبرى، الى قوة المجتمع الفرنسي في ذلك اليوم في المجال العلمي والاقتصادي والاجتماعي، بحيث لم تستطع حكومة لويس الرابع عشر – التي كانت تسيطر على المجتمع آنذاك – ان تستوعب تلك القوة الجديدة فانهارت السلطة وقام مكانها نظام جديد.

## •ثالثاً: حدة التناقض الثقافي

عندما تبرز ثقافة من نوع جديد في المجتمع – لتسبب تناقضاً حاداً بين الثقافة السائدة، والثقافة الوليدة – فان النظام القائم على اساس الثقافة السابقة، لا يستطيع استيعاب الوضع الجديد. وواكب مثل ذلك هو انهيار السيدات التي كانت قائمة في الجزيرة العربية حينما انبعثت الرسالة الالهية، فقد انهارت تلك السيدات امام الدفع الثقافي الجديد الذي فجره الاسلام بقيادة الرسول الاعظم(ص).

## •رابعاً: الصاعق الثوري

ان الثقافة التي تحكم سلوك الفرد وتوجه تحركاته هي التي تقوم بدور الوسيط الشوري بالنسبة للمجتمع، حيث تقوم بتجير المشاعر التقديمية، والتطلعات السامية للجماهير التي بطبعها تشعر بضرورة التقدم نحو الأفضل، تخضع للثقافة كي تترجم ذلك الاحساس وتحسده واقعاً حياً.

فالثقافة هي التي توجه ذلك الشعور من اجل مصلحة الثورة اذ ان الحرمان لا يكون دليلاً او سبباً للثورة ان لم يتحسسه المجتمع ويشعر بأن من الممكن تغييره، والظلم كذلك ليس سبباً كافياً لتفجير الثورة ان لم تشعر الجماهير بفداحته وانها قادرة على كف أكف الظالمين عن نفسها، وبالتالي العمل من اجل حياة عادلة، وهذا – كما اسلفنا – يعتمد على مدى وعي الجماهير الذي لعبت الثقافة دوراً كبيراً في بلورته، من ثم تكون الجماهير من اصدار الحكم الصحيح بعد وضوح الرؤية وفهم الحقيقة.

الثقافة اذاً تقوم بدور الوسيط من اجل الثورة.

## ٠(ب) المجتمع بين العلم والعمل

يبدولي ان المجتمع البشري قائم على أساسين متفاعلين هما:

- ١- الوعي.
- ٢- الادارة.

وهذا ما نجده في مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، ويتجلّى ذلك بوضوح أكثر فيما يختص بالثورة التي لا تقوم إلا بفعل هذين الأساسين.

### ١- الوعي

فمن دون التوعية، وتحريك الناس، وإثارة تطلعاتهم، وتوجيه شعورهم بالحرمان والشعور بالقدرة على تغيير الوضع الفاسد، لا يمكن حشد الطاقات جيّعاً لتصب في قنوات محددة، تسير بصورة تدريجية وتصاعدية حتى تبلغ ذروة الوعي المتجسدة في التحرّك الجماهيري الصانع للثورة.

### ٢- الادارة

الادارة التي تقوم بحشد الطاقات، وضبط الامور، ونظمها، وتوحيد الصنوف، للأستفادة من كل الجهود في سبيل الحصول على المكتسبات الثورية عبر رحلة التغيير التحررية.

ويُمكّن أن نشبه التوعية الثقافية بالامطار الماطلة من السماء التي تهز الأرض بعد ذلك، معطية الفرصة للبذور الكامنة في باطن التربة كي تنبت وتترعرع، وهكذا المشاعر والاحاسيس الكامنة في اعماق الجماهير؛ كالاحساس بالحرمان والاحساس

بضرورة التغيير، وهنا يأتي دور الادارة التي تصنع القنوات التي تستوعب تلك الامطار، والثورة لا تقوم بغير هذين العاملين.

## • الوعي الجماهيري

بعد ان أوضحنا عوامل الثورة، وأسس المجتمع البشري: نلخص الأستراتيجية الثورية في النقاط التالية:

١- لابد من اشعار الجماهير بالوضع السيء الذي يعيشونه، وتعزيز هذا الاحساس بضرورة التغيير، مع بث الثقة في قدراتهم وامكانهم بتحمل مسؤولية التغيير، وبجدوائة العمل في هذا السبيل.

٢- لابد من تأمين ذلك الملاك الشوري الذي يقود عملية التغيير، ويعمل على تكريس الاحساس الاجتماعي بضرورة الاصلاح وبالقدرة عليه، كما يقوم (بتوجيهه) حتى الانتصار. فأساس الثورة قائم على التوعية اولاً والكواذر ثانياً، بينما يلعب المال والتنظيم والمؤسسات الثورية وغيرها دوراً ثانوياً كعوامل مساعدة لهذين العاملين الاساسيين.

ان الاستراتيجية الحكيمة والرشيدة للثورة الاسلامية اليوم تتلخص في هذين العاملين بشكل رئيسي، توعية الجماهير وبناء الكواذر القادرة على قيادة الناس، انهما عمليتان متوازيتان يجب الا تنفصل، فالجماهير تتحرك عندما يرتفعوعيها، والكواذر توجه التحرك. عندها لست بحاجة الى مال، لأنك افأ تحتاج اليه لكي تحرك الجماهير.

وها هي الآن تتحرك وستكون في خدمتك، ان حركة الناس سوف تعوضك عن صرف جهود مشتتة في سبيل جمع المال.

ان رسول الله(ص) لم يكن يملك مالاً كثيراً عندما هاجر، اذ انه كان قد صرف

كل ما كان لديه من أموال أم المؤمنين خديجة(رض) في مكة، ويوم هاجر إلى المدينة المنورة كان(ص) بحاجة إلى قوت يومه، ولذلك كان الإمام علي(ع) يذهب إلى العمل منذ صلاة الفجر وحتى الليل لقاء بضع تبريرات يتقاسماها والرسول(ص). كما كان المسلمون جيئاً يقومون بالعمل الجسماني المضني من أجل لقمة العيش.

ولكن انظر ماذا يحدثنا به التاريخ نفسه عن حركة الاعمار مع هجرة الرسول الذي استطاع ان يبني مسجد قبل ان يخط الرحى. وبعد ان استقر به المقام بادر ببناء المسجد الكبير في المدينة لتتابع سلسلة الاعمال الاعمارية بعد ذلك لبناء بيوت اصحابه رضوان الله عليهم، وردم البؤر والمستنقعات المبثوثة حول المدينة والتي كانت مصدراً للامراض آنذاك ثم زراعة الارض وبناء مجتمع متكملاً وصل الى مرحلة الاكتفاء الذاتي، ورغم ان بعض المؤرخين يزعمون ان الرسول(ص) ابداً استطاع القيام بتلك المبادرات بفضل الغنائم التي حصل عليها في حرب بدر وما تلاها من غزوات الا ان الغنائم مهما كثرت لا تستطيع الوفاء بحاجات مجتمع بأكمله علمأً بان مجتمع الرسول كان مجتمعاً محارباً آنذاك. فالحرب بحاجة إلى سلاح واموال وبناء لأن الحرب تهدم ايضاً.

ولولا ان الرسول الاعظم(ص) كان يملك جهود الناس وساعد المسلمين، لاحتاج الى المال، ولكن متى امتلكت الحركة الاسلامية سواعد فانها افضل من كل الاموال.

نحن نحتاج الى المال لكي نسد حاجة الفقير، ولكن الفقير الذي يصبر لا يحتاج الى المال، اتنا نحتاج المال كي نبني القلاع والمحصون ونحرف الخنادق ونشيد المصانع، فاذا امتلكنا سواعد الناس فهي التي تبني وتحفر وتشيد. خلال حركة التحرير ضد هولندا قامت الحركة الاسلامية في اندونيسيا بحركة مبتكرة بارعة بما يعوض عن المال، فقد اوجبت على كل فرد منتم للحركة ان يخصص من عمله يوماً في الاسبوع يعمل فيه للحركة – كبديل عن دفع اشتراك نقدي مالي – فما كان من المثقف الان يأتي الى مكاتب الحركة في ذلك اليوم ليكتب او يخطط أو يترجم وهكذا.. والبناء يساهم يوم في بناء مقرات للحركة، والكهرباء يساهم في اضاءة البيوت ومقرات

الحركة، وكل انسان يعلم حسب قدراته وشخصه، كذلك كانت الحركة مكتفية من الناحية المادية. وهذا فاننا لو امتلكنا الجماهير لما كنا اساري الحاجة مهما كانت كبيرة.

فالجماهير بالتعاون والعمل سوف تغنينا عن اجهزة للرصد، لأن الجماهير هي اجهزة الرصد، ولا تحتاج مثلاً لأجهزة قوبـة التجارب، لأن الجماهير وعقولها تصنع التجارب وتطورها.

فالجماهير اذا نشطت ضمن الحركة، فانها تغنى الحركة عن كثير من العوامل المساعدة، ومع حاجة الحركة الى المزيد من الطاقة فان الجماهير هي التي توفرها، مثلاً الجماهير تغنى عن المال، ولكن اذا احتاجت الحركة الى المال فان الجماهير تقدمه. بعد انتفاضة خرداد حاول الشاه مساومة الامام الخميني (حفظه الله) فقال له: اعطيك مليون تومان واخرج من ايران، فرداً عليه الامام رأساً: (أنا اعطيك ثلاثة ملايين تومان واخرج من ايران!) فبهرت الشاه وسألته من اين تأتي بالمال؟ فأجابه الامام (بأنني قد أمرت الناس بابداع ما يستطيعونه في حساب في احد البنوك الايرانية وخلال ثلاثة أيام اجتمعت الملايين الثلاثة) ورغم ان الشاه صادرها الا انه بعد ذلك خرج من ايران صاغراً.

هكذا تكون الجماهير، لقد استطاعت الثورة الاسلامية في ايران ان تقول العمال المضربين عن العمل —لاسيما عمال البترول— وذلك بأموال الجماهير. ومن قام بتضليل جراحات الثورة سوى المؤسسات الخيرية والثورية التي اعتمدت اساساً على تبرعات الجماهير وجهودهم...؟

ان الجماهير مستعدة للعطاء والتحرك، ولكن شرط ان تشعر بفداحة الوضع الفاسد، وكما قدرتها على تغييره. وكل يتذمـر من الوضـع ومن هو الذي لا يتذمـر..؟  
كل من القـاه يشكـودهـه لـست ادرـي هـذه الدـنـيا مـنـ؟

وعلى هذا فمن السهل اقناع كل فرد حتى ولو كان مليونيراً أو اميرأً أو وزيراً

بأن وضعه سيء إلا أن المشكلة تكمن في الخطوة التالية من العمل وهي أن تشعره بأنه هو المسئول عن تغيير الوضع إلى الأحسن وليس العكس، واقناعه بأنه فعلاً قادر على التغيير فيما لو سعى لذلك.

لقد دأبت السلطات والقوى المحافظة في المجتمع على تثبيط همة الجماهير عبر اقناعهم بأن وضعهم حتى وإن كان فاسداً فإن وضع غيرهم أفسد، وإن لو تحركوا فسيفقدون ما اكتسبوه ولن يحصلوا على ما يريدون، وهذا هو التضليل الإعلامي، وعلى الشورين والحرّكات الرسالية تغيير هذه الفكرة عند الناس، فالتحرك واجب، والتغيير مطلوب، والإنسان ذاته هو المسئول عن التحرك والتغيير، لأنّه قادر على ذلك، وهذا هو دور الثقافة.

## ● جماهيرية الثقافة الثورية

لابد أن تكون الثقافة جماهيرية تتكلم بلغة الجماهير، لا أن تكون للنخبة المثقفة فقط. ولأن الثورات تبدأ من الكتب، قبل أن تتفاعل مع الجماهير وتتجدد طريقها إليهم، فإنها غالباً ما تفقد الصلة المباشرة بالجماهير حيث أنها تتحدث بلغة الكتب ولا تتحدث بلغة الناس فهي ليست كما قال تعالى عن الرسل – عليهم السلام –:

\*[وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه]\*  
— ٤ / إبراهيم —

لذلك نجد أن الرسل عليهم السلام خاطبوا الجماهير بلغتها فنجحوا، وكما قال الرسول (ص):

■ (أمرنا معاشر الأنبياء ان نكلم الناس على قدر عقولهم)

ان اللغة عادة تختلف، المنطلق يتفاوت، التعبير ليست ذات التعابير، فالناس قد يحسون بشيء، والمثقفون أو الكتاب يتحدثون عن ذات شيء، ولكن بتعبير آخر فلا

من هنا تأتي ضرورة ان تكون الثقافة جاهيرية، لابد من التحدث بلغة الناس، ليس فقط في الاسلوب، بل وايضا في المحتوى، ليس فقط في المظاهر، واما في الجوهر ايضا، المظاهر هو ان تحدث الناس حسب لغتهم –تعابيرهم – قناعاتهم السابقة – أمثلتهم الشعبية، حسب قولهم الثقافي، حسب ايامهم التاريخية التي يخلدونها، تستخدمن الفن، الشعر، الفن التشكيلي، المسرحية، وسائل سمعية وغيرها، من الامور التي ينبغي توفيرها في الثقافة، وهذا ما نفتقر اليه الثورة الاسلامية دائمًا.

## ● الثقافة وضمير الأمة

اضافة الى ذلك هنالك امر جوهرى هو الامر في مجال الثقافة، حيث ان الجماهير تتلك ضميراً حياً لا تستطيع عادة التعبير عنه، ولا يفهمه كل الناس، ولكن الثوري الذكي والمفكر الناضج الحكيم، هو الذي ينفذ بصيرته الى ذلك الضمير فيعبر عنه، واذا بكل انسان يجد تلك الكلمة التي تعبّر عن ضميره، والذي لا يستطيع هو التعبير عنها ، واذا الناس جمِيعاً يستوون في تلك الكلمة التي لم يستطع ان يعبر عنها ، الا القائد فهو الوحد الذي نطق بها معبراً عن ضمير الامة.

ان على الثورة الاسلامية ان تبحث عن ذلك الضمرين، وتعبر عنه مثلا ، وينبغي ان تحدث الناس عن تخلفهم، لأن المسلم اليوم يحس في اعماقه بالخجل امام تقدم الغرب عليه ، واذا ما استطاعت الحركة ان تخاطبه وتقنعه بأنه قادر على تغيير الواقع عن طريق الاسلام ، وبه يتحدى الغرب ويتحدى اجهزته وعملاءه كاسرائيل ، أو الانظمة المتسيدة عليه ، فانها آئذ تكون تحدثت معه عن المصير الصامت وعن العقل الباطن.

ان الضمير الانساني المسلم اليوم يبحث عن الاستقلال ، فقد سئم التبعية واعافت نفسه المذلة، بل اصبحت العبودية تؤلمه وتخزي في صدره كالحراب ، من هنا لابد ان تتحدث الحركة عن الاستقلال ، ولابد ان تقول للجماهير المعنى الحقيقي لكلمة

[لا اله الا الله] كلمة الاستقلال والحرية.

لقد أصبحت الجماهير الاسلامية — اليوم — تتحسس في اعمق اعماقها حنيناً الى الأخوة الاسلامية وتتحسس بعمق الجرح الذي أوجده الحدود المزيفة بين اقاليم الامة الواحدة، وما علينا الا ان نذهب الى الحج ونلتقي بالملائين المتداقة من البلاد الاسلامية كافة، الى بيت الله الحرام، لتشعر ب مدى احساس الجماهير بجرح الحدود النازف، فكم هو مؤلم هذا الجرح للجماهير المؤمنة في عالمنا الاسلامي، وكم هم يحنون الى يوم التلاحم والوحدة، والعودة الى بعضهم البعض، وهذا هو ضمير الامة، تجاوز التخلف، وتحقيق الوحدة الحقيقة، والتصدي للتحدي الحضاري المتمثل في الغرب المتعجرف، الذي راح يعربد بحضارته المزيفة، ويتميز علينا و يصور نفسه (سوبرمان)، بينما هو في الواقع الجبان الذي اختفى وراء ما سرقه من تراثنا وعلومنا وامكاناتنا و ثرواتنا، و جاهيرنا تتلهف لليوم الذي ينهار فيه هذا الكيان الجاهلي من فلسطين الى ارتيريا .. الى الفلبين واندونيسيا و الى كافة البلاد الاسلامية التي تتحadan فيها الجاهلية الغربية، محاولة ترسيخ انوفنا في وحل الهزيمة والعبودية.

أجل ان جاهيرنا تتحسس بهذا الضمير العجز، وهذا هو ضمير تحدي التخلف ، تحدي التجزئة ، والبحث عن الاستقلال ، والتطلع نحو حياة افضل ، فلا بد ان تعبير ثقافة الثورة الاسلامية عن هذا الضمير بلغة مفهومة ، وهذا هو جوهر الالتقاء بين الشفافة والجماهير عبر الاطار والمحتوى الجماهيريين.

ومتى ما تكنت الحركة الاسلامية الثائرة من توعية الجماهير بالثقافة المعاصرة عن ضمير الامة والقريبة الى لغتها ، فانها سوف تتمكن من تحريك محيط الامة بامواج الثورة ، وبالتالي سوف تتمكن امواج المحيط الاسلامي من ابتلاء اسرائيل والقوى التي تدعمها.

اما الحكومات الجائرة والأنظمة الفاسدة الكارتبونية فان رياح هذه الامواج المتلاطمة تكفي ان تحرفها ، وتلقي بها في مزابل التاريخ ، ولا بد ان نحرك هذا المحيط.



# **بناء الكوادر في العالم الإسلامي**

## **تقنية الادارة**

● ان الدعامة الثانية – والتي لا تقل أهمية عن الدعامة الاولى – في ارساء الاستراتيجية الحكيمية للثورة الاسلامية، هي بناء القادة الثوريين الذين هم بمثابة القنوات التي تستوعب حماس الجماهير وتوجه طاقات الامة نحو الأهداف المرسومة والتصاعدية حتى انتصار الثورة.

## **● كيف تنمو القيادات الصالحة؟**

ان المجتمع الذي تنمو فيه القيادات، يختلف عن المجتمع الذي يئد قادته ويأكل أبناءه العظام، وقد نرى في صفحات التاريخ صوراً لمجتمعات صغيرة ولكنها اعطت وانجبت للعالم قادة كباراً، ففي «اثينا» مثلاً لا تزال – من عهد اليونان – تلمع اسماء كبيرة لقادة عسكريين أو مفكرين وفلاسفة وعلماء واطباء وآخرين بارزين في كافة الحقول القيادية، بينما نطالع عبر التاريخ مجتمعات كبرى لكنها لم تنتج من

يستطيع ان يرفعه الى صاف القيادات الكفؤة، فما هو الفرق بين المجتمعين؟

ان لكل مجتمع محوراً يستقطب اهتمام وطاقات أبنائه، قد يكون ذلك المحور «المال» وقد يكون «العلم» وقد يكون «ال усилиي والعمل» وقد يكون «الترف» فالمحاور مختلفة وتبعاً لاختلافها تختلف نوعية الرجال التي يفرزها المجتمع، فان كان المال محور المجتمع ببرز كبار الاثرياء، وان كان العلم محور المجتمع فانه سوف ينبع العلماء الكبار والمفكرين والفلسفه، اما المجتمع الذي محوره الترف فلا ينبع سوى اللاهين والعايشين مهما كبر.

وهكذا ليست مسألة ظهور القيادات ونمو الكوادر مسألة الحركات الاسلامية، او الحركات الثورية، بقدر ما ترتبط بكل الجماهير، حيث ان صبغة المجتمع اي مجتمع، ستترك بصماتها مباشرة على نوعية الافراد الذين يتسابقون الى محور الصبغة، وقطب رحاتها.

والاسلام يبني المجتمعات على اساس تغيير المحور الذي يتنافس عليه أبناء تلك المجتمعات، من محور المال او الترف والمجون، الى محور العلم والتقوى والفضيلة. ومن هنا كان التنافس في المجتمع الاسلامي في العلم والعمل الصالح، والتسابق نحو تزكية النفس بالورع والتقوى والاعمال الروحية، في هذا الاطار ينموا القادة، وفي ظل هذا التنافس يزدادون في المجتمع.

لقد خلق الانسان بطبيعته ناظراً للآخرين فهو يرضى بوضعه ما لم يكن شادداً عن الوضع السائد بين الناس، حتى لقد قيل في البلاء «البلية ان عمت طابت»، كما يهذب الاسلام هذه الطبيعة في الانسان.

هكذا شأن الانسان لا ينظر الى المقاييس حسب قيمه أو فطرته، بقدر ما ينظر اليها حسب أعين الناس والستهم، ومن هذا المنطلق فان الشباب بشكل خاص حيث يتفجرون همة وتطلعماً واندفعاً نحو البروز والتقدم هم اكثر قطاعات المجتمع،

تحسساً بقدسات المجتمع واعتباراته، كالعلم والتقوى والشرف، ولذا يتحمرون للاندفاع نحو هذه القيم.

ان العلم والتقوى هما ركيزتا القيادة في اي مجتمع من المجتمعات، ولكن حسب فهم المجتمع لهما، ففي مجتمعنا الاسلامي، يقصد بالعلم، والتقوى: الالتزام الكامل بقوانين الاسلام وتعاليمه، بينما في المجتمعات غير الاسلامية، يعني العلم بالنسبة اليهم: العلم بالدنيا، أما التقوى فهي تعني لديهم الانضباط.

ولو افترضنا ان ١٠٪ من افراد المجتمع أو حتى ٥٪ منهم تطلعوا الى الدرجات السامية فتسابقوا الى العلم والتقوى، فان ذلك يُساهم في تكثير عدد القياديين! ذلك ان المجتمع الاسلامي الذي يجعل من العلم والتقوى محوراً لنفسه ويقدسهما، سوف يجد في هؤلاء المتطابعين للقيادة، أرضيةً صالحة لبروزهم، وكفى مجتمع يكون ٥٪ من ابنائه قادة، كفى به عزةً وتقدماً.

## ● العلم محور المجتمع الاسلامي

في عالمنا الاسلامي لا نحتاج الا لقائد واحد لكل مائة انسان، واكثر يلتغون حوله، و يتمتعون بقيادته، وفي ذلك شفاء من ادواننا وامراضنا الصعبة.

من هنا جاء تشجيع الاسلام على العلم وحث المجتمع على التسابق اليه وجعل منه قيمة تستحق� الاحترام والتقدير، اذ يأمر ان يحترم العالم لمجرد علمه، بينما يقول في حق الثري:

■(من احترم غنياً لغناه اكبه الله على منخريه في نار جهنم)

وفيما يلي نورد بعض الاحاديث التي تفسر الآيات الكريمة التي جاءت تمجيداً للعلم والعلماء:

\*[قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون]\*

—٩/الزمر—

والنبي موسى عليه السلام حينما يلقى في طريقه عالماً (قد جاء في التفاسير انه كان الحضر) فيطلب منه موسى (ع) (وهو النبي العظيم ومن أولي العزم) ان يتبعه، يقول موسى (ع) للعالم، كما نقرأ في سورة الكهف:

\*[قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمتي ما علمت رشدًا \* قال انك لن تستطيع معي صبراً \* وكيف تصبر على ما لم تحظ به خبراً \* قال ستجدني ان شاء الله صابراً ولا اعصي لك امراً \* قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرًا] \*

—٦٦/الكهف—

### ●اما الاحاديث

١— يقول الرسول الاكرم (ص):

■(من علم شخصاً مسألة فقد ملك رقبته .. فقيل: يا رسول الله أبىيعه؟ قال: لا .. ولكن يأمره وينهاه)

وهذا دليل لما للعالم من تقدير واحترام وطاعة.

٢— وفي رواية أخرى للإمام الصادق عليه السلام حيث يقول:

□(من اكرم فقيهاً مسلماً لقي الله يوم القيمة وهو عنه راض ومن اهان فقيهاً مسلماً لقي الله يوم القيمة وهو عليه غضبان)

٣— وقد لقى هذا الفقيه الذي يرضى الله عن المرء باكرامه وينصب

□ (لا تخفن عبداً آتاه الله علماً فان الله لم يحقره حين آتاه إياه)

٤— وورد عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام قال:

□ (وحق سائسك بالعلم التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع اليه، والاقبال عليه، وان لا ترفع عليه صوتك، ولا تحيب احداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدث في مجلسه احداً، ولا تقatab عنده احداً، وان تدفع عنه اذا ذكر عنك بسوء (اي تدافع عنه) وان تستر عيوبه وتظهر مناقبه ولا تخالس عدواً ولا تعاد له ولها فاذا فعلت ذلك، شهد لك ملائكة الله بأنك قصده وتعلمت علمه لله جل اسمه لا للناس)

٥— كان الإمام الرضا(ع) جالساً وبين يديه جماعة من كباربني هاشم من ولد على وفاطمة وكلهم سادة اجلاء وشوريون وكبار في السن، فاذا بولد حدث يدخل فيهب الإمام واقفاً اجلالاً له، ثم يناديه اقبل.. اقبل.. اقبل.. حتى يجلس عنده، وما ان عاد الى مجلسه رأى الجالسين قد ازلوا رؤوسهم وآيات الغضب في اعينهم كأنما أهانهم الإمام(ع)— فقال لهم:

□ (مهلا .. انتي لاحترمه لأن الله احترمه، فهذا عالم والله فضل العلماء على غيرهم)

من خلال الروايات والآيات التي مرت بنا نجد ان المجتمع الإسلامي يحترم العلم، يحترمه اكثر من احترام السن، واكثر من المال، أو النسب، أو السلطة، اليس الاسلام يقول عن علاقة العالم وصاحب السلطان هذا المبدأ العظيم:

■ (اذا رأيتم العلماء على ابواب الملوك، فبئس العلماء وبئس الملوك، واذا رأيتم الملوك على ابواب العلماء، فنعم العلماء ونعم الملوك)

اذن ليس من الغريب ان ترى شباب هذا المجتمع يندفعون نحو تحصيل العلم والفضيلة، فينمو في هذا المجتمع العلماء الذين يصبحون قادة له. من هنا نسجل نقاطاً ثلاثة نرجوا ان تتحقق لمجتمعنا القيادات الكفوءة وتسد نقصه في الكوادر.

## • العلم يصنع القيادات الصالحة

ان مجتمعنا الاسلامي – وبعد عهود التخلف والظلم – قد تخلى مع الاسف عن تلك الميزة الراقية، فأصبح لزاماً على الحركة الاسلامية: ان توجه الجماهير، وبالاحاج، الى ضرورة احترام العلم كعلم، والعلماء كعلماء، تماماً كاحترام القيم الالهية الاخرى، وذلك لأن هذا الامر ضروري لنا في اعداد الكوادر وتشجيع حركة التعليم الديني، كي تنهار القيم المزيفة، والقيادات الجاهلية، والكيانات الفاسدة، وتنهض مكانها: القيم الالهية، والقيادات الرسالية الوعية، وحكومة العدل الاهي العالمية، القائمة على اساس العلم والمعرفة والتقوى، يظهر في مجتمعنا عناصر شابة وقيادية امثال اسامة بن زيد او اياس القاضي حيث لم يتتجاوز عمر اسامة (١٦ أو ١٧ سنة) أما اياس فله قصة مع الخليفة العباسى، فحينما وفد الخليفة العباسى على البصرة، وجد شاباً يتقدم مجموعة كبيرة من اصحاب العمامات واللحى البيضاء. فقال: «اف هذه الشعانيين اما كان منكم رجل يتقدمكم حتى يتقدم هذا الصبي؟» ثم سأل اياس قائلاً واضاف: كم عمرك يا صبي؟ فاجاب اياس بكل ثقة: —عمري عمر اسامة بن زيد حين امره رسول الله (ص) على جيش فيه ابوبكر وعمر وكبار الصحابة— قال: احسنت، تقدمهم! هكذا كان المجتمع الاسلامي في السابق رغم أنني لا ابرئه من الانحرافات، ولكن كان من الممكن ان ترى في ذلك المجتمع شاباً عمره لا يتتجاوز الرابع السادس عشر (وبعد قرنين او اكثر من انتشار الاسلام) كان يتقدم كبار الفقهاء، لأن هذا المجتمع كان يحترم العلم للعلم، ولم يكن يقدم العمر او النسب على العلم.

وكان هذا التشجيع يدعو الشباب الى الجد في تحصيل العلم، الى درجة نرى بعض الفقهاء يصبح مجتهداً مستنبطاً قبل ان يبلغ الحلم (كما ينقل عن شخص الفاضل الهندي)، كما ونجد العلامة الحلي رضوان الله عليه انه يصبح مرجعاً على للطائفة في شبابه، ويصبح السيد بحر العلوم مرجعاً أعلى ولا يتتجاوز الثلاثين من عمره، وهذا شيء لا يعيينا، بل على العكس انه دليل على شباب المجتمع وحيويته

فمجتمع يهتم بالعلم دون المقاييس الجاهلية تجد شبابه يهتمون بتعلم العلم، لأنهم يعلمون انه قيمة اساسية للمجتمع، فيذكر ان شريف العلماء(رض) والذي أصبح مرجعًا أعلى في زمانه وعمره في حدود الثلاثين، انه طيلة السبع سنوات الأخيرة من حياته الحافلة بالفضائل لم يطفيء الضياء ليلاً، انه كان يسهر في المطالعة والتحصيل، ولم يتم خلال سبع سنوات متواصلات في الليل اشتغالاً بطلب العلم، وقد التفت المسلمين حوله حينما وجدوه أهلاً لذلك، ولم يستصرعوا عمره. ينقل التاريخ ان أحد فقهائنا الكبار، حينما تقدم به السن، وكان المرجع الأعلى في عصره، صعد المنبر وقال: (أيها الناس هذا تلميذ يبدو انه اصبح أعلم مني، وقد كبرت في السن فأرجوكم ان تغيروا تقليدكم اليه بدلاً عنّي والتفضل الناس حول التلميذ).

## ● بـ دور الجماهير في تربية القيادات

لأشك ان الاسلام الذي يحترم العلم والعلماء لا يعني فقط ان يقوم المرء اجلالاً للعالم حين يدخل المجلس ثم يقبل يديه، وانما احترام العالم قد يكون بمساعدته على تحصيل العلم وتوفير الاجواء المناسبة لتحصيله.

ان بناء المدارس الحديثة لطلبة العلم ، واختيار اذكى ابنائك وافضلهم واكثرهم التزاماً بالدين والاخلاق للدراسة، وتهيئة الكتب والوسائل الدراسية، وابتعاث الطلبة الى المراكز العلمية، وتوفير احتياجاتهم حين يتخرجون من دراساتهم، هي بعض معاني احترام العلم والعلماء.

لذلك ينبغي على الحركات الاسلامية وعلى الجماهير المؤمنة ان تهتم بالعلم والعلماء وان تنشيء المدارس التي تخريج كواذر للحركة الاسلامية.

اننا نجد في العالم الغربي: الوف المدارس والمعاهد، التي تعد المتعلمين لمناهضة

الحركات الاسلامية، فالمؤسسات التابعة للبتاباغون ووكالة الاستخبارات الامريكية والمخابرات الروسية.. وغيرها تعكف – الان – على اعداد جمومعات من الكوادر المثقفة مهمتها مناهضة الحركات الاسلامية ب مختلف الوسائل والاساليب، وفي مقابل ذلك ماذا أعددنا نحن؟ ان الواجب يفرض علينا ان نشيد المعاهد التي تخريج الكوادر التي تتصدى لخطط الاعداء ومؤامراتهم.

وفي هذا الصدد هنالك سؤال يفرض نفسه علينا بقوة واللحاج في هذه الآونة، لماذا لا نربي الكوادر عبر المدارس التي ننشئها لهذا الهدف بعنایة فائقة؟.. بل لماذا نترك خيرة شبابنا يذوبون في الصراعات الاجتماعية الفاسدة؟. لماذا لا نهيئهم للعمل الاسلامي كالخطابة والادب والفقه والتاريخ الاسلامي والتفسير وعلم النفس وعلم الادارة وما اشبه؟.

## ٤٠ جـ - بلورة التجارب

اننا مدعون اليوم وقبل اي شيء آخر ان نجمع تجاربنا ونرکزها، وما لنا لا نجمعها وقد دفعنا من أجلها الدماء الغالية؟ لماذا لا نجمعها ونرکزها في كتب وكراسات ثم نلقنها للجيال الصاعدة من شبابنا، من ابناء الحركة الاسلامية؟ فكل جيل لاشك يبدأ بتجاربه، ولكن لماذا يبدأ من الصفر، لماذا لا يبدأ من حيث انتهى الآخرون؟.

ان هذه التجارب ثمينة لأنها كلفتنا الوف، بل ملايين الشهداء ودفعنا الثمن باهضاً حتى وصلنا الى بعض اهدافنا، فلم لا نسجل تلك التجارب؟ اخشى ان يتداولها الآخرون وهم أعرف بتجاربنا متا؟.

ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والغرب جيئاً يكتبون اليوم على دراسة آخر التقارير التي تصلهم عبر الحكومات العمilla أو عبر شركات التجسس أو الاحزاب

العميلة لهم، ويعكرون على دراسة تلك التقارير ليستخلصوا منها تجارب مقاومة الحركات الإسلامية، بينما نحن نحمل تجاربنا الذاتية، دون تسجيلها، أو بلورتها ودراستها.

لماذا لا يوجد في طول العالم الإسلامي وعرضه معهد واحد لدراسة التجارب الشورية للحركة الإسلامية؟ لو سألنا اليوم شاباً مسلماً متعلماً عن تجارب الحركة الإسلامية في القرن الماضي أو حتى في بداية هذا القرن اتراء يعرف شيئاً عنها؟ ربما القليل من الشباب يعرف، لأن الكتب التي تبحث ذلك غير موجودة، والدراسة غير مهيأة، بل الاهتمام بها مفقود.

لقد علمنا في المدارس ~~والكثير~~ عن الثورة الفرنسية، والثورة الأمريكية، والثورة الروسية، وأشياء كثيرة من هذا القبيل، لكننا لم ندرس شيئاً عن حركة الرائد السيد جمال الدين الأسد آبادي المعروف بالأفغاني الإسلامية.. ولم يعرف شبابنا في تلك المدارس كيف كانت تلك التجربة هل نجحت أم فشلت، وإلى أين وصلت، وما هي آثارها؟

ومن ابنيانا درس حياة الميرزا الشيرازي (قائد ثورة التباek في إيران) أو درس ثورته؟ وكم منا درس تجربة ثورة العشرين في العراق؟ وتجربة الحركات الإسلامية في شمال أفريقيا؟ بل إن اغلب المسلمين لا يعرفون شيئاً عن أكثر الحركات الإسلامية، بل انهم لا يعرفون حتى اسماءها، فكيف بتجاربها ومصادر قوتها أو ضعفها وانتصاراتها أو فشلها، لابد ان نلاحظ هذه التجارب ونسجلها ونقلها الى الجيل الصاعد امثالاً للحديث الشريف:

#### ■ (مداد العلماء خير من دماء الشهداء)

اني اوجه الكلام الى العلماء والمفكرين والكتاب، ان كان مداد العلماء خيراً من دماء الشهداء، فاما لان العلماء يتحملون مسؤولياتهم في بلورة البرامج الكافية

لانتصار الشهداء، ان على مداد العلماء ان يدعم دماء الشهداء بتسجيل تجارب الشهداء ليروي للجيل القادر ماذا صنع الشهداء من آبائهم وان يحمل رسالة الشهداء.

### \* ايها العلماء والمفكرون:

ان رسالة الشهداء لا تتم ان لم تسجلوها وتكتبوها وترسموا خارطة لدمائهم، فلماذا تذهب دماء شهدائنا هدرًا؟ لماذا لا نعرف عن مناضلينا وشهدائنا في العراق وفي مصر، وفي ايران، وفي لبنان، وفي افغانستان وفي كل مكان من عالمنا الاسلامي الانزلاً قليلاً في ثورة العشرين، وماذا فعلوا وكيف ضحوا بأنفسهم.

لقد قام الاستعمار البريطاني – في العراق – وعبر عملائه الذين توارثوا العرش من الملوك الهاشميين حتى العلماء الصداميين قاموا بفصل جيلنا عن جيل الثورة، ولذلك استطاع العلماء ان يتربعوا مطمئنين على عرش العراق.

لو كان ابناء الشعب يعرفون تجارب آبائهم، شهداء ثورة العشرين، لما تمكن صدام ومرته من التسلط على رقاب جماهيرنا اليوم، ولكن فصلونا ثقافياً عن الجيل الثوري ثم استعمرونا وقهرونا، وعلينا اليوم أن نبلور الثقافة الثورية، والتجربة الاسلامية، ونعطيها بصورة مركزة للكوادر والجماهير حتى لا نلغى من جحر مرتين.

### ● كلمة الخلاصة

اذا كانت الثورة الاسلامية تقوم على دعامتين: التوعية الجماهيرية، وبناء الكوادر، فان علينا ان نجتهد في بناء الكوادر، وذلك يتحقق عبر نقاط ثلاث:

- ١— توجيه اهتمام الجماهير الى العلم والعلماء وبالتألي**ه**يئه ارضية لنمو الكوادر.
- ٢— ان يترجم هذا الاهتمام الى لغة عملية عبر بناء المدارس والمؤسسات وتوفير المال وتقديم الابناء وتهيئة الظروف المختلفة لنمو الكوادر.
- ٣— لابد لعلمائنا ان ينقلوا تجاربنا الى الكوادر بصورة مركزة.

## العوامل المساعدة للثورة

● لنجاح الثورة الاسلامية وسلامتها يجب ان تتوفر الى جانب العاملين الرئيسيين اللذين تحدثنا عنهما سابقاً عوامل اخرى ثانوية، الا أنها هي الاخرى هامة ومساعدة في ارساء استراتيجية متكاملة سليمة للثورة الاسلامية المعاصرة.

### ● العامل الاول: العمل الجذري

ويطلق عليه اعداء الاسلام تارة «العمل الأصولي»، وتارة «الانحراف» ولا ريب ان هذه التسمية –الاتهامة– ما جاءت الا نتيجة للعمل الجذري، والتحدي الصارخ. وما يستتبعه من عنف ثوري وارهاب للعدو، وقد انزلق الى هذا الفخ الذي نصبه الامبرialisية للحركة الاسلامية، بعض الكتاب «الاسلاميين» ومن يتبعهم من الحركات الذين راحوا يدعون الشبيبة الاسلامية الى الاعتدال والمحافظة، لسلب روح العنف منهم وليس هذه الدعوة –في نظرنا– خاطئة وحسب، بل وقد تكون دعوة مشبوهة. والحديث عن الدعوات المحافظة نفصله عبر نقطتين: الاسباب والنتائج.

## ● اولاًً: لماذا انتشر العمل السطحي؟

هناك اسباب عديدة تدعو مثل هؤلاء الى المحافظة، وان يخرجوا لنا افكاراً معتدلة حسب رأيهم.

### ● السبب الاول

انعدام التوكل على الله سبحانه وتعالى. والاعتقاد بان انتصار الحركة الاسلامية سوف يتحقق فقط بسبب ما تملكه هذه الحركة من قوى وطاقة ووسائل ! بينما الحقيقة ان العمل ما هو الا وسيلة، والله جل جلاله هو الناصر والمعين:

\* [انا للنصر رسالنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد] \*  
—٥١/غافر—

\* [وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى] \*  
—١٧/الانفال—

اليس في يوم حنين عبرة، حيث اعجبت المسلمين كثرتهم وقوتهم جيشهم، فحلت بهم الهزيمة؛ ليعلموا ان النصر من عند الله سبحانه وتعالى وليس من انفسهم، والحركة الاسلامية التي ترى ان قوتها في ميزان القوى اضعف بكثير من العدو، فانما هي عديمة التوكل على الله، او ضعيفة في ذلك، والا فكيف يجوز للمؤمن بالغيب، الذي يرى ان الامور بيد الله، ان يهون ويلين امام العدو؟

\* [ولا تهنو ولا تخزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين] \*  
—١٣٩/آل عمران—

يكفي ان توفر في ذاتك الایمان، والله يتولى الامر بعد ذلك، فالله ولي المسلمين وهو مولى المؤمنين، وكفى به ولیاً ونصيراً. وفي الحديث القدسي يقول سبحانه وتعالى:

[لاقطعن رجاء من يرجو غيري] ١٠٠

و يقول ربنا سبحانه و تعالى:

\*[وعلى الله فليتوكل المؤمنون]\* - ١١ / ابراهيم -

اي لا تتوكلوا على انفسكم، ولا تعجبكم قدراتكم؟ لا تحزنوا ولا تهنو لضعفكم،  
فلستم بضعفاء ، وانا عدوكم هو الضعيف.

\*[ان كيد الشيطان كان ضعيفا]\*

- ٧٦ / النساء -

فانعدام او ضعف روح التوكيل عند بعض الحركات، او عند بعض من يتسم  
قيادتها، سبب تورطها بما يسمى بالاعتدال.

## ● السبب الثاني

وقوع تلك الحركات في رئاسة التضليل الاعلامي المعادي، الذي يصور للجماهير  
المؤمنة وبشتي الوسائل انَّ الحركات الثورية الرسالية، حركات متطرفة، ومجنة،  
حيث تحدى قوة السلطان، بل قوة الدول العظمى -روسيا، وامريكا - وهي - اي  
الحركات - ضعيفة ومعزولة، وقادتها: افراد قليلون، وما الى ذلك من التشويه الذي  
يوجهنا بأننا ضعفاء.

انه العدو الذي يبث هذه الفكرة بيننا، وهو الذي يحاول تلميع صورة الرجال  
المعتدلين في الحركة، ويحاول تلوين الرسائليين الثوريين الحقيقيين، فواجبنا كجيبل  
ثائر ان ننتبه لأساليب العدو المخادع الذي يريد فصل ثوارنا الحقيقيين عن جاهirنا،  
وان نقاوم هذه الاساليب ونفضحها.

## ● الثورية في الوسائل الاعلامية

ويكفي ان تفتح المذيع على احدى المحطات، لتسمع ما يقولون عن الحركات

الرسالية، اذ يصفونها بالارهابية والتطرف، كما بالجنون والتهور، وحتى انهم لا يتورعون عن اتهام الثوار الرساليين بالعمالة.

كما انهم لا ينسون ان يصوروا الحركات الاكثر ثورية وتضاحية وفداء بأنها ضعيفة ومنبوذة جاهيرياً. علمًا بأن الجماهير لا تلتقي الا حول الحركات الاكثر نبضاً وحماساً واستعداداً للتضحية، والاقدر على التحرك والاندفاع.

ان الثلوج لا تستقطب الجماهير، وانما يستقطبها الدفء والوهج، ولنا في القصص والروايات شاهد واقعي — فـأي القصص تراها بقية عبر التاريخ — هل هي قصص البرود والحياة الراكدة العادبة، أم قصص المخوب والصراعات والمغامرات والمفاجئات؟ وايهما أكثر انتشاراً هل هي مذكرات موظف في دائرة البريد أو البلدية، أم مذكرات القيادة والسياسيين وال العسكريين، وهل نقرأ قصة شخصية عادبة عاشت بين المنزل والوظيفة ثم انتهت، أم قصة تتعلق بالجماهير والمجتمع، والصراع والتضحية والسجن والاعتقال والارهاب والتحدي...؟

## • الثورية .. بين التطرف والاعتدال

ان التصوير الاعلامي الخاطيء الذي يدعى ان الجماهير ترفض مثل الحركات الصدامية، وكأنما الجماهير دجاج خلقت لتذبح ويتصرف بها الطغاة — كما يشاؤون — انا هو محاولة من الطغاة لسلب الثورية من ضمير الحركات الاسلامية، وبالتالي قتل الامل الثوري في نفوس الجماهير.

ان الطغاة عبر اجهزة الرقابة الدقيقة يفتثرون عن العناصر الثورية فرداً فرداً، ويدرسون حياتهم فيفرزون العناصر الاكثر ثورية وحماساً وتضاحية، او تطرفاً — كما يزعمون — فيقومون بتصفيتهم، اما العناصر الليينة التي يمكن تركيعها، فانهم يعتقلونها، وبعد عمليات التعذيب تسلب منهم الارادة الثورية، ليطلق سراحهم

بعدئذ.

وكثير من العناصر والقيادات الذين خرجوا من السجون، خرجوا وهم يحملون نفسيات مهزومة وارة محطمة خائرة.

وانني اشك في بعض العناصر الذين خرجوا من السجن رغم ان البعض الآخر كان السجن سبباً لشحذ عزائمهم، وصلابة اعوادهم، ذلك لأن الصنف الاول خرجوا وقد انهاروا، ومثل هؤلاء من الذين عاشوا في الحركة الاسلامية طويلاً، ثم غيّبهم ظلمات الزنزانات والمعتقلات أربعة عشر عاماً، أو سبعة عشر عاماً، فان الجماهير ولا شك لا تنظر اليهم الا عبر ساقطيهم النضالية، لذا فهي تتلف حولهم، ولكن كم هي خيبة الجماهير حينما تكتشف ان هذا المناضل أصبح مناضلاً ضد من يسميهما بالمتطرفين، ويصدر البيانات، ويجري المقابلات الصحفية، ولكن ضمة من يضخون بأنفسهم للاطاحة بالطاغوت، او ليس من الافضل مثل هؤلاء «المناضلين» ان يعدموا في السجن..؟ او ليس الاعدام اشرف لهم ليصبحوا شهداء؟

ان الذي خرج من السجن غير الذي دخل؟ لم يعد له مكان في صفوف الحركة الاسلامية وخروجه منها، أولى من بقائهم فيها بهذه الصورة. كانت هذه دواعي فكرة الاعتدال، اما نتائج هذه الفكرة فهي:

## • ثانياً: نتائج العمل السطحي

### ١ - نفور الجماهير

ان الحركات المعتدلة تتصف بتفكك القيادة، وضعف عزيمة القادة وقلة القرارات السياسية الحازمة، وتتصف اخيراً بضعف في التوعية، ذلك لأن الشباب اي شباب، مستعد ان يتحرك من أجل بلاده ومقاومة سيطرة الاعداء لاصلاح العالم، ومستعد لو طلبت منه في سبيل هذا الهدف ان يعطيك كل ما تحتاج ولو كانت النفس لأنها يبذلها من أجل هدف عزيز. اما اذا طلبت منه ان يضحي من أجل اجراء بعض

اللمسات التغيرة الظاهرة في هذه الحكومة او تملق مع ابقاء النظام القائم، فان ذلك الشاب حينئذ سيرفض ذلك وبشدة.

ان ذلك الهدف السامي قد تزعزع في نفس الشاب، لذلك انفض الشاب عن الحركات المعتدلة، وهذا انهزمت هذه الحركات المعتدلة امام الحركات الثورية في التاريخ، لأن اتباع الحركات المعتدلة لا يضخون من أجل اهدافها القشرية أو الجزئية، بينما الخطيب الثوري حين يبحث مستعمليه على النهوض من أجل تغيير جذري في الحياة البشرية، لكي يقلعوا جذور الفساد، ويساهموا في اسعاد الملاليين، فانه آنئذ يلهبهم ثورة وحماساً.

ومن هنا فان الحكومات تسعى دائمأ للحصول على تنازل من الحركات الثورية ولو في خطوة واحدة، لأنهم – ان تنازلا بطريقة او باخرى للحكومات – فلن يكون التنازل الاول، بل سيكون النزول الاخير، لأن في الحركة شباباً سيفقدون ثوريتهم، أو ينفصل عن هذه الحركة، الافراد الاكثر ثورية وتضحية، وحينما يفقد تيار الحركة او لثك الفتية المضحين – بالرغم من قتلهم – فان هذا التيار سيفقد قوته، وفي مرحلة لاحقة سيكون من السهل على الحكومات تصفيية الحركة كلها.

حينما ذهب رئيس احدى حركات التحرير الثورية الى الامم المتحدة وهو حاقد لحيته، علقت عليه بعض الصحف بكاريكاتور يظهر رئيس الحركة يخلق حيته بموس مكتوب عليه «موس الاعتدال» ومنذ ذلك اليوم فقدت حركته الكثير من قدرتها.

ان الاستعمار لا يخشى الحركات المهاينة المسالمة كالدجاج ! لأنهم يستطيعون ذبحها وقتما يشاوفون، واما يخشى من حركات الصقور والعقاب ومن مخالفها، فان استطاعوا استئصال المخالف، فسوف يطمئنون الى تفوقهم، وهذا يريدون تجرييد الحركات من اسلحتها، في حين ان العدو يتمتع بكل الاسلحه، اما الحركة فانها قتلت سلاح عدم اعترافها بشرعية النظام، فاذا اعترفت، فانها حينئذ قد جردت من كل اسلحتها، فماذا قتلت الحركة بعد ذلك اذا اعترفت بشرعية الفساد؟!

## ٤—سيطرة العدو

ان النظام الذي يستند على دعامتين من الداخل والخارج، يمتلك او يسعى امتلاك كل اسباب التسلط والقوة، فالحركات لا تواجه حائماً كي تصبح حماماً، واما تواجه نسوراً فلابد ان تصبح عقاباً، «ان لم تكن ذئباً اكلتك الذئاب»

العدو الذي يتسلل بالارهاب. يمتلك الوسائل التسلحية والوسائل القمعية من سجون ومخابرات و... ويتمتع بقوات عسكرية لا تمتلكها أية حركة، ويملك وسائل تضليلية، اضعف الى ذلك انه لا عهد له ولا شرف.

حينما سكتت بعض الحركات عن انور السادات هل سكت هو عنها؟، وحينما لم يقاوموا خيانات (كامب ديفيد) هل نسيهم .. ام زج بهم في السجون؟

ان الاعداء لا شرف لهم، ولا يجدر ان تتعامل معهم بقيم الشرف، والا فسوف تكون غبياً اذ حرام ان ن nisi وادعين مطمثين في ارض السبع، اننا لا نعيش في ظل حكومة العدل او في مجتمعات مدنية، واما نعيش في عالم الغاب، الذي يأكل القوي فيه الضعيف، وهل تخدعنا المحاكم المزيفة، فاين المحاكم المستقلة؟ واين القاضي المستقل؟ اين الحرية وأى انتخابات تجري عندنا؟ وما نوع البرلمانات التي تقوم في اوطاننا؟ ومتى كانت تعبر هذه المجالس النيابية عن ضمير الشعب؟ ومتى تنازل حاكم لارادة الجماهير طواعية وبمحض اختياره؟ وان اراد ان يتنازل هوفان من حوله لا يدعونه يفعل! فعلام تخدعنا الالفاظ، دعنا ننظر الى الواقع ممارستهم القمعية ونقضهم للقوانين — التي وضعوها هم بأنفسهم — اذا شعروا بالخطر. انهم يبعدون الكرسي من دون الله ويختارون رغبة أسيادهم.. لا ارادة شعوبهم! ولا يتورعون — في سبيل الحفاظ على عروشهم — عن استخدام كافة الوسائل البعيدة عن الشرف والدين، وازاء هكذا اعداء كيف نلتزم بالهدوء والوداعة والتوصيحة والوعظ؟ وهل نستطيع التحرك مساملين بالوعظ والارشاد؟ حتى ولو ان نظاماً من الانظمة كان معك، فان الاستعمار اذا رأى منه ذلك وعرف انه سوف يسقط امام قوة وحكمة الحركة الاسلامية، فإنه سرعان ما

يبدلہ بنظام عسکری ارهابی۔

لقد اعد الاستعمار بمجموعة من الحكام على مختلف المقاسات، وكافة الانواع، وهو يأتي بالعميل المناسب منهم حسب ما تتطلبه الظروف والوضع القائم. ولذلك فنحن لا نحارب الانظمة الحاكمة عيناً في الظاهر، وإنما نحارب من هم وراءها من المستعمرين، نحارب جذورها وخلفياتها، وما يملكون من قوات واساليب متطورة. من هنا علينا ان نتسلح حسب سلاح العدو الذي نحاربه.

### ٣—سهولة الاختراق

ان جدران الحركات المعتدلة هشة يسهل اختراقها من قبل العلماء والجواصيس، وذلك بالانحراف في صفوفها، ومن ثم التسلل الى قيادتها وبعدئذ يحكمون الشعوب باسمها.

على الحركات الاسلامية ان لا تسمح لنفسها بان تكون مطية الجواصيس والعلماء! كما عليها ان تتيقظ وتحصن نفسها ازاء هجمات العدو، لاسيما الهجمات غير المنظورة، فان العلماء حتى ولو لم يتمكنوا من التسلل الى القيادة، فان وجودهم بين صفوفها بحد ذاته خطر على الحركة، حيث يجعل تحركها مكشوفاً للعدو فيبطش ببطشه القاتلة في الوقت الذي يحملوه.

## ●التاريخ وحركات الصدام

لقد كشف التاريخ مرتين: ان الحركات الرسالية الثورية هي التي انتصرت، بينما سقطت الحركات المحافظة المسالمة، مرة حين يحدثنا التاريخ عن قصص الانبياء(ع) وتحديهم للطغاة، ومرة حين يحدثنا عن الثورات الحديثة.

اما بالنسبة الى تاريخ الحركات الرسالية فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام

كانوا يتخدون الوضع الفاسد بأبعاده كافة، لذلك فحرّكاتهم كانت ثورية جذرية، فنوح عليه السلام يتحدى قومه قائلاً:

\* [اجعوا امركم ثم لا يكن امركم عليكم غمة، ثم اقضوا الى ولا تنظرون]\*

- ٧١ / نون-

وابراهيم(ع) اول ما يعلن حركته، يعلنها بهدم أصنام مفروذ ومملئه وهي اقدس مقدساتهم ويفضي في تحديه الى غاية المطاف !!

وموسى(ع) يأتي الى فرعون ويسقه احلامه ويدعوه الى الله ، رغم جبروت فرعون واستكباره في الارض.

وعيسى عليه السلام يسير على نفس الخط. وكذلك فعل الرسول الاعظم محمد بن عبد الله(ص) اذ قام بهدم الاصنام في مكة المكرمة، وحينما جاء وفد ثقيف من الطائف واستأذنوه ان يبقى لهم صنفهم (اللات) لمدة ثلاثة اشهر يتمتعون برؤيته رفض النبي(ص) ذلك، وما زالوا يحاولون معه وهو متمسك بالحق وعازم على تحطيم (اللات) وبعدما يئسوا من كل محاولة لهم قالوا للنبي(ص) اننا نوافق على هدمه ولكننا لا نستطيع ان نكسر صمنا بأيدينا فاكسره أنت، فقال(ص) لكم ذلك !! وقبل ان يحطم أصنامهم، ولكن رفض ان يمهلهم في عبادة الاصنام ل يوم واحد وجراً من أجل ذلك جيشاً لحربهم من أجل ان لا يرضخ لهذا الشرط، وهذه هي سمة الحركة الرسالية في التاريخ.

اما الحركات الشورية الحديثة، فان الجناح الاكثر تطرفاً في اي ثورة، سواء في الثورة الفرنسية بعد سقوط الباستيل او في الثورة الروسية بعد سقوط القياصرة، هو الجناح الذي تسنم السلطة وبالتالي، وذلك لانه كان يتمتع بالميزات التي سبقت الاشارة اليها وهي:

\* القدرة على اتخاذ القرار.

\* وحدة الصف والكلمة.

- \* حاس الانصار واندفعهم.
- \* الاستعداد للتضحية والعطاء.
- \* صعوبة الاختراق.

## ● العامل الثاني: التنظيم

ان العدو يحاربنا بنوعية مدرسة وختاره، فهو لا يحاربنا بالكم (الكثافة) فحسب، ولكن بالكيف (بالنوعية) ايضاً. ومن دون التنظيم، فاننا لا نستطيع ان نركز قدراتنا، ونوجه طاقاتنا، ونربى شبابنا، وفتلك النوعيات المناسبة لراحل الصراع المختلفة، زيادةً على الامكانيات الضخمة التي هي بحوزة العدو، فإنه يتلذث شبكات تنظيمية هائلة القوة والانتشار، مهمتها القمع والارهاب باسم الأمن أو المخابرات، أو باسم الدفاع الوطني، وهي مزودة بمختلف الوسائل التكنولوجية، ومساحة بالوعي التنظيمي الكافي، بالإضافة الى الشبكات الجاسوسية، وحسب مذكرات «مس بل» الانجليزية فإن هذه الجاسوسة البريطانية استطاعت ان تتسلل الى الحركة التحريرية العراقية واستطاعت ان توجه كثيراً من الثوار، وتضلل الحركة التحريرية العراقية في ذلك الوقت.

ولوتسنى لنا أن نقرأ مذكرات (لورنس) البريطاني الذي يسميه البعض زوراً (لورنس العرب) لعرفنا الكثير عن الجواسيس.

ولا ريب ان الاستعمار الذي كان قبل حسين عاماً يملك جواسيس من هذا النوع لا يزالاليوم موجوداً، ولا يزال يمتلك جواسيس كاوئلاً أو اكثر دهاءً ومكرًا. ولن تتمكن شعوبنا من اكتشافهم طالما استمرت حالة الفوضى واللامنظيم التي نعيشها.

وما دام العدو يتمتع بنوعية ممتازة من العملاع يتواجدون عبر اجهزته التنظيمية المختلفة فإنه ينبغي على المسلمين ان يملكون عدد ما يملك العدو من الرجال المنظمين

والكفاءات الادارية والقدرات التنظيمية والعناصر التي تنفذ الى قلب العدو وتسلل الى اجهزته، من الخبراء العارفين بطبيعة العدو، وهذا لا يمكن تحقيقه الا عبر اجهزة تنظيمية.

## ● المنظمات طليعة الجماهير

ان المنظمات ليست بديلة عن الجماهير، ولكنها ذراع الجماهير، وقلبها النابض، وعقلها المفكر، ومن اکثر خطط الاستعمار مكرأً وكيداً وخطورة، خطة فصل المنظمات الاسلامية عن الجماهير بشتى الوسائل.

ان كافة اجهزة العدو تسعى من أجل فصل القيادات والمنظمات الاسلامية الشورية عن الجماهير، لاسيما وسائل الاعلام التضليلية التي تتخذ من اخطاء المنظمات ومن بعض أقوال قيادتها، وقلة خبرتهم، وتجربتهم سبباً وذرية للايقاع، وتوسيع الشقة بين الجماهير والصفوة من أبنائها.

ان على المنظمات الاسلامية الثورية ان تكون ذكية كي لا تعطي العدو ذريعة تضخيم الهوة، وجعلها وسيلة للفصل بينها وبين الأمة. وعلى الجماهير ان لا تخضع لأبواق العدو، فتصدق كل ناطق! بل عليها ان تكون بصيرة وناقدة لا تأخذ الكلام على عواهنه، والا في يوم القيامة سوف تأتي الصفوة من أبنائنا الشهداء والمضحيين والمناضلين يشكرون الى الله مثنا، لأننا أسانا الظن بهم، ولم نقدرهم حق قدرهم، كمبادرين الى العمل الاسلامي وسباقين في هذه الساحة المقدسة.

ان هذه الصفوة مباركة، وأمتنا اما تبقى ببركة هذه الصفوة التي يحبها الله، لأن الله سبحانه وتعالى يحب الشباب الحشّع أوليس الحديث الشريف يقول:

■ (لولا اطفال رضع، وشباب خشع، وشيخ رقع، وبهائم رتع، لصت البلاع عليكم صبا)

فهؤلاء الشباب الحشّع يحبهم الله ويكرمههم، لأنهم مجاهدون في سبيله فحذار ان

يدفعنا الشيطان لبغضهم، والابتعاد عنهم، أو الخوف منهم، بل علينا ان نساعدهم، فهم الدرع الواقي لنا، واليد الضاربة لجماهيرنا، فلا يخندعنكم الشيطان ولا يغرنكم بالله الغرور.

تسلحوا بالوعي واطمئنوا الى هؤلاء العاملين، وان كان لديهم اخطاء فان اخطاءهم سوف تزول عن طريق التلامح معهم، ووضع التجارب الكافية بين أيديهم، وبسط ال ידי اليهم بالتعاون والمحبة والصدق.

## استراتيجية الثورة الاسلامية

### ١— الثورة على التخلف

● لا ريب ان المسلم فور ما يلتزم ببرامج السماء فانه سوف يتقدم على الانسان المتحضر (انسان الحضارة الغربية) بخطوات واسعة، لأن الانسان المتحضر غربياً لا يمتلك الروح والارادة والبرامح والبصرة التي يمتلكها المسلم الرسالي.  
اذ ان الانسان المتحضر—ان جاز لنا أن نسميه كذلك—لا يملك درجة من الفضل بقدر ما يملكه المسلم الرسالي، وتلك الدرجة هي العلم.

### ● العلم سلاح الثورة

وكما يعلو الحق على الباطل فان العلم يعلو على الجهل اذ ان العلم يهدي الى الحق، بينما الجهل يدعو الانسان الى الباطل، وهذا جاء قول الباري عز وجل:

\*[يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات] \*  
— ١١ / المجادلة —

فالانسان الذي يعلم أفضل من لا يعلم، كما ان الانسان المؤمن افضل من غيره،

وكما ان المؤمن يفوق غير المؤمن بدرجة، والعالم يفوق غير العالم بدرجة .. فانه آنذاك يتعادل المؤمن غير العالم مع العالم غير المؤمن (وطبعاً ذلك في درجة الفضل في الدنيا) فلماذا يبقى العالم غير المؤمن مسيطرًا في الأرض؟

اننا نريد للانسان الرسالي ان ينتصر على غير الرسالي، وان يمسك بيده أزمة الأمور لينقذ الحياة من براثن الجاهلية، ولا يمكن له ان يكون كذلك الا اذا سيطر على قوة ذاته، وتحكم في نفسه، وشارك الآخرين في قواهم التي منها العلم، فشارك العالم في علمه، وتميز عن الآخرين بiamane.

ومن هنا كان لابد للرسالي أن يتسلح بالعلم، وحين اقول العلم فاني لا أقصد العلم بالبصيرة القرآنية وبالفقه فقط، اما اقصد ايضاً من العلم ذلك الجزء الآخر وهو العلم بالدنيا وبوسائل التقدم.

ان الهدف البعيد للثورة الاسلامية ليس فقط اللحاق بركب الحضارة الحديثة، بل وسبق هذا الركب عن طريق العلم والایمان، الا ان الهدف لن يتحقق الا بوسيلة من جنسه، كما يقتضيه القانون المعروف، فلا يمكن للنار ان تصنع الثلج، ولا يمكن للثلج ان ينبع الحرارة، ان كل علة تتشابه مع معلوها، وكل معلوم يتتشابه مع علته —حسب تعبير الفلاسفة—.

لذا لا يمكن للانسان ان يحصل على العلم، عن طريق الجهل، كما لا يمكن له ان يصل الى الحق عن طريق الباطل، بل العلم يولد العلم، والحق يؤدي ويهدي الى الحق، وبناءً على ذلك لا يمكن لثورة اسلامية ان تلحق برركب العالم الحضاري الا اذا بنيت منذ انطلاقها على العلم اساساً، وكان من اهداف ابنائها منذ ان صمموا على التحرك والثورة، الحصول على علم الدين اضافة الى علم الدنيا.

فعلى سبيل المثال لا يمكن لأي عسكري أن يطبق برنامجاً حضارياً متقدماً بمجرد القيام بانقلاب عسكري.

ان احد الاسباب الرئيسية لفشل الانظمة الحاكمة في بلادنا (الاسلامية) في  
اللحادق بركب الحضارة الحديثة: هو ان المهيمن على البلاد من القادة هم بذاتهن  
(جهلة) لا يمتلكون العلم «وفاقد الشيء لا يعطيه» فكيف اذن يستطيعون ان يرفعوا شأن  
العلم وهم في انفسهم جهلة؟

ان الثورة الاسلامية ومنذ البدء لا تنطلق الا من منطلق الایمان والعلم معاً، لذلك  
فكل ثائر ينتمي لهذه الثورة يحاول ان يصل الى درجات رفيعة من العلم، العلم  
بالسياسة، والاقتصاد، والاجتماع، وبالتكنولوجيا الحديثة، وبالرياضيات،  
والفيزياء، والكيمياء، وكافة الامور.

## ● الثورة والتكنولوجيا

لماذا لا تستفيد الحركات الاسلامية – حتى اليوم من وسائل العلم الحديثة؟ لماذا  
لا تستفيد من الاشرطة والفيديو والكمبيوتر، ووسائل الاختزال ومن المناهج العلمية  
الحديثة؟

ان هذه الوسائل ليست حكر أحد، فالعلم لا يأب له ولا ألم، ولا حدود، ولا زمن،  
ولا مكان، انه فوق الحدود والقيود.

لما ي يكن العالم الذرة الامريكي أو الروسي ان يدعى أنه قد وصل هذا المستوى  
بمفرده، أو لأنه كان امريكيأً أو روسيأً، بل الصحيح انه بلغ هذا المستوى عبر تكامل  
العقل البشري منذآلاف السنين، فلقد تكاملت النظريات الفلسفية اليونانية  
والحساب الهندي والمنطق البنياني والنظريات العربية وتفاعلـت حتى وصلت أوجهها  
عند هذا العالم، فالعلم لا يملك جنسية روسية أو امريكية، ولذلك يحق لنا ان  
نتساعل..

لماذا نأبى — كحركات اسلامية — الحصول على العلم والاستفادة من وسائله؟  
لماذا يستفيد أعداؤنا من الاجهزة العلمية دون ان يستفيد؟  
لماذا نعتقد أنها لا نستطيع أن نبعث بشبابنا ليتعلموا الكمبيوتر إلا بعد انتصار ثورتنا؟ إننا اذا اعتقدنا ذلك فلن يأتي النصر لأنَّه لا يُبْنِي، ولا ينْبَغِي له، ان يكون على هذا الاساس.

## ● الثورة وتطوير المناهج

فعل سبيل المثال، اشرنا فيما مضى الى أهمية تركيز التجارب الموجودة لدى الحركات الاسلامية، ومحاولة نقلها من جيل الى جيل، ليبدأ كل جيل من حيث انتهى الجيل الماضي، لامن الصفر اي من حيث ابتدأ، ونحن ان اردنا التقدم في مجال تدوير العلم وتجمعيه تطبيقاً للحديث الشريف:

■ (اعلم الناس من جع علم الناس الى علمه)

فلا يمكننا ان نستغني عن المناهج الحديثة.

## ● الثورة واستخدام الوسائل

نسبة المنطق الحديث — مثلاً — الى المنطق القديم، كنسبة المصباح الكهربائي الى ذلك الفانوس البدائي الذي كان يستعمله آباءُنا رحمةُ الله، صحيح ان هذا تطوير لذلك، فالصباح الكهربائي تكامل في مسيرته من الفانوس، بل من الشمعة، ولكن شتان بين هذا وذاك، فلا يمكننا أن نحمد على المنطق الأرسطي، حتى ولو أضيفت اليه اضافات الفارابي، وابن سينا، وصدر المتألهين، رضوان الله عن الطيبين منهم، كما لا يمكننا أن نستغني عن المنهج الاجتماعي، والمنهج الاداري، والمنهج العلمي، في المسائل النفسية فيما نحن نتقدم في مجال الثورة الاسلامية.

## ● الثورة واستخدام الوسائل

لابد من استخدام وسائل العلم الحديثة، اذا أردنا تجميع المعلومات والمحافظة عليها، فلا غنى عن الوسائل الحديثة، «الكمبيوتر» و «الكاميرا» لجمع وطرح وتجميع وتفريق المعلومات المختلفة. وفي مجال العمل، الى متى تبقى الحركات الاسلامية مكتفية بشعار العلم دون ان يتحول الى واقع عملي في عمق البرامج اليومية، فالحركة الاسلامية اليوم لا تستطيع أن تترك الحمار للانتقال من بلد الى بلد، أو تكتفي ببعث رسالة دون ان تستفيد من الهاتف، فكذلك لا يمكننا ان نستغنى عن الكمبيوتر شيئاً أم شيئاً.

ان العالم يسير بسرعة نحو عصر الالكترونيات..! واليوم يدخل الالكترون في كافة مجالات حياتنا. انظروا الآن الى الساعات التي في أيديكم تجدون كثيراً منها الكترونية..أليس كذلك..؟ مادام الامر كذلك فلماذا لا يدخل الالكترون معكم..؟

لماذا لا تضمون الالكترون عضواً في حركة حركة الاسلامية؟

سجلوا اسمه، انه ينفع الاشرار فما المانع أن ينفع الابرار..؟

## ● الثورة وتدوين التجارب

لماذا لا نكتب تجاربنا مع أننا بحمد الله قد تجاوزنا مرحلة الامية؟ لماذا لا نتحول التجربة الى قاعدة في حياتنا؟

ان توجيهات الاسلام تؤكد علينا بضرورة محاسبة الذات، أفلأ يدل ذلك على ضرورة اختزال التجارب، وتطويرها، وبلورتها، وتحويتها الى قاعدة سلوكية؟

ان الامام الصادق(ع) يقول:

□ (ليس منا من لم يحاسب نفسه كل يوم)

ويقول في حديث آخر:

□ (قيدوا العلم بالكتابه) □

أولاً يدل هذان الحديثان – اذا جمعا معاً – على ضرورة ان يجلس الرسالي منا في نهاية يومه، ويكتب تقريراً عما فعله في ذلك اليوم، ثم يجمع في نهاية الاسبوع، او الشهر تقاريره، فينظر فيها، ثم يستفيد من تجاربها ناجحة كانت أم فاشلة؟

على الرسالي ان يحول ذلك الى قاعدة يعطيها بعد ذلك الى اخوته واخواته والذين يعطونه – بدورهم – قواعدهم التي استخلصوها، لأنه لابد لنا من بناء حياتنا على العلم أساساً منذ اللحظة الاولى.

هذا هو الاسلام، يأمرنا ولا نملك الا السمع والطاعة. وجاء في الحديث: ان الامام علي بن ابي طالب(ع) يقول لكميل:

□ (واعلم بأنه لابد لك قبل كل جولة من فكرة) □

أو كما يقول الحديث الشريف عن المؤمن:

■ (طوبى لمن كان سكته فكرة ونظره عبرة)

بل والقرآن يؤكده:

\* [ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلأ سبحانك فقنا عذاب النار] \* [آل عمران – ۱۹۱]

\* [قل سيروا في الارض ثك انظروا كيف كان عاقبة المكذبين]

\* [واعتبروا يا أولي الابصار]

– ١١ / الانعام –

\*[افلا يتفكرون]\*

\*[افلا يعقلون]\*

\*[افلا يتدبرون]\*

فماذا تعني هذه الآيات...؟

اذا كان المؤمن يمر منذ الصباح الى الليل بتجارب وتجارب ثم لا يسجلها ، واذا سجلها لا يتذكرها ، واذا تذكرها لا يعطيها للآخرين و يأخذ منهم أمثالها ، فهل نفذ تعاليم الاسلام؟

لقد أمرنا الاسلام بالجلوس في مجالس العلم ، وقال بأن الملائكة تضع اجنبتها تحت أقدام طالب العلم رضاً به تتمسح به بأجنبتها حين صلاته تبركاً به ، فلم امرنا بالجلوس والتذاكر؟

أوليس شئون الامة الاسلامية مما تهم المؤمن؟ أوليس الاهتمام بطرق العمل ، واستراتيجية التحرك ، ونكتيك العمل ، مما يهم المسلم ..؟

اذا كان كذلك فلم لانتفكراً..؟ فهذا هو معنى تدوير المعلومات ! وناهيك عن تطوير التجربة العلمية الذاتية ، فان بامكان الحركة الاسلامية ان تبدأ بتوجيهه أبنائها الى العلم والابداع والابتكار ، فاذا بالحركة الاسلامية تصبح رائدة لحضارة جديدة ، افضل ما لدى امريكا ، وما عند اوروبا وما في روسيا . لان العالم المحيط بنا بعيد واسع الآفاق ، وما اكتشف منه لا يشكل سوى نقطة من بحر اذا نسبناه الى ما لم يكتشف منه ، وكما كان للأوروبيين تجربتهم في الحضارة ، وكان للأمريكيين كذلك تجربتهم ، ولروس تجربتهم ، ولليابانيين تجربتهم ، نحن بدورنا ايضاً يمكننا ان نقتحم مجالاً جديداً ، وتكون لنا تجربتنا الخاصة بنا ، ان تحررنا في هذا المجال وتحررنا كأدمغتنا .

وكلما استفدنا من العلم بالإضافة الى ما نملك والحمد لله من قوة الایمان ، كلما

أعطينا زخماً جديداً لهذه الحركة باتجاه التقدم السريع.

## ٢— استقلال الثوار

لا يشكل الاستقلال هدفاً من اهداف الثورة الاسلامية فقط، وانما هو وسيلة ايضاً في بلوغ الهدف او بكلمات اخرى .. لا تصبوا الحركة الاسلامية الى تحقيق الاستقلال بعد الانتصار فقط، وانما تحرص على تحقيقه حتى في مرحلة النضال.

عندما نرفع شعار الاستقلال لبلادنا عن الشرق والغرب نبدأ بتطبيق هذا الاستقلال عملياً في واقعنا، ومن هنا فان السياسة الحكيمية لكل حركة اسلامية قائمة على اساس «الشرقية ولا الغربية» اي رفض كل ألوان الجاهلية في الارض، وهذا لن يتحقق الا بالاكتفاء الذاتي والاعتماد على النفس.

انك ان احتجت الى احد فانك ستصبح تابعاً له، كما يقول الحديث الشريف:

■ (احتاج من شئت تكن أسيئه، واستغن عن شئت تكن نظيره، واحسن الى من شئت تكن اميره)

اذا أردت أن تقول «الشرقية ولا الغربية» لابد ان تدفع سلفاً ثمن هذا الشعار، وليس من الصحيح ان تقول «الشرقية ولا الغربية» ثم تدريك اليمنى للغرب، ويدرك اليسرى للشرق، فانها ليست سياسة ولا استقلال.. ! وكيف تستطيع ان تقول «الشرقية ولا الغربية» وانت تطلب المساعدات من الشرق والغرب، وتعطي مقابل ذلك كل ما عندك من مال ودين وشرف؟

## ٣— لا .. للتجزئة..!

اذا أردنا ان نستقل عن الشرق والغرب فنحن نعيش في عالم يحيط بنا احاطة البحر بالجزيرة، بينما تتلاشى المسافات بين حدوده، وتندمج أبعاده اكثر فأكثر، كلما

تقدمت وسائل الاتصال بين تخومه، فهل نستطيع ذلك ونحن على ما نحن عليه من تجزئة.

ان تعيش جزيرة صغيرة وسط هذه التيارات العالمية دون ان تخضع لها فذلك محال، ولا يمكن لبلد صغير كبعض البلدان الاسلامية، الصغيرة هنا وهناك: ان تعيش بمفردها في خضم التيارات العالمية، ولا يمكننا ان نرفع علمًا لبلد اسلامي لا يتجاوز تعداد سكانه ثلاثة الفاً في مقابل علم الولايات المتحدة الامريكية التي يبلغ عدد سكانها اكثر من مائتين وستين مليوناً، او مقابل علم الهند او الصين الذي يقارب تعداد السكان في كل واحد منهما حوالي المليار. ثم يسأل الصيني كم عددكم فتجيب: ثلاثة الفاً، فيسأل لك مندهشاً وفي أي فندق تعيشون؟ لا يمكن ذلك..!

بل نستطيع عن طريق تعبئة قوة الف مليون انسان مسلم ان نقول لذلك الصيني: نحن لا نعيش في فنادق، وانما في ارض وارضنا واسعة جداً تتد من طنجة الى جاكارتا، نستطيع ان نقول ذلك بله أفواهنا وبكل قوّة.

وحينما ت يريد الحركة الاسلامية ان تستقل عن التيارات الشرقية والغربية فلابد ان تتلاحم بذات النسبة مع سائر الحركات الاسلامية، لابد ان تكون الحركة الاسلامية اعصاب الامة المترابطة مع بعضها لأنها هي التي توحد أبناء الامة، فان كان الطبيب مريضاً فكيف يمكن ان يدعى مداواة الناس وهو عليل..؟ اذا كانت الحركات الاسلامية ذات الرسالة الواحدة والتي تهدف الى تحقيق شعار الامة الاسلامية الواحدة، هي التي تسقط في شرك التجزئة، وتعترض بشرعية الحدود السياسية التي زرعها الاستعمار بين أقاليمها، وبشرعية القوميات، وبشرعية الجنسيات، فكيف تستطيع الادعاء بأنها ستكون الامة الواحدة؟

وكيف تستطيع الحركة الاسلامية هذه: ان تدعى قدرتها على بناء بلد اسلامي حر واحد، اذا كانت في الطريق الى ذلك تقع في شرك الطائفية، والطائفية يغذيها الاستعمار في بلادنا؟!

ان العالم اليوم يرفض حروب الطائفية، والانسان المسلم لا يريد ان يرجع الى الوراء الى العصور التي كان فيها يتقاتل لمجرد ان احدهم يقول بخلق القرآن والآخر يقول بتنزيله، او من أجل اختلاف في طريقة وضوئهم، او زياده، او نقص في مسح آذانهم، كلا..

فالحركة الاسلامية التي ت يريد ان تبني مجتمعاً اسلامياً عصرياً، لابد وان تتجاوز الطائفية، ولا بد من طرح بدليل عن هذه الخلافات والفرقـات جانباً، لأن تلامـم الحركة الاسلامية سـبيل لانتصارها، واني لا أقول مجرد عدم الخلاف، ف مجرد عدم الخلاف يؤدي بـنا الى الخلاف، واما اذا أردنا الاختلاف فلا بد ان نتلامـم، ونضع الاستراتيجيات الواحدة. بدون التحالـفات والتـفاعـلات الاستراتيجـية، فـانـه من السهل على الاستعمـار ان يفرقـ بينـنا.

## ● الكمال والتكمـل

انـا لا ندعـوا الى الوحدـة لمـجرـد الشـعـارـ، وـاما نـدعـواـ اليـهاـ لـعلـمـنـاـ أـنـ وـحدـةـ الطـاقـاتـ سـوفـ تـسـبـبـ فيـ تـكـامـلـيـةـ الطـاقـاتـ، فـالـبعـضـ يـمـلكـ القـوـةـ العـدـديـةـ. وـالـبعـضـ الآـخـرـ يـمـلكـ الـقـيـادـاتـ وـكـثـرـةـ الـكـوـادـرـ، وـالـطـرـفـ الثـالـثـ يـمـلكـ المـالـ، وـالـرـابـعـ يـمـلكـ الـقـدرـةـ عـلـىـ التـحرـكـ، وـآـخـرـ يـمـلكـ طـاقـةـ آخـرـ، يـمـكـنـ انـ تـتـفـاعـلـ الطـاقـاتـ وـتـكـامـلـ، وـكـلـنـاـ نـذـكـرـ قـصـةـ الـأـعـمـىـ الـذـيـ حـمـلـ رـجـلـاـ أـعـرـجـ عـلـىـ كـتـفـيهـ وـقـالـ: لـهـ أـنـاـ أـسـيرـبـكـ وـأـنـتـ تـنـظـرـ لـيـ، وـالـلـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ قـدـ خـلـقـ الـكـوـنـ، هـكـذاـ.. حـيـثـ فـضـلـ بـعـضـ النـاسـ عـلـىـ بـعـضـ، لـيـتـخـذـ بـعـضـهـ بـعـضـاـ سـخـرـيـاـ. فـيـ بـعـضـ الـبـلـادـ حـيـثـ لـاـ تـبـعـ قـطـرـةـ وـاحـدـةـ مـنـ الـبـتـرـولـ تـتـسـعـ الرـقـعـةـ الـخـضـرـاءـ إـلـىـ مـاشـاءـ اللـهـ، تـغـدـقـ الـخـيـرـاتـ الـزـرـاعـيـةـ، وـفـيـ بـلـدـ آـخـرـ حـيـثـ تـتـفـجـرـ الـأـرـضـ يـنـابـيعـ بـالـذـهـبـ الـأـسـوـدـ، أـرـضـهـ جـرـداءـ وـزـرـاعـتـهـ عـدـمـ، فـالـلـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ هـكـذاـ خـلـقـهـ وـأـرـادـ لـهـ مـاـ يـحـتـاجـ الـوـاحـدـ لـلـآـخـرـ.

رـجـلـ يـرـفـعـ يـدـيـهـ عـنـ الـإـمـامـ الصـادـقـ وـيـدـعـوـ: «الـلـهـمـ لـاـ تـخـوـجـنـيـ إـلـىـ خـلـقـكـ أـبـداـ»

فيلتفت الإمام الصادق(ع) اليه و يقول: (هذا لا يكون فلابد للناس من بعضهم ولكن  
قل: «اللهم لا تمحوني الى لئام خلقك»).

فالاحتياج موجود والكمال لله وحده، فإذا نحن تفاعلنا مع بعضنا وتعاوننا فسوف نستغنى عن غيرنا وإلا—مع الاختلاف لا سمح الله—فسوف نضطر إلى التعاون مع أعدائنا، وهذه سنة الحياة.

#### ٤- كيف نطور التجربة الاسلامية؟

لابد من محاولة تطوير التجربة الإسلامية حسب المفاهيم الإسلامية الأصيلة، بما يتناسب مع الظروف المتغيرة، فالبعض يزعم بأننا سوف نجلس بعد انتصار الحركة الإسلامية ونفسر القرآن أن شاء الله ونقرأ الحديث، ونفهم التاريخ، ولكنني أقول: كلاماً..!

ان الانسان الذي يحمل في نفسه رواسب متخلفة من نظارات تاريخية رجعية لا يمكنه التحرك في الحياة السياسية. لابد للحركة الاسلامية ان تكتب التاريخ الاسلامي حسب فهمها للإسلام، لا ان تراجع تاريخ ابن الاثير فقط، أو تاريخ الواقدي والمسعودي.

\* [تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولهم ما كسبتم] \*

—١٤١/البقرة—

وهذا يستتبع ايضاً ان كل امة لها ما كتبت ايضاً، والكتابة جزءٌ مما اكتسبته الامة، وما اكتسبته الاجيال، واولئك قد كتبوا لأنفسهم ونحن نكتب لأنفسنا حسب حاجاتنا، وكل جيل يجب ان يكتب تاريخه. بل ينبغي لكل جيل ان يكتب تفسيراً للقرآن الحكيم لأن مثل القرآن مثل الشمس، كل يوم تشرق الشمس على يوم جديد والانسان يستفيد منها فوائد جديدة. وهكذا القرآن الحكيم، كل جيل يجب ان يستوعب من آيات القرآن ما يحتاجه هو.



### **الفصل الثالث:**

- دور الانسان الرسالي في الثورة الاسلام
- كيف نبني الانسان الرسالي؟
- الثورة بين الارادة والظروف
- الانسان الرسالي بين حب الله وخشيه



## **دور الانسان الرسالي في الثورة الاسلامية**

- تعتمد الثورة الاسلامية على نظرية تعتبرها حجر الزاوية، تلك النظرية هي «اصالة الانسان» فما هي هذه النظرية؟

### **● «اصالة الانسان» في الاسلام**

جاء الاسلام ليقرر على لسان الوحي ..

\*[ولقد كرمنا بني آدم وحلناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على  
كثير من خلقنا تفضيلا]\*

—/الاسراء—

واضاف:

\*[واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة]\*  
—/البقرة/٣٠—

كما قال:

\*[هو الذي جعلكم خلائق في الارض]\*  
—٣٩/فاطر—

وبهذا التقرير فقد ألقى بكل الثقل على الانسان.  
والانسان — باعتباره الموجود المكرّم والمفضّل على كثير من الخلق، وباعتباره الخليفة في الارض، حيث من نسله خلفاء الله في الارض وهم الانبياء والائمة الهداء — يجعله الاسلام محوراً في هذا الوجود؛ فهو الاصل في الحياة الدنيا، بينما سائر ما في الطبيعة وما تفرزه من متطلبات — بما يسمى اليوم بالاحتياطات — ليست الا توابع وفروع لذلك الأصل.

فليست الشمس مركز الكون، وليس القمر كل شيء في المنظومة الشمسيّة، ليس التراب والماء والهواء، وبالتالي التاريخ والمجتمع والثقافة والوراثة بحتميات، بل الانسان، والانسان المؤمن، بالذات.

ولو كانت هذه الامور حتمية، لما تكامل الانسان ولا تطور، فالاسد يبقى في الغابة ملايين السنين، كما هو لا يتغير، ولا يتتطور، ولا يتقدم ولا يتكامل. والحمامة هي الحمامنة منذ ملايين السنين، وستبقى الى ماشاء الله من السنين القادمة، دون أن يطرأ عليها تغيير أو تقدم في جانب وجودها، فالذى منع الحمامنة من التطور، وسلب الاسود قدرتها على أن تتطور وتبني حضارة وهي ملوك الغابة، ومنع كافة الحيوانات من التغير والتطور، اغا هي حتمية الظروف المحيطة بها، والتي تعكس في واقعها بصورة غرائز تسيرها.

ولو كانت هذه الغرائز هي القائد في الانسان، وتجري حياته وفق السنن والقوانين والأنظمة الطبيعية، والبيئة المحيطة به، لبقي — كما كان — قبل مليون سنة، وسيستمر كذلك ولن يتغير. الا أنها نرى ان الانسان يتطور ويتکامل، اي انه يقهر هذه الاحتياطات بتحديه للظروف، يبني ويهدم ويعمر الارض ويخترق الجبال ويسير غور المحيطات، ويعزو الفضاء ويخطم النّرة، فهو مختلف عما في الطبيعة من احياء

ومخلوقات، وفي هذا دليل بسيط وفطري جداً على: ان الانسان هو «الانسان» قبل ان يكون ايناً لمجتمعه، أو تابعاً لأرضه، أو عبداً للمال والطقس والغذاء وكل ما يحيط به، فهو المهيمن عليها ويبقى بذلك وجوده وقدرته وارادته اصلاً ومركزاً بين متغيرات الكون.

وهذه هي نظرية اصالة الانسان التي نادى بها علماء الاسلام إلا أنها بالطبع لا تدل على أنها اصالة .. أمّا الله تعالى القاهر فيقيوم.

## ● لماذا «اصالة الانسان»؟

ان الانسان أصل، لأن الله سبحانه وتعالى أراد له ذلك، وأراده أن يكون مركز الخليقة، أما تلك النعم التي ميزته فهي:

- ١- نعمة العقل .. ليميز بين الخير والشر، ويعرف الحق من الباطل.
- ٢- نعمة الارادة .. ليتخذ موقفه حسب ما يمليه عليه علمه.
- ٣- نعمة الوحي .. لتعيد اليه توازنه وتثير دفائنه عقله.

ولولا تلك النعم، لأضحمي كالأسد في الغابة، أو الحوت في البحر.

وان نظرية اصالة الانسان، مقياس يعرف به مدى نجاح الثورات فلا تكون ثورة على حق الا اذا اعتمدتة. وكلما كان ايمان الثورات باصالة الانسان وقدرته على التحدي اشد، كلما كان نجاحهم اقرب، وكانوا أقدر على تحدي الصعب.

اما ان قتلتنا اراده التحدي في نفس الانسان، بأن أوحينا اليه: بأنه محكوم بسلطة، أو مجتمع أو بوراثة، وبألف قانون وقانون، فاننا لن نستطيع ان نطالب به بالثورة وتحدي القيود.

وهل نستطيع أن نطالب الاسود بالثورة على اوضاعها في الغابة..؟ أو نطالب

النبات بالتمرد على سنن الطبيعة؟ أبداً. ومادام الأمر كذلك فاننا لا نطالب بالثورة الا الانسان القادر، وعليه فان مفهوم الثورة يعادل: مفهوم القدرة على تحدي الظروف. بهذه المقدمة نتوصل الى الموضوع الرئيسي وهو «الانسان الرسالي» الانسان المكلف بالثورة.

فمن هو؟.. وما هي مواصفاته؟

وما هي معايير الثورة الداخلية عند الانسان؟

وقبل الاجابة على هذه التساؤلات اقول: لو طالعت جميع المذاهب الفلسفية وبحثت في كل النظريات الثورية وتعمقت في كافة الأديان والمعتقدات، لما وجدت أبداً—وأنا اتحدى— نظرية أو ديناً كالدين الاسلامي وفلسفة القرآن الكريم، يعتقد باصالة الانسان بحق، اذ ان كل المذاهب الأخرى—حتى ولو قالت نظرياً انها تعتقد باصالة الانسان— الا أنها تسرب هذه الاصالة خلال برامجها التفصيلية.

فالنظرية الماركسيّة تعطي الاصالة لوسائل الانتاج..!

والنظرية الليبرالية تعطي الاصالة للاقتصاد..!

وحينما يُقسم العالم الى معمشرين فانهما: المعسكر الاشتراكي، والمعسكر الرأسمالي. ونحن نعرف ان الاشتراكية والرأسمالية، نظامان اقتصاديان، وليسَا مذهبين فلسفيين، مما يدل على ان عالم اليوم يؤله الاقتصاد مقابل اصالة الانسان.

حتى نظريات الأمس، كنظرية أرسطو، أو أفلاطون، أو سقراط، فيها نوع من الجبرية، (وبتعبيرنا اليوم نوع من الحتمية) فان الفلسفة اليونانية على اختلاف مشاربها لم تستطع ان تبين فلسفة حرية الانسان.

بينما الاسلام—والاسلام وحده— استطاع ان يقول: خلق الله المشيئة ثم خلق الاشياء بالمشيئة، وهو الذي يقول:

\* [وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ] \*

—٢٩/ التكوير—

وحرىته ملهمة من ارادة الله، فهكذا شاء سبحانه ان يكون الانسان حرّاً.

والنظرية المعروفة لدى المسلمين تقول: كل شيء ينتهي إلى ما بالذات، وما بالذات لا يعلل، وكل الحوادث تنتهي إلى ارادة الانسان، وارادة الانسان هي ارادة الانسان، ليس لها علّ خارجية.

واصلة الانسان تعطي الثورية لأصحابها، وهنا استعیض عن مصطلحاتي السابقة بـ المصطلحات جديدة، حيث للاسلام مصطلحاته الخاصة، والاسلام لا يفهم الا بمصطلحاته ومنهجه.

## ● من هو الثوري الحق؟

لا يقول الاسلام «الثوري» ولكنه يقول «المؤمن» لأن المؤمن أعظم من الثوري، لأن المؤمن هو المتقى، والصابر، والمستقيم، والمتوكل على الله، المستعين بالله، نحن لا نفهم هذه المعاني من لفظة «الثوري».

فعلينا ان لا نستعين بالمصطلحات الحديثة ان أردنا ان نفهم الاسلام ومكونات الشخصية الایمانية المتكاملة، بل نفهم الاسلام من داخله حسب ألفاظه المميزة ومنطقه الخاص.

ان أهم ما يدعوه الاسلام ويبيئنه — في هذا المجال — هو «الايمان» و«روح الايمان» ولكي نوضح هذا المصطلح القرآني نقول:

هناك سلسلتان من الصفات النفسية تختلفان عن بعضهما:

## ● أ— مراحل المعرفة

السلسلة الاولى تبدأ هكذا: الوهم، فالشك، فالظن، فالاطمئنان، ثم العلم، فالاليقين، فعلم اليقين، فحق اليقين، فعين اليقين، وذلك أرقى درجات العلم والمعرفة ولتقريب الفكرة الى الذهان دعنا نضرب لذلك مثلاً:

تحت تأثير الظلم والارهاب قد يفترض أحد— ولو بنسبة واحد الى ألف— بأن هناك «ثورة ما» سوف تندلع نتيجة للاوضاع الفاسدة مرحلة «وهم»، وخلال معايشتك للناس تسمع هسأً بأن الشعب ساخط على الاوضاع، هنا تبدأ عندك مرحلة— «الشك» وهذه مرحلة متقدمة عن الوهم، بعد حين يأتيك صديق يخبرك عن توزيع منشورات سرية، وكتابات على الحيطان، هنا تبدأ مرحلة «الظن» بصحبة الخبر، وبعد فترة يأتيك اخوك ليخبرك بالمنشورات والكتابات الثورية، وشاهدان عادلان يبعثان في نفسك «الاطمئنان» بعد هذا يأتي اليك ابنك وبين يديه: بعض تلك النشورات التي وزعت فيحدث عندك «العلم» آنذاك تقرأ المنشورات فيصبح لديك «الاليقين»، ولكن حينما تذهب الى أماكن أخرى وتشاهد بعينيك الكتابات الحائطية، وتتجدد انواعاً أخرى من المنشورات، يصبح عندك «علم اليقين»، وما ان تندلع المظاهرات الجماهيرية امام عينيك حتى يكون عندك «حق اليقين» فاذا شاركت الجماهير وانخرطت في المظاهرات، وبدأت مع الناس في تحدي السلطات فآنذاك يصبح عندك «عين اليقين» بوجود ثورة ضد النظام، وهذه هي المرحلة التاسعة والأخيرة في مراحل المعرفة.

وهناك سلسلة أخرى بالنسبة (للإيمان) وهي تلتقي مع السلسلة الأولى عند مرحلة اليقين.

## ● ب— درجات الإيمان

الجحود ثم الشك المنهجي، فالاطمئنان ثم الاسلام، فالإيمان فالاليقين، فعلم

اليقين، فحق اليقين، فعين اليقين.

«الجحود بالله» قد يكون الفرد في البداية في درك، ثم يلتقي بصديق مؤمن و يبدأ معه النقاش حول العقائد فيرتفع الى مستوى «الصلالة» أو «الشك» حيث يبدأ التشكيك حول وجود الله والجنة والنار الخ.. أما حينما تعرض عليه الأدلة والبراهين يصل الى مرحلة «الاسلام»، حيث يقبل كل ما بقوله له المؤمن، وبعد الاسلام تأتي درجة «الايمان» حيث يقول آمنت واعتقدت كما يقول ربنا:

\*[قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا]\*

— ١٤ / الحجرات —

الايام مرحلة متقدمة على الاسلام، وبعد التلفظ باللسان يتحول الاعتراف بالجنهان الى عمل بالاركان، وهنا يتدرج الايمان من اليقين، الى علم اليقين، فحق اليقين، وبعد ذلك عين اليقين، تلك المرحلة التي يقول فيها الامام علي(ع):

□ (لو كشف لي الغطاء ما أزددت يقيناً)

ففي مرحلة اليقين تتحدد السلسلتان، والايمان هو أهم شيء في هذه السلسلة.

## ● حقيقة الايمان

فالايمان اذعن القلب بما يكشفه العقل، فالقلب يخشع والارادة تخضع، وهذا هو جوهر الايمان، تسليم النفس بصورة كاملة لما يتحقق لدى الانسان من العلم، ولكن الايمان ليس بهذه البساطة، ولا يمكن ان نعرفه كذلك.. هناك حديث شريف عن الرسول(ص) يعرف لنا الايمان:

■ (الايمان وقر في القلب وعمل بالاركان)

وفي حديث آخر:

## ■ (الإيمان تصدق باللسان وعمل بالاركان)

هذا هو الإيمان، وهذه هي الموصفات الخارجية للإيمان، وللإيمان جانب آخر هو تأييد الله للمؤمن (بروح الإيمان).

ذلك أن المؤمن – أي مؤمن – يلاحظ كيف يأتي إليه الشيطان موسوساً مشككاً ضاغطاً، إلا أن المؤمن يبقى كالجبل ثابتاً لا يتزحزح، لماذا؟ لأن الله سبحانه يؤيده بالروح، فالمؤمن ينوي أن يعمل صالحاً والله يؤيده بالروح.

وإذا امتلك الإنسان روح الإيمان فلا تخفي عليه، لأنه أقوى من الجبل كما يقول الإمام الصادق(ع)، «لأن الجبل ينال منه والمؤمن لا ينال منه»، خذ فأساً واذهب إلى الجبل واضرب عدة ضربات..! تجد الصخر يفتت..! ولكن لقتل المؤمن فأحياء الله ثم قتل فأحياء الله ثم فعل به ذلك ألف مرة لما ازداد الإيمان، هذا هو المؤمن..!

المؤمن أقوى من الحديد لأن الحديد يتغير بالنار والمؤمن لا يتغير بالنار، وقد يصل المؤمن إلى درجة أن يقول للشيء «كن فيكون» كما يقول الله سبحانه وتعالى للشيء: «كن فيكون» وذلك للروح التي عند المؤمن بتأييد العلي القدير.

لابد من الاشارة إلى أن تلك الروح ليست «روح القدس» فروح القدس خاصة بالأنبياء.

إذ يؤيد الله سبحانه أنبيائه بروح القدس لنحهم «العصمة»، بينما يؤيد الله سبحانه المؤمنين بالروح لنحهم «العدالة» والفرق بين العصمة والعدالة كالفرق بين النبي والمؤمن..!

والمؤمن في الدنيا غيره في الآخرة، الإنسان يرى المؤمنين كسائر الناس أو أقل، ولكن في الآخرة يشعرون الواحد منهم في مثل ربعة ومضر، – وهو قبيلتان كبيرتان كانتا في الجزيرة العربية يضرب بكثرتهم المثل: –

ونحن نسائل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من عباده المؤمنين المؤذين بتلك الروح،  
ويوفقنا في هذا الشهر الفضيل لما فيه الخير والبركة لنا، ومن خلالنا لأمتنا، ويجعلنا  
قادة ندعو بأمره لما فيه خير الجماهير.



## كيف نبني الانسان الرسالي؟

\*[فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير\* ولا تركناوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنتصرون\* وأقم الصلاة طرق النهار وزلفاً من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاركرين\* واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين\* فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلاً من أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين\* وما كان ربكم ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون]\*

(صدق الله العلي العظيم)

— ١١٢ / ١١٧ —

من الناحية الموضوعية هنالك فرق بين الثورة والثائر، كما ان هنالك فرقاً بين الظروف التي تصنع الثورة وبين العوامل التي تنمي روح الثورة في الثائر.

فمن هو الثائر..؟ وما هي الثورة..؟ لنعرف الفرق بينهما..!

الثائر: هو الانسان الذي يشكل محور الحياة على هذا الكوكب.

وكما سبق القول فيما مضى انه لو لا: تطلع الانسان نحو بناء حضارة أفضل، ولو لا ثقة الانسان بقدرتة على هذا البناء، ولو لا قوة التوكل على الله — والذى بفضلة

سينتصر الانسان على العوامل الذاتية والخارجية، التي تكبل الانسان وتحاول حصره في حدود ضيقة— ولو لا كل ذلك لبقي الانسان يعيش في الغابات والكهوف كما كان آباءنا الأولون، ومن هنا فالتأثير اذن قبل الثورة، لأن الانسان هو الذي يصنع الثورة.

ولكن هنالك فرق بين انسان يخضع لظروفه، ويستسلم للعوامل المحيطة به معتقداً بالحتميات، (حتمية المجتمع—التاريخ—الوراثة—الاقتصاد)، وبين انسان رفض الخضوع لأي آلية ماعدا الله الكون الواحد الاحد الذي أعطاه الحرية، وفتح أمامه آفاق الحياة، فملايين البشر من النموذج الاول لا يساون واحداً من النموذج الثاني، لأن ملايين الناس من هذا النوع (النموذج الاول) كما يقول الامام علي(ع):

#### □ (هم رعاع اتباع كل ناعق)

لайдانون في الفضل واحداً من يصفه الامام علي(ع) بأنه:

#### ■ (عالم رباني أو متعلم في سبيل نجاة)

فمن هم الهم رعاع..؟

### ● الهم رعاع

تجمعت في بعض البلاد أيام الصيف أنواع من الحشرات تشبه البعوض، بالملايين، لكن ما ان تهب ريح عاصفة حتى تتراقص فيها ذات اليمين وذات الشمال. والهم رعاع من البشر هم مثل أولئك الخاضعين للحتميات، ويتبعون كل ناعق، حسب توجيهاته يميناً ويساراً، وهؤلاء لا يساون — عند الله انساناً — من وزن العالم الرباني الذي يتحدى الحتميات، ويصنع المستقبل للانسان.

ولهذا كان التأثير ليس بحاجة الى ظروف خارجية ليكون ثائراً، مثلاً: في عصرنا كان الامام الخميني حفظه الله، ثائراً منذ أربعين عاماً أو أكثر، الا ان وجوده — كثائر — لم يكن يخلق الثورة التي لها ظروفها الموضوعية والذاتية الخاصة بها، والتي لا تقتصر عليه بصلة، فالتأثير كان ثائراً، ولكن انتظر حتى نضجت الثورة فاقتطفها (ومقتطف الثمرة في غير أوانها كزارع في غير أرضه) كما يقول الامام علي(ع).

### ● ذرية ثورية

الثورة بحاجة الى توعية الجماهير، ورفع مستواهم العقلي، اعطائهم الثقة بالذات، توفير التنظيم الكافي، تعبئة طاقاتهم، الى غير ذلك من العوامل الموضوعية والذاتية التي يجب ان توفر جميعاً، حتى تتحقق الثورة.

وقد كان للرسالات السماوية هدفان بالنسبة للحياة البشرية والمجتمع الانساني:

#### ● الهدف الاول:

خلق الثورة الشاملة، ثورة على الوضاع الفاسدة، ثورة على التخلف والفقر والمرض والجهل، وعلى سائر المفاسد الاجتماعية الظاهرة منها والباطنة.

#### ● الهدف الثاني:

إن الرسائلات السماوية تهدف تربية ذرية توارث الرسالة. سلسلة متتابعة من الثوريين ضد الباطل.

فإن لم تكن الظروف مناسبة لخلق الثورة، فلا أقل تكون هناك مجموعة رسالية يتوارثون هذا المشعل، كيلا يخبو نوره، وينتظرون الظروف المناسبة لتفجير الثورة: كلما حانت الظروف، كلما فجروا ثورتهم.

هؤلاء يشبهون البذور الطيبة التي تبقى تحت التراب منتظرة المواسم الخيرة، فأنـتـ الـيـومـ تـحـرـثـ الـأـرـضـ وـتـرـعـ، وـتـبـقـىـ الـبـذـورـ مـدـفـونـةـ تـحـتـ التـرـابـ لـاـ تـهـزـ وـلـاـ تـحـرـكـ ، وـتـبـقـىـ هـكـذـاـ حـتـىـ يـأـمـرـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ السـحـبـ أـنـ تـسـقـيـ الـأـرـضـ مـطـرـاـ، فـتـهـيـأـ الـظـرـوفـ لـتـبـنـيـتـ هـذـهـ الـبـذـورـ الـمـوـدـعـةـ فـيـ رـحـمـ التـرـبـةـ، وـهـكـذـاـ الـإـنـسـانـ الـثـائـرـ. الـإـنـسـانـ الـثـائـرـ هـوـ الـإـنـسـانـ الـذـيـ يـبـقـىـ يـنـتـظـرـ الـظـرـوفـ.

## ● الثورة استقامة

والاحاديث التي سوف نستعرضها فيما بعد، يهدف اكثراها هذا الهدف المقدس، وهو ايجاد مجموعة من الناس تنذر نفسها لله، والآيات الكريمة التي مررت في بداية الحديث تتمحور حول هذه النقطة، وخلال تدبرنا فيها بعمق نتعرف على حكمة اجتماعية هامة من حكم الاسلام. [فاستقم كما أمرت].

الاستقامة هي المحور الذي تدور حوله سورة هود، ولا تشير الى هذه الكلمة [الاستقامة] الا في نهاية السورة، بعد ان تتحدث عن استقامة نوح وابراهيم وهود وصالح وموسى وانباء اخرين(ع) ومواجهتهم للطغاة والفساد. بعد هذا يقول ربنا سبحانه وتعالى في نهاية السورة مخاطباً رسوله(ص)، وبالتالي مخاطباً المؤمنين:

\*[فاستقم كما أمرت ومن تاب معك]\*

أي عليك أنت والمجموعة الخيرة الفاضلة الذين يحومون حولك، كما تحوم الفراشة حول الشمعة ، عليكم جميعاً أن تستقيموا:

\*[ولا تطغوا انه بما تعملون بصير]\*

وهنا يأمر الباري عز وعلا بالاستقامة في ظروف الانتصار «بعدم الطغيان» وفي

حال الهزيمة «بعدم اليأس» فتكونوا أبطالاً، تتعالون على الهزيمة كما تتواضعون في حال الانتصار.

\*[ولا تركوا الى الذين ظلموا فهم سكم النار]\*

فعل المجموعة هذه—حال الانتصار أو الهزيمة—أن تستقل، بعدم الركون لأي جهة كانت، لا للشرق خشية الغرب، ولا للغرب خشية الشرق.  
ولا تستمد الدعم من قوة طاغوتية متجبرة، لاخضاع قوة طاغوتية متجبرة أخرى.

\*[وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون]\*

تأكيد بالاستمرار على الاستقامة وطلب النصر من الله—ومن الله فقط—لا من الشرق حيناً والغرب اخر، فإن الله سوف يكلمكم إلى انفسكم وإلى أولياءكم في الشرق أو الغرب [ثم لا تنصرون] وكما تبقى جذوة الاستقامة متوجهة في نفوسكم لابد من الاكثار من الصلاة.

\*[واقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل ان الحسنات يذهبن السينات ذلك ذكرى للذاكرين #واصبر]\*

تماماً كالآية الأخرى من سورة البقرة:

\*[واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاسعين]\*  
—البقرة/٤٥—

عليك ان تتسلح بالصبر، وتتزود بالبصيرة النافذة وان ترى المستقبل البعيد ولا تنظر الى هزيمتك الآن، ولكن تنظر انتصارك غالباً.

\*[فإن الله لا يضيع أجر المحسنين]\*

فلأنك كنت محسناً، فان فالله لا يضيع اجرك.

ثم ان السياق يبيّن ما يتصل بحديثنا هنا.

\*[فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض]\*

اذن إن الحكمة الاهمية تقتضي وجود [أولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض] مهمتها الاصلاح والنهي عن الفساد في الارض، مجموعة خيرة رسالية متوارثة [ذرية طيبة بعضها من بعض] يحملون مشعل الرسالة، ومشعل الاصلاح، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، واصلاح المجتمع.

\*[ينهون عن الفساد في الارض الا قليلاً من أنجينا منهم]\*

[لولا] الكلمة تحريض، يعني «لماذا لم تكن» [وأولوا بقية] في لغتنا اليوم تسمى ثواراً أو (المجموعة المؤمنة التي تبقى) وتستمر مع كل الظروف المعادية والتحديات الصعبة.

\*[واتبع الذين ظلموا ما ترقو فيه وكانوا مجرمين \* وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون]\*

اذا وجدت هذه الفئة المخلصة فانها تنقذ القرى الكبيرة من ال�لاك النام عن طريق نهيها عن الفساد في الارض .

## ●الفئة الرسالية

وهذه الآيات صريحة تقريرياً في ضرورة وجود: فئة مستقيمة صابرة مصلية تأتي الركون الى الغرب أو الشرق، باقية على استقامتها وثوريتها في طريق الحق، مهما تطاولت القرون، وتكالبت المحن.

واذن فهذا هدف من أهداف الرسائل السماوية، وهو إيجاد الإنسان الشوري قبل الثورة، سواء كانت هنالك ثورة أم لم تكن، وقد سبق القول وأكرر ان للثورة ظروفها الموضوعية، لأنك لا تستطيع تغيير الثورة وقت ماتشاء. وعلى سبيل المثال قبل انطلاق الثورة الفرنسية بعشرين سنة، انطلقت مجموعة من الكتاب والمنظرين والإداريين والموظفين والضباط، يساهمون في مجموعة من الانشطة الاجتماعية، بعضهم في المحافل الماسونية، وبعضهم في الأندية، كنادي اليعقوبيين مثلاً: وبعضهم عن طريق كتابة دوائر المعارف أو المسرحيات وما أشبه.. كان هؤلاء جيئاً يخوضون المجتمع على الثورة، ولكن متى انبثقت الثورة..؟ بعد عشرات السنين بعد ان نضجت الظروف وتكاملت العوامل، بعدما فجر الملك الغبي الثورة ضد نفسه، انطلقت آنذا شرارة الثورة.. وانتهى أمر الملكية في فرنسا.

كذلك في روسيا، فقبل ثورة اكتوبر ١٩١٧ بعشرين سنة كانت بذور الثورة موجودة، كانت هنالك مجموعات تعمل ضد القيصر، واستمرار مجتمع تعامل في الظلم، ولا أدل على ذلك مما يقال في مدح لينين بأنه تتلمذ على قدماء الثوار ما يشير الى ان لينين الذي قضى عشرات السنين يعمل قبل انتصار الثورة البشيفية كان تلميذاً للشبيبة السابقين، مما يدل على وجود اجيال من العاملين تتبعوا حتى تفجرت الثورة، وبعد هزتين عسكريتين لحقت بـ(روسيا القيصرية) هما هزيمة ١٩٠٥ امام اليابانيين، وهزيمة ١٩١٦ امام الالمان، نضجت ظروف الثورة ثم انتصرت.

والحال لا يختلف في ايران، لم تكن الثورة ناضجة في عام ١٩٦٢ م في ١٥ خرداد أي قبل حوالي عشرين سنة، بل ان الاوضاع كانت تبدو هادئة حتى عام ١٩٧٢ م وما بعدها لدرجة ان الطاغية البائد (الشاه المغدور) كان يزعم ان ايران جزيرة من الاستقرار والثبات، في بحر من الفوضى في العالم، وكانت أموال النفط تغطي سلبيات النظام، ولكن عوامل الثورة نضجت: مثلاً:

\* اسعار البترول هبطت.

\* ارداد التضخم.

- \* ازدادت بيوت الصفيح حول طهران لاسيما في الجنوب.
- \* انتشر الثوار والكتب الثورية والثقافة الثورية بين صفوف الشعب.
- \* قام الجميع بتحمل مسئoliاتهم .. كالعلماء والخطباء والمحزوات العلمية، والكتاب والمشفيفين والحركات الفدائية، وذلك تحت لواء المرجعية.

ثم تفاعلت الجهدات وتكاملت، حتى تفجرت الثورة، بينما العالم وقف مشدوها يرقب سقوط عرش الطاوس في المأواية، وتسلم الشعب زمام اموره.

اما في العراق حينما كانت مجموعة من الاخوة الثوار قبل خمسة عشر عاماً في مدينة كربلاء المقدسة والنجف الاشرف يجلسون ويتحدثون عن الثورة.. كانوا يتحدثون وهم غير مطمئنين اليها، بل ان هؤلاء الثوار لم يكونوا ليجرؤوا على التتفوه بهذه الكلمة(الثورة) للناس، ولكن ذهب نظام وجاء آخر حتى جاء صدام وأفسد في العراق فساداً لم يسبق له مثيل، حتى بلغ أوج الإحماق والسفه بشن هذه الحملة الشاذة، واعمال الحرب ضد الجمهورية الإسلامية في ايران، والآن شيئاً فشيئاً، يبدو ان ثمرة الثورة في العراق ناضجة.

اذن فالشروط الموضوعية للثورة ليست بيد الانسان، ولكن صناعة الانسان الثوري (المؤمن الرسالي) ممكنة في كل وقت، الان أو في أسوأ الظروف، فبالممكان بناء مجموعة ثورية مؤمنة، وهذا ما يريده الاسلام، وترشتنا اليه الروايات المقدسة ولسوف نستعرض في مستقبل البحث: بعضاً منها، واما كيف تعمل تلك الروايات، والى ماذا تدعوه؟ فهذا ما سنحاول ان نلقي عليه بعض الضوء الان، لتكون مدخلاً لما يأتي.

## • كيف يصنع الاسلام الانسان التاثير؟

يقوم الاسلام ببث روح الایمان في النفوس، الذي يخلق في النفس البشرية حالة من الاستقلال، والابتعاد عن الحتميات وعن الشهوات الى درجة يستطيع صاحبها ان

يتحدى كل الظروف.

وكما ذكرنا سابقاً ان حقيقة الامان، هي روح الامان التي يؤيد الله سبحانه بها المؤمن فيتحدى كل الصعاب. ونسجل هنا بعض الاحاديث الشريفة في هذا المجال لأهميتها .. ولأنها تهيد لأحاديثنا القادمة. فقد ورد عن الامام الصادق(ع) أنه قال:

□(ان للقلب أذنين، روح الامان يساره بالخير والشيطان يساره بالشر) □

اي هذا ينادي و يدفعه باتجاه الخير وذلك يوحي له و يدفعه باتجاه الشر، فأيهما ظهر على صاحبه غلبه. وقال ابو عبدالله الصادق(ع):

□(اذا زنى الرجل اخرج الله منه روح الامان) □

فقلنا:

(اي الرواة الذين سمعوا من الامام هذا الحديث): الروح التي قال الله تبارك وتعالى عنها [وابد لهم برؤح منه] فقال(ع)نعم.. ثم قال:(لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن، وإنما اعني مادام على بطنهها فإذا توضاً وتاب كان في حال غير ذلك) وفي حديث آخر جاء رجل الى امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب(ع) فقال: يا امير المؤمنين ان اناساً زعموا ان العبد لا يزني وهو مؤمن ولا يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن، ولا يأكل الربا وهو مؤمن، ولا يسفك الدم الحرام وهو مؤمن، فقد نقل علي هذا وخرج منه صدري حين ازعم ان هذا العبد يصلي صلاتي ويبدع دعائي، وبين كحني وانا كحه، ويبوارثني وأوارثه، وقد خرج من الامان من أجل ذنب يسير أصحابه؟ فقال امير المؤمنين(ع):

□(صدقت سمعت رسول الله(ص) يقول: والدليل عليه كتاب الله، اي ان هذا حديث صحيح عن الرسول(ص) ويدل عليه كتاب الله، ثم يضيف فيقول الامام علي(ع): (خلق الله الناس على ثلاث طبقات وأنزلهم ثلاثة منازل)، وذلك قول الله عزوجل في القرآن الحكيم: [اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون] فأما ما ذكره من أمر السابقين فهم أنبياء مرسليون وغير مرسليون، جعل الله فيهم خمسة أرواح ((روح القدس: وهي روح النبوة، وروح الامان، وروح القوة، وروح الشهوة، وروح البدن). فبروح القدس بعنوا أنبياء مرسليون وغير مرسليون وبها علموا الاشياء، وبروح الامان عبدوا الله ولم يشركوا به شيئاً، وبروح القوة جاهدوا عدوهم وعالجو معاشرهم، وبروح الشهوة اصابوا لذذ الطعام ونكحوا الحلال من

شباب النساء، وبروح البدن دبوا ودرجوا)).

وهكذا يوضح الامام(ع) الأرواح المختلفة التي يمتلكها الانسان وفي طليعتها روح القدس وهي روح الانبياء، ثم روح الایمان التي يزود الله سبحانه وتعالى بها المؤمنين من الناس.

وهنالك حديث آخر عن الامام الصادق(ع) أيضاً يقول:

■ أرأيت قول النبي لا يبني الزانى وهو مؤمن قال: (ينزع منه روح الایمان) قال: (ينزع منه روح الایمان؟!) قال: قلت فحدثني بروح الایمان، قال: (هو شيء لا يمكن ان نفهمه، يعني هو شيء لا يمكن ان نفهمه).. ثم قال: (هذا أجدر ان تفهمه، اما رأيت الانسان يهم بالشيء فيعرض بنفسه لشيء يزجره عن ذلك وينهاه؟ قلت نعم.. قال: هو ذاك) في كثير من الاوقات تدفعك نفسك الى شيء، ولكن هناك قوة ذاتية في ضميرك تدعوك الى التوقف عن فعله.

الامام الصادق(ع) يقول تلك القوة هي روح الایمان..

وانت تملك روح الایمان لذلك لا تقدم على هذا العمل، ولكن صديرك لا يملك تلك الروح لذلك يقتصر الشهوات، وآخر حديث نسقه في هذا المجال وهو ماورد عن الامام الصادق(ع) ايضاً قال:

□ (ان روح الایمان واحدة خرجت من عند واحد ويتفرق في ابدان شتى، فعليه ائتلافت وبه تحيّبت وسيخرج من شتى، ويعود واحداً ويرجع الى عند واحد) □  
هذا الحديث يؤكّد ما قد سبق الحديث عنه ان الروح ذلك الملك الاعظم الذي يملّك وجوه مختلفة يصل منه شعاع الى قلبك وقلبي وقلوب المؤمنين جميعاً. لذلك فنحن المؤمنين اخوة لأن روحنا واحدة والامام الصادق(ع) يقول:

□ (أخوتكم أخوة حقيقة)

وليس فقط اعتبارية في الكلام، لأن الروح التي تملّكها كلنا معاً هي روح

واحدة تصلنا اشعتها من روح ذلك امْلَك العظيم (الروح) الذي لم يخلق الله سبحانه  
ملكاً أعظم منه، من جبرائيل وغيره.

من هنا فان الاسلام يريد ان ينمي الانسان هذه الروح (روح الایمان) التي تحفظ الانسان من التوجه الى سائر الشهوات والهبوط الى هوة الذنوب والجرائم.

## • الاسلام يخلق الثوري الحق

هناك صراع أبدي بين العقل والنفس: فالأول يدعو الإنسان إلى التكامل والعروج إلى الله سبحانه وتعالى، فيما تدعو النفس الإنسان إلى اقتناص اللذة، وذلك هبوط وتنازل، والاسلام من أجل ان يخلق من الانسان شخصية ثورية مؤمنة فانه من جهة ينمي العقل و يقويه ، ومن جهة أخرى يضعف النفس و يزكيها وسواء سرنا في هذا الطريق أو ذلك فسوف نصل إلى نهاية واحدة تماماً، كما لو كان لديك عدو فان أنت قويت تتمكن من الانتصار عليه وان هو (ضعف تتمكن من الانتصار عليه ايضاً) وكذلك الحال مع النفس فهي من أعدى أعداء الانسان، اذ ورد في الحديث الشريف:

■ (أشجع الناس من غالب هواه،

وهذا يعني ان اعظم الناس بطولة من صرخ نفسه، سواء ضعفت نفسك او قويت ارادتك، فانك بالتالي ستنتصر. اما لو كان العكس والعياذ بالله، ضعف عقلك وانهزمت ارادتك، فهذا يعني المهزيمة امام عدوك الاول والاخطر وهو النفس.

وفي أحاديثنا وروياتنا هناك توجيه لنوعين من الشخصيات، بعض الأحاديث تسعى لتربيـة الإنسان المـتكامل المؤمن الرسـالي (الثـوري) والبعض الآخر ترمي إلى تربية الإنسان العادي، وتوجه ارشاداتها لعموم الجمـاهـير وـكـلـاـهـاسـيـدـخـلـانـالـجـنـةـ، ولـكـنـ الفـرقـ بيـنـهـماـ فـيـ المـكـانـةـ، دـاخـلـ الـجـنـةـ، فـالـمؤـمـنـ الرـسـالـيـ فـيـ أـعـلـىـ عـلـيـينـ. اـمـاـ

الآخر فانه في ربض الجنة. تماماً كدرجات الفنادق عندنا هنا، درجة أولى أو ثانية أو ثالثة أو مادون ذلك، ويوم القيمة، الجنة هي دار ضيافة الله سبحانه وتعالى، ونحن في ادعية رمضان نقرأ: (اهي لقد أوجبت لكل ضيف قري) يعني من الناحية الشرعية لابد ان نكرم الضيف.. ونحن نخاطب الباريء عز وعلا خلال الدعاء بأنك يارب قد اوجبت لكل ضيف قري (اكراماً) وأنا ضيفك الليلة فاجعل قراري الجنة، يعني ضيفني بالجنة، وسوف يعطيك رب ذلك، ولكن بشرط ان تجهد نفسك بالتضرع الى الله في هذه الليالي الخاصة، والله سبحانه لا تنقص خزاناته كثرة العطاء (ولا تزيده كثرة العطاء الا جوداً وكرماً)، فكن ذكيأً حينما تطلب من الله.

اذن تختلف الدرجات في الجنة، فيها ربض، وفيها المراتب العالية جداً بحيث لو سأل انسان ما، عن صديقه فيشار اليه بالنظر الى ما يشبه النجمة الزاهرة لنا الآن، ويقال له هنالك. في الدنيا لا تقاد المسافات بين النجمة والاخري إلا بالسنين الضوئية، أما في الجنة فينظر المؤمن الى النجمة ويسأل ما تلك النجمة فاذا بها مكان أخيه المؤمن، درجة من درجته بهذه المسافة، وبامكان العالى ان يأتي الى من هو أدنى، دون العكس، فالناس على ضوء هذا التقسيم اثنان:

قسم عادي يصلى ويصوم ويذكي ويحج ومؤمن، متقي وهؤلاء يدخلون الجنة ولكن في ربضها.

اما القسم الآخر فهم من اختارهم الله لنفسه: [واصطنعتك لنفسي] هؤلاء اعطوا كل ما لديهم الله، [ان الله اشتري من المؤمنين أنفسهم واما لهم بأن لهم الجنة] الله اشتري وهم باعوا بيعاً كاملاً فيعطي ربه نفسه وارتباطاتها، وعلاقاتها .. حبها .. بغضها .. وكل ابعاد حياته .. ليستلم من الله أعز شيء وهو الجنان والرضوان.

بعض احاديثنا اذن ترمي ل التربية الانسان المؤمن العادي، ولذلك فهي من نوع الارشادات العادية (ثمان ساعات تنام، تقوم مبكراً للعمل، تتزوج...) برنامج

عادي للانسان العادي، ولكن بعض الاحاديث ترمي الى خلق انسان ثوري من نوع الطليعة أو السابقين من الصفة، هذا هو النوع الثاني كأبي ذر رضوان الله عليه، أما النوع الاول فكما نحن، ووصية الرسول(ص) لأبي ذر مختلف عن وصيته للناس العاديين، لأن الرسول يريد ان يخلق من أبي ذر ذلك التأثير الأبدى الذي يبقى مشعلا للأجيال، وكذلك وصية الامام علي(ع) للناس فوق منبره في الكوفة مختلف عن وصيته لا بنه الامام الحسن(ع)، أو لكميل بن زياد مثلاً ووصية الامام الحسن(ع) لجنادة مختلف عن خطاب الامام الحسن(ع) في مجلس معاوية أو في عرفات، امام الناس، ووصية الامام الحسين(ع) وأحاديثه في الصفة من صحبه وأهل بيته في كربلاء مختلف عن أحاديثه للناس.. وهكذا وصية الامام موسى بن جعفر(ع) لهشام مختلف عن وصاياه للآخرين، انها وصايا عميقه متكاملة ومركزة تهدف الى بناء ذرة في الانسانية وتهدف الى العروج ب أصحابها نحو الذرة العالية والقمة السامية.

ولسوف نستعرض ان شاء الله نموذجين من هذه الوصايا القيمة وصية الرسول(ص) لأبي ذر، ووصية الامام موسى بن جعفر(ع) لهشام، ثم نبين جانبًا من كلام الرسول(ص) والامام علي(ع) حول العقل، لنرى كيف يهتم الاسلام باذكاء العقل وتنميته، والنفس وتزكيتها وسواء سرنا في هذا الطريق او ذاك، فان النهاية الحميدة ستكون بانتظارنا ان شاء الله تعالى.

نسأل الباري عزّ وجلّ ان تكون احاديثنا طريقاً نحو العمل لا العلم فقط .. وان تكون تزكية لأنفسنا وتنمية لارادتنا وعروجاً بأرواحنا في هذا الشهر الفضيل الى حيث أراد الله سبحانه وتعالى لها من الكرامة والعزّة والرضوان وهو المسؤول أن يعيينا على أنفسنا، كما أعن الصالحين على أنفسهم.



# الثورة بين الارادة والظروف

## ● منشأ الثورة

هناك خلاف حول تحديد مصدر الثورات التي تفجرت في التاريخ البشري، بين من يزعم أنها وليدة الظروف، ومن يقول: أنها بنت ارادة الإنسان.

الذين يؤيدون هذه الثورات ومحترمونها يعتقدون بأن ازدياد القمع، وارتفاع نسبة الظلم السلطوي، وفساد التركيبات الادارية والسياسية، وبالتالي تدھور التركيبة الاجتماعية، تزيد من نسبة الضجر الشعبي والألم الجماهيري، مما يؤدي الى تفاعل تلك العوامل والظروف، فتفجر في لحظة سعيدة من حياة الأمم وتتحول الى بركان كاسح.

بينما الذين لا يوافقون على الثورات، ويؤيدون الانظمة التي كانت قائمة، ينسبون الثورات الى مجموعة منظمة وتعاونية فيما بينها تستغل بعض الظروف السيئة، وتبث الدعاية المضللة، وتعييء المحرمون الذين يقعون تحت ضغوط الحberman المادي والثقافي، وتوجههم في طزيق الثورة أو حسب تعبيرهم (الملاج الاجتماعي) الى

الاطاحة بالأنظمة الحاكمة!

ولايزال الجدل قائماً بين النظريتين، والى الآن هناك فريق يزعم أن ماجرى في روسيا في عام 1917م وما جرى في فرنسا سنة 1789م وحتى ماجرى في الولايات المتحدة من معارك التحرير ضد التاج البريطاني قبل قرنين ونيف، ما كان سوى أفعال غوغائية، قامت بها مجموعات شريرة، فسيطرت على مقاليد الامور، بعيداً عن الجماهير، وعن مصالحها التي ركبت هذه المجموعة موجتها تحت شعار تحقيق مصالح الشعب.

وهذا الجدل لا ينتهي الى حل علمي، لأن كل فريق يتحدث بعواطفه اكثر مما يتحدث بعقله أو بالمنهج العلمي السليم.

اننا نعتقد ان كل فريق منهمما على نسبة من الصحة، ونسبة من الخطأ. فالفريق الذي يرى ان الثورة بنت اراده الانسان – وبعيداً عن موقفنا من مذاهبهم وتحركاتهم وسلوكياتهم هو – في الواقع – محق، ان مجموعة منظمة أرادت ان تغير النظام، فقدت التحرك واشركت الجماهير معها، فاستطاعت ان تغير الواقع حسب رأيها. ولكن من جانب آخر لانسى ان الجماهير كانت تئن تحت ضغط الضرائب المرهقة وتتلوي تحت سياط الارهاب الديكتاتوري، وقمع المؤسسات الفاسدة المختلفة، ولم تجد طريراً للخلاص، سوى الانخراط في تلك الثورة، لذلك انتفضت ثائرة وانتصرت وهذا أيضاً صحيح !!

من هنا فان الثورات الكبرى في التاريخ – بالطبع باستثناء ثورات الانبياء(ع)، اما حدثت بفعل عاملين متوازيين:

أ— عامل الارادة البشرية.

ب— عامل الظروف.

## ● اراده الانسان تقلب الموازين

ان الارادة البشرية تلعب دوراً رئيسياً في عملية التغيير، اذ لو لم تكن تلك الارادة موجودة لما حدث التغيير، فلو افترضنا عدم وجود المنظمات السياسية والشخصيات القيادية العاملة ضد الانظمة، فهل كان يمكن ان تنجح واحدة من تلك الثورات الكبرى في العالم؟

ولنأخذ من واقعنا المعاصر عبرة ومثالاً فهل كان من الممكن للثورة الاسلامية الظافرة في ايران ان تنتصر لو لم يكن الامام حفظه الله موجوداً؟، ولو لم يوجد جهاز المرجعية الاسلامية المنتشرة في أعماق الجماهير في المدن والقرى والأرياف، ثم المنظمات السياسية التابعة لخط المرجعية الاسلامية، التي كانت تقوم بنشر الوعي في مختلف الأوساط الشعبية!!، لولا التضحيات الكبرى. والارادة الحديدية لهؤلاء القياديين، والتي تحلت عبر نضال دام لأكثر من عشرين عاماً، هل كان بالامكان ان يطاح بنظام الشاه المقبور، وان يقوم مكانه النظام الاسلامي..؟ ان اثر القيادة المرجعية وفعالية المنظمات الاسلامية لا تزال واضحة الى الان.

من جهة اخرى نجد – في فترات كثيرة من التاريخ – ان المنظمات والقيادات والطلائع الثائرة موجودة، الا أن الثورة لم تكن قائمة مما يدل على وجود شرط آخر غير تلك الشروط المتعلقة بالارادة البشرية.

## ● الظروف الضاغطة

ان الشروط الموضوعية المرتبطة بحالات اجتماعية معينة، تلك الشروط كانت مفقودة ولا تقل تأثيراً عن وجود القيادات والمنظمات، لأن الظروف السيئة هي التي تعبيء الجماهير بالألم، ومن ثم تقوم القيادات بتحسيس الجماهير بذلك الألم فتشور، ولذا من غير الاحساس بالألم لا يمكن أن تتحرك الجماهير!

فالانتفاضة الاسلامية الكبرى التي حدثت في عهد الامام علي(ع) وأدت الى مقتل الخليفة الثالث ومباعدة الامام علي(ع) خليفة، اما كان سببها ماقام به الحزب الاموي من مفاسد في الدولة، ومحاولته تحويل الحكم الاسلامي من سلطة راشدة الى ملك عصوض مما أدى الى تلك الانتفاضة.

ولكن بعد فترة، وبالذات حين اراد معاوية أن يفرض ابنه يزيد خليفة غير شرعي على المسلمين، وحول بالفعل الحكم من سلطة خلافية الى ملك قيسري أو كسرامي، لم يكن أحد ليتحرك، حينما قام ذلك الرجل الذي باع دينه ودنياه لمعاوية وقال:- خليفة المسلمين هذا (واشار الى معاوية) فان مات فهذا (واشار الى يزيد) والا فهذا (واشار الى سيفه).

اجل لقد سكت الجميع تقريباً..! فما هو الفرق بين الحالتين التاريخيتين...؟

في الحالة الاولى كانت القيادة الاسلامية موجودة ممثلة في الامام علي(ع) مع ثلاثة من خيرة أصحاب النبي(ص) الملتفين حوله، وبمجموعه كبيرة من الذين جندهم الامام(ع) وجندتهم الطليعة الرسالية.

وفي الحالة الثانية كان الكثير من الطلائع المجاهدين والمناضلين الذين انضموا تحت قيادة الامام علي(ع) قد ذهبوا الى الرفيق الاعلى. ولكن كانت القيادة موجودة وممثلة في الامام الحسن(ع) ثم الامام الحسين(ع) مع البقية الباقيه من الرساليين الملتفين حول القيادة، ولكن الجماهير ثارت في الاولى، ولم تحرك ساكناً في الثانية.. فلماذا..؟

اذن انها الشورة.. التي ليست فقط بنتاً لارادة الانسان، واما ايضاً وليدة الظروف. وهذه هي النظرية المتكاملة التي نستطيع ان نفسر بها ماحدث وماسيحدث من ثورات جاهيرية كبرى في العالم.

اما مجموعة الدبابات، اذا احاطت بالقصر الجمهوري واسقطت نظام الحكم،

واقامت آخر محله، فان تلك الحركة ليست ثورة مهما تشدق أصحابها وألصقوا بها صفات واسماء ثورية! (١)

## ● ثوار الظروف

هناك بعض الثوار يشبهون الحشائش أو النباتات الفضلية التي لا تنبت الا اذا توفرت بعض الظروف المناخية الجيدة وبصورة عفوية.

ان هؤلاء يستمرون ويستقيمون انى استمرت الظروف الطبيعية، فاذا تغيرت تلك الظروف، نراهم تغيروا هم أيضاً حسب الظروف (الهوى)، فاذا رأوا ان اموالهم ذهبت، والظلم احاط بهم شخصياً او الاقربين منهم، فاذا بهم يأخذون بأيدي اهلهم و يقولون: «مالنا والدخول بين السلاطين» فهؤلاء هم ثوار الظروف.

والمؤمنون، لا يرفضون امثال هؤلاء اذا ثاروا، واما يحيونهم اذا أرادوا الدخول في ساحات النصال، ويباركون قيامهم، ويفتحون لهم باب العمل واسعاً. ولكن دون ان يجعلوا منهم ركيزة نصا لهم.

## ● ثوار القيم

الا ان هناك قسماً اخر من الثوار، تلدهم امهاتهم ثواراً يردعون من لبن الثورة،

(١) حول هذه النظرية الثالثة التي ذكرناها، يقول (كرين برنتون) الذي اصدر مؤخراً كتاباً حول الثورة: «ان مدرسة الظروف تعتبر الثورات نمواً طبيعياً غير منظم بذرت بدورها بين الطغيان والفساد وتحكم تمحكاً كاملاً في تطورها قوى خارجية عنها أو على أية حال خارجة عن التخطيط البشري فتعتبر الثورات نمواً حشرياً ومصطنعاً، بذرت بذورها بعانياً في تربة يعتني بها بستانيون من الثوار ويسعدونها، وتصل الى مرحلة النضج - بطريقة غامضة - على أيدي اولئك البستانيين انفسهم، رغم قوى الطبيعة، وعلينا حفاظاً ان نرفض هذين الوجهين المنطوفين كلّيهما لانهما هراء، وان نتمسك بالاعتقاد بأن الثورات تتحقق من بذور يبذّرها اشخاص يريدون التغيير، وان هؤلاء الاشخاص يتقدّمون تنظيم المدحّفة بجهارة، ولكن البستانيين (اي الفلاحين) لا يعلمون ضد الطبيعة، بل يعلمون في تربة ومناخ صالحين لعملهم. وان الشمار الهاشمية تقبل تعاوناً بين الناس وبين الطبيعة.

ويشبون على رفض الباطل، وعلى اساس الاستقامة والامان باصالحة الانسان، لا اصالحة الحتميات الاجتماعية، وهذا النوع من الثوار، هو الذي تهم به الشريعة الاسلامية، وتشيد به النصوص القرآنية كما يقول تعالى:

\*[فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقَرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أَوْلَوْا بَقِيَّةً يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمْنَ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ]\*

— ١١٦ / هود —

فلابد ان تنشأ حركة رسالية ممتدة على جسد الزمن من آدم عليه السلام الى يوم القيمة، لتبقى شاهدة على التاريخ من أجل الحق، ومستقيمة على الطريق الصحيح. وبالطبع لا يستطيع ان يستقيم عليها سوى ثوار القيم، وتاريخنا العظيم يحفل بكثير من هؤلاء الثوار الكبار—رضوان الله عليهم—.

ينبغي ان يكون — عبر التاريخ — ثوار من أجل الله والحق والانسان، لأن الضرائب باهضة، ولا لأن الارهاب شديد، بل، يجب ان يحارب الارهاب، ويعارض الاجحاف الاقتصادي والضرائب ، ويناهض طغيان السلطة، الا أن الثوري الحقيقي هو الذي ينتمي الى الحق، ليبني نظاماً سليماً في المجتمع قائماً على اساس الحق وبامامة امام عادل، حتى ولو لم يعرف الناس فساد الوضع القائم، لأن الرسالي يملك مقياساً اهلياً، انه وبالتالي يرى ان كل انسان يتسلط على رقاب الناس ويتحكم في مقدراتهم من دون هدي الله أو اختيار من الله سبحانه وتعالى، فهو طاغوت ! سواء ازدادت أم نقصت الضرائب، اشتد الارهاب أو خفت.

## ● الانسان الرسالي أداة الثورة

مثل هذا الانسان هو الذي تسعى الاحاديث المأثورة لتربيته وتنمية أمثاله في المجتمع. وليت الحركات الاسلامية تنتبه الى هذه المفارقة، فلا تبني بناءها على الرمال المتحركة، ولا ترسم على الماء، واما نقش في الحجر، وتبني الانسان الاهلي كحواري

الأنبياء والأئمّة(ع)، تبني ذلك الإنسان الذي لا تغيره الظروف، كاجيل الأشم يتحدى العواصف والقواصف، وبهؤلاء يمكن اقتحام غمار الثورة فإذا سُنحت الظروف دخلوا الساحة وفجروا الثورة الكبرى! ولتحقيق هذه الغاية—بناء الإنسان الرسالي—نرى الأحاديث الشريفة تسير في اتجاهين.

## ● الاول نحو العقل وتنميته واثارته.

### ● الثاني

نحو النفس وتزكيتها وتهذيبها، وما أُجدر بنا—نحن المسلمين—إذا أردنا أن نبني شبابنا وننمّي عقولنا ونزرّكي أنفسنا، أن نتوجّه للزاد المقدس الذي خلفه لنا قادة الإسلام على صورة وصايا وعظات، هي في الحقيقة جواهر الحكمـة، وعصارة التجارب الرسالية، تهدي للتي هي أقوم!

ففي وصية الإمام علي(ع) لأبنه الإمام الحسن(ع)، يقول:

□(أي بني واني وان لم أكن عمرت من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم، وفكرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم، بل كأني بما انتهى الي من أمرهم قد عمرت مع أو لهم الى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره، فاستخلصت لك من كل أمر نخبة— اي ما نخل وصفي— وتوخيت لك جيله وصرفت عنك مجده، ورأيت حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشقيق واجمعت عليه من أدبك، ان يكون ذلك وانت مقبل بين ذي النعمة والنعنة، وان أبدأك بتعليم كتاب الله وتأوyleه، وشرائع الإسلام وأحكامه وحالاته وحرامه، لا اجاوز ذلك بك الى غيره، ثم اشافت أن يلبسك ما اختلف الناس فيه اهواءهم مثل الذي لبسهم، وكان احكام ذلك لك على ما كرحت من تنبئه له أحب الي من اسلامك الى أمر لا آمن عليك فيه اهللة. ورجوت أن يوفقك الله فيه لرشدك، وان يهديك لقصدك فمهدت اليك وصيبي هذه واحكم مع ذلك) □

وفي العبارات الأخيرة يريد ان يفهمه عليهما السلام انه حاول ان يوضح له الامور حتى لا يقلد الآخرين، وان لا يتبع أفكارهم، لكي يكون لديه البصيرة الكافية لفهم

عبر التاريخ !

ثم يوصي الامام(ع) ابنته بعد ذلك ان يأخذ بسيرة آبائه والعاملين الصالحين من السابقين فيقول:

□ (فليكن طلبك ذلك - العلم - بتفهم وتعلم لا بتورط الشهادات وعلو الخصومات، وابداً قبل نظرك في ذلك بالاستعانة باهلك عليه، والرغبة اليه في توفيقك وترك كل شائبة أدخلت عليك شبهة واسلمتك الى ضلاله، واذا أيقنت أن قد صفا لك قلبك فخشع، فتم رأيك فاجتمع، وكان هنك في ذلك هماً واحداً فانظر فيما فسرت لك وان أنت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك من فراغ فكرك ونظرك فاعلم أنك انا تخطي العشواء، وليس طالب الدين من حبط ولا خلط، والامساك عند ذلك أمثل) □

والامام علي عليه السلام يشرح لأبنه هنا، ان من أراد أن يتعلم الدين فما ذلك من أجل الجدل والمغالبة، ثم لا يكون التعلم في وقت يكون الرأي فيه غير مجتمع والفكر غير مركز، أي يكون من دون توتر وقلق نفسي، واما يكون التعلم في وقت الراحة، حيث نفسك خاشعة للحق، مطمئنة اليه متوكلة على الله سبحانه وتعالى، مرکزة في الامر.

والامام علي(ع) يورد هنا - بایجاز شديد - منهجه في العلم، حيث جمع كل الاخطاء التي يمكن ان يقع فيها الانسان أثناء التعلم، فحذر منها، ولو شئنا تفسير كلامه(ع) لكان يقتضي ذلك مؤفأً طويلاً! ثم ان الامام(ع) لا ينسى ان يذكر ابنه بالموت هادم اللذات، ذلك لأن من طبيعة الانسان الجهل والاسترسال مع المهوى وعدم المبالاة وعدم تحمل المسؤولية! فما الذي يقهر النفس الجموع ويكتح هوها..؟ هو ذكر «الموت» حيث لا موعظة اكبر منه و(كفى بالموت واعظاً).

ويحذر الامام ابنته من الغرور العلمي الذي هو آفة العقل ويدعوه الى تقييم الحقائق جيئاً. وعدم رد شيء منها بمجرد غرانته عنده او اشكاله في فهمه فيقول عليه السلام:

□ (فتفهم اي بني وصيتي واعلم ان مالك الموت هو مالك الحياة، وأن الخالق هو الميت وأن المفني هو المعبد وأن المبتلى هو المعاذى وأن الدنيا لم تكن تستقيم على ما خلقها الله تبارك وتعالى عليه من النعماء والابلاء والجزاء في المعاد أو ماشاء ما لا نعلم، فان اشكل عليك شيء من ذلك فاجله على جهالتك به واترك أول ما خلقت خلقت جاهلا ثم علمت وما اكثر ما تجهل من الامر ويتغير فيه رأيك ويضل فيه بصرك، ثم تبصره بعد ذلك، فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسواك، فليكن له تعمدك واليه رغبتك ومنه شفقتك)

## ● كيف ينمي الرسالي العقل؟

ويستمر الامام علي في نصيحة ابنه الامام الحسن عليهما السلام ليبيّن له صفات الانسان الرسالي، كيف ينمي معارفه وعقله وبالتالي الخصال الحميدة عنده، فيقول:-

□ (أي بني تفهم وصيتي واجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأححب لغير ما تحب لنفسك، وأكره له ما تكره لنفسك، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك، واستيقع من نفسك ما تستيقع من غيرك، وارض من الناس لك ما ترضي به لهم منك، ولا تقل بما لا تعلم، بل لا تقل كل ما تعلم، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك) □

ولو طبق الواحد منا هذه الوصية على نفسه لرأى كم تتحسن اخلاقه السيئة، والى اي مدى تصبح فاضلة.

ان الآفة التي تترصد الرسالي هو ان يركبه الغرور والاعجاب بما لديه وهو يخالف تربية عقله وعلمه. يقول الامام علي(ع):

□ (واعلم ان الاعجاب ضد الصواب وآفة الألباب فاحذر هذا الزلل) □

وبالمقابل، الخشوع يزيد وينمي المعرفة.

□ (فإذا أنت هديت لقصدك فلن أخشع ما تكون لربك) □

## ● دور الاحسان في تربية العقل

العقل ينمو بمقاومة الشهوات الذاتية والجهل الطبيعي عند البشر، والاحسان يساهم في كبح جاج الشهوات واخراج الانسان من قوقة ذاته، وشح نفسه، ولكي يقدم الانسان على الاحسان الذي سمي في القرآن مرة بأنه عقبة. حيث الامام علي(ع) بأسلوب رائع. حيث يذكره بطريقه الشاق. حيث يقول(ع):

□ (واعلم ان امامك طريقاً ذا مشقة بعيدة وأهوال شديدة، وانه لا غنى بك فيه عن حسن الارتياد، وقدر بلاغتك من الزاد، وخفة الظهر، فلا تحملن على ظهرك فوق بلاغك، فيكون نقلاء ووبالا عليك، واذا وجدت من اهل الحاجة من يحمل لك زادك فيوافيك به حيث تحتاج اليه، فاغتنمه، واغتنم من استقرضتك في حال غناك واجعل وقت قضائك في يوم عسرتك)

اي ان للانسان عسترين، يوماً في الدنيا ويوماً في الآخرة، والقرض الحسن ينفع في كلاليمن.

## ● قوة الارادة تبني العقل

للوصول الى القمة تعترض الانسان كثير من العقبات التي قد تؤدي به الى الحضيض، وكما العقبة (التي هي طريق صعب في الجبل) التي ان زلت فيها القدم، هوت بصاحبها ألف متر واكثر، كذلك العقبة في الآخرة، لا تزال بصاحبها الا في وادي جهنم، حيث الأفاعي كالتلال والعقارب كالبغال، أعادنا الله منها. والرسالي لا يختلف من ذلك الموقف يومئذ، لانه لا ينفع الخوف يومذاك، واما خوفه منه الان، اذ لديه متسع من الوقت، للنجاة من ذلك الموقف، بأن لا يشق كاهله بما يودي به ساعة عبور العقبة الكاداء، يقول الامام علي(ع):

□ (واعلم أن امامك عقبة كؤوداً - مهبطاً بك على جنة أو على نار، المخف فيها أحسن حالاً من

المثقل، فارتدى لنفسك قبل نزولك، واعلم ان الذي يبده ملوكوت خزانى الدنيا والآخرة قد أذن  
بدعائك وتتكلف باجابتكم، وامرک أن تسأله ليعطيك وهو رحيم) □

## ● الدعاء يعصم العقل

والعقل قد يضعف امام عواصف الشهوة، والضغوط فيعصمه الله بالدعاء. وهنا  
يبدأ الامام(ع) بالتركيز على ضرورة العلاقة بالله، والتخلص له بالمناجاة والدعاء، وقد  
حث الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين على الاخراج في دعائه فقال:

\* [وقال ربكم ادعوني استجب لكم] \*  
— غافر/٦٠ —

وان من نعم الله على الانسان، أن يأذن له بالدعاء، ويتكلف هو بالاجابة.  
باستطاعتك المثول بين يدي الباريء الكريم كيف شئت وأنى شئت، بلا حاجب ولا  
واسطة ولا ترجمان، كما تفعل اذا أردت ملقاء موظف كبير، ولا الى عريضة وطوابع  
للكتابة الى أمير، واما يقف العبد ليناجي الله تعالى بأي لغة كانت، وحتى الآخرين  
يناجي الله تعالى، بلغة الاشارة، والله سبحانه وتعالى يسمعه، وأنجيب الناس،  
وأنخلهم، وأفشلهم هو الذي لا يتضرع بالدعاء. يقول الامام علي(ع):

□ (لم يجعل بينك وبينه ترجماناً، ولم يعجبك عنه، ولم يلجهنك الى من يشفع اليه لك، ولم يعنك  
ان اسأتك — التوبة، ولم يعيزك بالاذنابة، ولم يعاجلك بالنقمـة، ولم يفضحك حيث تعرضت  
للفضيحة، ولم يناقشك بالجرعة، ولم يؤيـسـك من الرحمة، ولم يشدد عليك في التوبـة، فجعل  
النـزـوع عن الذنب حـسـنة، وحسب سـيـئـتك واحـدـة وحسب حـسـنـتك عـشـرا وفتح لك بـابـ المـتابـ  
والاستـيـانـاف) □

من أجل الستر على الفضائح، لم يجسمـهـ اللهـ عنـاءـ المـثـولـ بينـ يـديـ قـسيـسـ،  
للاعـترـافـ أـمـامـهـ بـالـذـنـوبـ وـالـفـضـائحـ — كـماـ تـدـعـيهـ الـمـسـيـحـيـةـ الـمـنـحرـفـةـ — وـاـنـماـ يـطـلـبـ  
الـمـغـفـرـةـ مـنـ اللهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ مـبـاـشـرـةـ، وـفـيـ ذـلـكـ درـسـ للـرسـالـيـ، كـيفـ يـلـتـصـقـ بـالـلهـ

تعالى، ويعود إليه ويلوذ به عند كل خطوة يظن فيها أنه ابتعد أو انحرف عن الطريق السوي ليحاسب نفسه دون الحاجة إلى الخجل أمام توبخ أو تقرير مسئوليه، يقول الإمام علي(ع) :

□ (فمتى شئت سمع نداءك ونجواك، فأفضيتك اليه ب حاجتك وانبأته عن ذات نفسك وشكوكه اليه همومك واستعنته على امورك وناجيته بما تستخف في به من الخلق من سرك، ثم جعل بيده مفاتيح خزائنه فألح في المسألة بفتح لك باب الرحمة بما اذن لك فيه من مسأله فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب خزائنه) □

انك تستطيع ان تعتذر له عما بدا منك، فيغفو عنك، ولكن بشرط ان تلخ عليه في الطلب وتتخشن له في المسألة، مهما كبرت مسألك، فان العطية على قدر المسألة، ثم انك مطالب الا تقنط من الدعاء والالحاح في المسألة حتى ولو تأخرت الاجابة، فانك لا تدرى الحكمة من التأخير! يقول الإمام علي(ع) :

□ (فألح ولا يقنطك ان ابطأت عنك الاجابة، فان العطية على قدر المسألة، وربما أخرت عنك الاجابة، ليكون أطول للمسألة وأجزل للعطية، وربما سالت الشيء فلم تؤته وأوتيت خيراً منه عاجلاً أو آجلاً، أو صرف عنك لما هو خير لك، فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته، ولتكن مسألك فيما يعنيك مما يبقى لك جاهه وينفي عنك وباله) □

## الانسان الرسالي بين حب الله وخشيته

- تنصب اهتمامات الرسالة الاسلامية على الانسان، لأنه عنصر الحركة الرئيسية الذي ينشد الاسلام للانسانية جماء.

من هنا فان: بناء الكوادر والقيادات الوعية، الى جانب التوعية الجماهيرية هما دعامتا الثورة الحقيقة.

لذلك فان على الامة ان تهتم اهتماماً شديداً ببناء الكوادر، كما ان على المهتمين بمستقبل الأمة ومصيرها الا يدعوا فرصة لذلك الا و يغتنموها.

## ● القادة يصنعون الرجال

لقد قام الرسول الراكم(ص) والائمة المعصومون(ع) —وهم قدواتنا في العمل— بدور رئيسي في هذا الحقل، اذ لا تجد منهم أحداً الا ويهتم اهتماماً بالغاً بتربية الرجال من حوله.

فالرسول الراكم(ص) قضى ثلاثة عشر عاماً يربى الكوادر و يصنع الرجال

و يدرب القيادات لتحمل المسؤولية العظيمة التي ابتدأت في المدينة المنورة.  
والامام علي(ع) يقول عن النبي(ص):

□(لقد أدب الله نبيه فاحسن تأدبه وأذبني رسول الله وأنا أؤذب المؤمنين)

وها هو خليفة المسلمين وقائد القوات المسلحة وامام الأمة ومربيها أمير المؤمنين وزعيم امبراطورية مترامية الاطراف يقطع من وقته هزيعاً ليأخذ بيد واحد من تابعيه «كميل بن زياد» ويصرح به في الفلاة ليبين له وصاياه المعروفة ليربيه ويربي من وراءه الرجال.

ومرة أخرى يشتري عبداً فيعتقه ثم لا يزال يربيه حتى يصبح التأثير الكبير (ميشم التمار) رضوان الله عليه.

ونرى الامام الحسن(ع) يهتم ببناء الرجال حتى آخر لحظة في حياته حيث ينتهز تلك اللحظات الاخيرة قبل أن يزوره ملك الموت ليلقى بوصاياه الأخيرة الى (جنادة بن أمية) تلك الوصايا التربوية المتكاملة المعروفة.

وعلى نفس النهج سار الأئمة (عليهم السلام) في كل زمان، وحسب الحاجة التي تتطلبها المرحلة، اذ قد تقتضي المرحلة بناء القيادات، بينما تأتي مراحل أخرى، تشتد الحاجة فيها الى تعبئة الامة.

فمثلاً: الامام علي(ع) يقضي خمساً وعشرين سنة من عمره الشريف، يبني الكوادر ويهيء القيادات، بينما نجد الخمس السنوات الأخيرة من حياته الفاضلة كانت مرحلة تعبئة الطاقات، ومواجهة التحديات، والعمل الدؤوب على تصحيح المسيرة. بالرغم من انه لم يترك -حتى في هذه المرحلة- بناء الكوادر.

وبينما قضى الامام الحسن(ع) وقته في اعداد الرجال وبناء الزعامات، قام الامام الحسين(ع) وبالذات في فترة امامته بتعبئة الامة وتوجيهها نحو مواجهة

الاختصار التحريفية وتفجير الثورة ازاء الوضع الفاسد.

وكذلك الامام زين العابدين(ع) يقضي اكثر من ثلاثة عقود من عمره الكريم اماماً وقائداً لا ينفك عن صنع القيادات، حتى ان بعض الروايات تذكر أنه يشتري العبيد، ويقوم بتربيتهم، ثم اعتاقهم في سبيل الله، وتوجيههم لوعية الجماهير في الاசقاع المختلفة، وان صحت الروايات فان الامام(ع) كان يقوم بتربيه ألف رجل كل عام! وان هذا لعمري عدد هائل جداً.

## ● برامج اعداد الرجال

الا أن السؤال المطروح: ما هو البرنامج الشوري التربوي المتكامل لبناء الرجال..؟

يعيش الانسان وفق نظام متجانس بين أعضائه ونفسه وقلبه وجوارحه، كما يسير هذا النظام وفق قوانين معينة، ولذلك فهو يستطيع أن يصلح أي عطب، ويهذب أي انحراف يطرأ على أعضائه.

فلو ابتليت يدك بقرحة، اعطاك الطبيب الدواء المناسب حيث يكون الدواء من جنس الداء، فالالتهاب لا يجدي معه سوى البنسلين، والضعف تتفعل الفيتامينات التي تقوى الجسم، فلابد أن يستخدم الطبيب الطريق المناسب لعلاج المرضي.  
كذلك بالنسبة لروح الانسان، فللروح قنوات معينة. اذا أردت علاج الروح،

لابد من السير عبر هذه القنوات الى أن تصل الى المرض الكامن في الروح وتفصي على ذلك المرض. مثلا انه مبتلى بمرض التكبر.. ولوأخذته الى الطبيب النفسي فانه قد يفعل معه شيئاً لم تكن تتوقعه! فهذا المتكبر الذي يحسب نفسه أعلى من الجبال وأقوى من الحديد والموت، يعامله الطبيب بلطف ولين وينفح فيه روح الثقة، حتى لتکاد تصرخ فيه انك تزيده بهذاغروراً!! ان الطبيب (العارف) يعالج بما نزعم نحن: انه يزيده مرضاً.

فالطبيب يخاطبه بعبارات كهذه: أحسنت .. بارك الله فيك .. أنت رجل ممتاز .. أنت شخص قوي ومحترم.. وكل الناس يقدرونك، والمجتمع يكرمك ويعتذر بك، والله يحبك والمستقبل معك.. وما الى ذلك..

والطبيب بذلك اما يريد أن يعيد ثقته بذاته، ويعدّه بشحنات الاطمئنان النفسي والاستقرار الروحي.

والفارق بينك وبين الطبيب في هذا أنك تنظر الى الاعراض، بينما الطبيب، شخص الاسباب وعرف أن سبب الداء، اما كان عقدة الحقاره ومركب النقص، الذي يحاول أن يستره بحجب زائفة من الغرور والكبرياء !

فمعالجة مثل هذا المرض لا تتأتى من محاولة قمع الغرور، واحتقار الكبرياء، أو معالجة ظاهر المرض دون ان تذهب الى «الفيروس» الحقيقي الذي ولد هذا المرض، وانما تتم المعالجة بمحو العقدة ذاتها «عقدة الحقاره» ومقاومة الاحساس بالضعف في ذاته، وأنزد يصبح وبشكل عفواني انساناً سوياً..

فللنفس البشرية قنوات نستطيع عبرها، ان نعالج امراضها، والله سبحانه وتعالى خالق الانسان وملهم النفس فجورها وتقوتها، هو أعلم بحقيقة الانسان وطريقة معالجته، اذ يقول تعالى:

\* [ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون] \*  
—/٨٥ الواقعه—

\* [ونحن اقرب اليه من جبل الوريد] \*  
—/١٦ ق—

ويصف الله سبحانه في القرآن الكريم: علاج النفس البشرية، ويؤدب رسوله الكريم(ص) بتلك الوصفات، ويسهل تأدبيه، ثم يقوم الرسول الاعظم(ص) بتأديب الأئمة الاطهار عليهم السلام ابتداء من أبيهم الامام علي(ع) (الذي بدأنا معه مرحلة التدبر في وصاياته التربوية الرسالية لنجله الامام الحسن المجتبى عليه السلام، وسوف

نستمر في ذلك) . هنا نشير الى اهم عناصر التربية التي تكون الانسان الشوري وهي:

## •اولاً: الحب

هناك فرق بين الحب والشهوة، ان الشهوة هي جلب الاشياء الى الذات، وقطف اللذات ما حلا وطاب ، والاستفادة منها شخصياً، بينما الحب هو العكس من ذلك فهو عطاء من الذات الى الخارج لمنفعة وخدمة الآخرين. الشهوة: استئثار، بينما الحب: ايثار. الشهوة أخذ والحب عطاء.

الشهوة هي محاولة لافشاء الوجود في الذات، بينما الحب هو محاولة افشاء الذات في الوجود.

فاما أحبابت أحداً، يعني انك تريد أن تنفعه وتعطيه وتفيده! بينما اذا اشتاهيت تفاحة، أو برقة الماء، فانك في الواقع تشتهيها بهدف ان تأكلها لتتحول الى جزء من كيانك!

وكذلك الامر بالنسبة لشهوتك في السرير، فانك تريد ان تنام عليه! واما اشتاهيت البيت، فاما ت يريد ان تسكنه وتتحمي نفسك من الانواء! واما اشتاهيت السيارة، فلانك ت يريد ركوبها، وهكذا بالنسبة الامور الاستهلاكية جميعاً، فانها تنضوي تحت قائمة الشهوات..!

اما حينما تحب الله سبحانه وتعالى والنبي والامام والناس، وتحب ابنك او اهلك او اخاك، فاما يعني ذلك: ان تضحي من أجلهم، وتعطي أعلى ما تملك في سبيلهم، وحب الناس هو الاحسان اليهم، والتفضي في خدمتهم، ورفع الحيف عنهم! من هنا فان الفرق بين الأخذ والعطاء بعيد كالمسافة بين الارض والسماء!

والاسلام يربى الانسان على الحب! يقول الامام الصادق عليه السلام:  
(وهل الدين الا الحب) وتلي قوله تعالى:

\*[قل ان كتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله]\*  
—آل عمران/٣١—

## • كيف نزرع حب الله؟

ان الطريقة، التي يمكن المربى المؤمن، بها زرع حب الله في قلب الرسالي، هي: التذكير الدائم بنعم الله وخيراته ورزقه ورأفته بالعباد وعين رعايته التي تدفع البلاء والنعم. والتأكيد على جمال الله وجلاله وقوته وعلمه ورحمته بصفاته الحسنة جل وعلا.

ومن احب الله فعلاً رغب في لقائه. ولقاءه القريب يتحقق في المثول بين يديه أثناء الصلاة التي يقول عنها الرسول الراكم(ص) (وقرة عيني الصلاة) واللقاء الدائم حينما يلتقي المؤمن عبر قنطرة الشهادة أو الرحيل الأبدى.

أحد الصحابة رضي الله عنه حل به الموت، فلم يتمالك نفسه من البكاء، فاجتمع حوله الصحابة وسألوه أحد هم: مم بكاؤك يرحمك الله؟.

فأجاب: أني لا أبكي لدنياكم، ولكن هفي لظماً أهواجر، وسهر الليالي الطوال!

أجل انه يبكي، لأنه يموت ولن يمكن من الصيام في هيب ايام الصيف، كما يبكي لأن الموت سيمنه من العبادة والتهجد في ليالي الشتاء الطويلة التي يصفها الرسول الراكم(ص) بقوله:

■(الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه، وطال ليله فقامه)

انه ذاهب الى ربه ومع ذلك يحن الى مناجاته في الاسحارات والناس نيا ! وهل يدرك لذة المناجاة تلك الا المؤمنون حقاً حيث يرخي الليل سدوله، ويهجم كل حي، ويسود السكون الليل، فيفتح قلب المؤمن لمناجاة الحبيب، ينادي ربه ويناجيه ربه، ينادي ربه بحديث القلوب، ويراه بعيون البصائر، فهذا هو الحب فآنذاك اذا

قطعت المحب في الله ارباً لم يحن القلب الى احد سوى الله سبحانه! كما قيل على لسان الامام الحسين عليه السلام: في اللحظات الأخيرة من رحلة شهادته الدامية..

## فلا يقتضي الحب ارباً لما حن الفؤاد الى سواك

ولم يفقد احداً من اصحابه يوم عاشوراء الا وتهلل وجهه واشرقت طلعته البهية، اكثر فأكثر، لانه كان يعلم أنه كلما مضى واحد منهم، كلما اقترب لقاوه بربه، يعني يقترب من الشهادة، وحينما ذبح ابنه الرضيع على يديه الكريتين بسهم حرملة من الوريد الى الوريد، أخذ دمه بين كفيه، والقى به نحو السماء قائلاً: (هون على ما نزل بي انه بعين الله)، وحين وقع جريحاً لا يقوى على النهوض راح يجمع التراب تحت رأسه الشريف وشرع يصلى لربه، غير عابيء بما حوله من كتائب الاعداء وهي تتوح كالبحر، لا يلتفت لأحد منهم ولكن الى الله سبحانه وهو يقول:

□(اهي رضاً برضاك لا معبد سواك)

وذاك والده الامام علي(ع) يصلى في المحراب وفي فخذه سهم نابت لا يمكنهم ان يخرجوه، فيأتي جراح ويشق فخذه – وهو في الصلاة – ويخرج السهم، ثم يشد مكانه، ويجري الدم في المحراب، وبعد ان يفرغ الامام(ع) من الصلاة يقع بصره على الدم فيتسائل: ما هذا؟!

واعجباه يا أمير المؤمنين! لقد أخرجنا السهم من فخذك! قال: (والله ما احسست بذلك)!!

وذلك الامام علي بن الحسين زين العابدين وقف يصلى، فتدخل النار وتلتهم جزء من غرفته، والناس مزدحون، البعض يأتي بالماء والبعض يأتي بالتراب والبعض يستغاث، والامام متوجه الى صلاته، وبعد أن ينتهي ويرى آثار الحريق يسأل: (ما هذا) فيجيبه: يا بن رسول الله! ان النيران كادت تلتهم الغرفة، والناس يصرخون

ويولولون، وانت لم تحس؟! فقال: (كنت مشغولاً باطفاء نار اخرى)! «اي نار الآخرة».

أجل ان هذا هو الحب، فالمؤمن في سبيل الله يقتتحم غمار الحروب والنيران، الا ان جسمه لا يحس الأذى وهو لا يشعر بالالم، لأن القلب مشدود بالحق، والعقل مدھوش بالحب، قد اتصل برباط مقدس مع الرفيق الأعلى!

عابس بن شبيب – أحد أصحاب الحسين(ع) – ينزع لامة حربه، ويتجبرد من ملابسه الحربية، درعه وخوذته .. ثم يتقدم شاهراً سيفه، فينادي: يا عابس هل جنت فيجيب وهو ماض: نعم، حب الحسين أجنبي!

هذا هو الحب، وأساس التربية الاسلامية، تنمية هذا الحب، واذا أحبتت الله، أحبتت رسوله(ص) وأوليائه، ولا تحب الله الا اذا اتبعت رسوله من دون تعب وتتكلف! نحن اذا وقفنا للصلوة، فكأننا نحارب الشيطان، ولكن الذي يحب ربه ينبعث الى الصلاة ابعاشاً، كالسيل المندفع، لأن قلبه متلهف للقاء الله.

كنت عند أحد المؤمنين، وقد نام متأخراً في ليل صائف، وقبل أن أغفو أنا، بأيته يفتح عينيه، ثم ينظر الى النجوم، ويتبين له: أن الصبح قريب، وان وقت قيام الليل قد ضاق، فهرب من مرقه واثباً، وكان عقرباً لدغته، ثم خف الى الصلاة والتبتل! والحب ان لم يفعل بصاحبـه هكذا او اكثـر، فليس بالحب، ومودة الناس لاسيما الفقراء والمستضعفين – سوف لا يبيـت مبطاناً وحوله اكبـاد تحـن الى القرص! ولا ينام شبعـاناً والـى جواره عوائل فقـيرة، ولا يـمكـنه أـن يستـأثر بـنعمـيـنـ الدـنيـاـ، وـهـوـيـلـمـ الآـخـرـينـ لا نـعـيمـ لهمـ!

ومن أحب الناس لا يمكنه أن يفعل ذلك واما يثور من اجلهم! من دون طمع في شهرة، ولا رغبة في مال، أو من أجل سلطة أو منصب واما الله!

جاءت امرأة فقيرة الى احد المؤمنين الثائرين منبني هاشم وطلبت منه المعونة

فنظر اليها، وبعد أن أعطاها الميسور، قال لها: «أنت وأمثالك تدفعون بنا إلى القتل»! وما مضت أيام حتى خرج ثائراً واستشهد مع اصحابه. فالذين يحترقون من أجل الجماهير المغلوبة على أمرها، هم الذين يحبون الله حقاً ويحبون عباده، بل ويشمل حبهم كل الموجودات. في قلبه مهرجان الحب يتسع لكل مخلوق!

## ● ثانياً: الخوف

الخوف من النهاية الحتمية، مادامت النهاية غير معروفة الميعاد، فان الخوف منها سيستمر مع الانسان في كل لحظة.

من هنا فان المؤمن يتوقى المحاذير، ويعيش بانضبط تمام في حالة عالية من التقوى والخشوع لله سبحانه وتعالى!

سئل الامام الصادق(ع) عن التقوى ما هي فأجاب: ما معناه:

□ اسلكت طريقاً مليئاً بالأسوان؟ فقال: نعم، قال: (فما صنعت)؟ قال: كنت أتقىها! قال: (فتكلك هي التقوى)!

فالتفوى ان تشي في العالم وفق خريطة، المتقي في الدنيا كمن يسلك حقلأً من الالغام خلال الحرب، فبمجرد ان يتتجاوز الخريطة يتحمل ان يرتفع عن الارض بضعة امتار ليتفجر و يتمزق في الهواء!

ولذلك فان الأئمة عليهم السلام كانوا يؤكدون على ضرورة الخوف من الآخرة. دعنا نعود الآن الى وصية الامام علي(ع) لنجله الامام الحسن(ع) — التي ذكرنا قسماً منها في الحديث السابق— ونستقي منها المنهج الاسلامي في تربية المؤمن الرسالي يقول الامام:

□ (أي بنى! اني قد أبأتك عن الدنيا وحالها وزوالها وانتفاها بأهلها، وابأتك عن الآخرة وما

أعد لأهلها وضررت لك فيها الأمثال، إنما مثل من ابصر الدنيا كمثل قوم سفري بهم منزل حذب، فأقاموا منزلًا خصيًّا وجنابًا مريعًا □

## • حين نعرف حقيقة الدنيا

يبين الإمام: أن المؤمن هو من يعرف الدنيا وحقيقةتها ويضرب لذلك مثلاً.. مثل من عرف حقيقة الدنيا كمثل قوم مسافرين، رأوا مكانهم قفرًا، لاماء ولا كلأ، فتحرکوا باتجاه مكان آخر حيث الخصب والمياه والمراتع، ثم يقول:

□ (فاحتملوا وعثاء الطريق، وفرق الصديق، وخشونة السفر في الطعام والم bakım، ليأتوا سعة دارهم ومنزل قرارهم. فليس يجدون لشيء من ذلك أملًا، ولا يرون نفقهًا مغsumaً، ولا شيئاً أحبت اليهم مما قربهم من منزلهم) □

انهم لا يعبئون باتعب السفر، أو فراق الأحبة، ويهونون الأمر على أنفسهم، بما ينتظرون من راحة، عندما يصلون مرامهم، وهذا مثال أهل الدنيا العارفين بحقيقةتها، فاما هي كالارض القفر، واما سيجدون أماناً لهم هناك في الآخرة، وما هي الا تحمل وعثاء السفر و يصلون!

## • لماذا الغرور بالدنيا؟

يقول الإمام:

□ ومثل من اغتر بها كمثل قوم كانوا ينزلون خصب، فنبأ بهم منزل جدب، فليس شيء أكره اليهم ولا أهول لديهم من مفارقة ما هم فيه الى ما يهجمون عليه ويصيرون اليه) □

وهذا هو مثل من اغتر بالدنيا وركن اليها ونسى الآخرة!

ان هذا المغتر سيفاجأ، حينما يأتيه ملك الموت، بشكل مهيب، يقف على رأسه

وبينه مقرعة من نار و يصبح: أخرج روحك بنفسك، والروح عزيزة و يصعب عليه ان يفارق المال والعيال والأهل والاحبة..؟ الا أن عليه الآن ان يخرج روحه هو بنفسه!

أما المؤمن فان الامر مختلف تماماً معه، فملك الموت يأتيه بصورة حسنة، كصديق أو قريب، وربما لا يفهمه بأنه «ملك الموت» فيبدأ يحاوره و يزهد في الدنيا، محاولاً اقناعه بأنه ملّ منها، و يذكر له الآخرة و يشوقه لما ينتظره من نعيم لا يبأ ، فان أبيه ومانع واحتاج بأنه سيفارق اخوته المؤمنين، فان ملك الموت آنذ يكشف له عن النعيم المقيم في الآخرة، ويقول له: انظر! بيتك هناك واصدقاؤك هم اوئلك الشهداء والصديقون والأنبياء وال أولياء وحسن اوئلك رفيقا.. عندئذ يوافق المؤمن، فتوخذ روحه.

هذا هو ملك الموت، وعلى الانسان ان يختار الطريقة التي يحب ان يتعامل بها ملك الموت معه.

## •منهج الاسلام في طلب العلم

يقول الامام علي(ع):

□ (وَقْرَعْتُكَ بِأَنْوَاعِ الْجَهَالَاتِ لَلَا تَعْدُ نَفْسَكَ عَالِمًا، فَانْ وَرَدَ عَلَيْكَ شَيْءٌ تَعْرِفُهُ أَكْبَرْتُ ذَلِكَ فَانَ الْعَالَمُ مِنْ عَرَفَ أَنَّ مَا يَعْلَمُ فِيمَا لَا يَعْلَمُ قَلِيلٌ فَعَدَ نَفْسَهُ بِذَلِكَ جَاهِلًا) □

فالترقيع بأنواع الجهالات تعيد الانسان الى واقعه، حتى لا يتصور نفسه، قد بلغ الكمال في العلم، فالغور حجاب كثيف بين الانسان وبين الحقائق..

والعالم هو الذي يذكر نواقصه، والاعمال التي لم يستطع ان يفعلها، اما الاعمال التي انجزها، فإنه ينساها، حتى يبقى باحثاً دائماً عن العلم ولا يغتر.

يقول الامام(ع):

□ (فازداد بما عرف من ذلك في طلب العلم اجتهاداً، فما يزال للعلم طالباً، وفيه راغباً، وله مستفيداً ولأهله خاسعاً مهتماً وللصمت لازماً، وللخطأ حاذراً، ومنه مستحيياً) □

ان العلم والغور لا يحتمان، لأن المغور لا يخشى عالم، ولا يرحب في مزيد من المعرفة، ولا يهتم بغيره، أما العارف بجهله، والطالب للاستفادة، فإنه يخشى للعلماء ويلازم مجالسهم مقتدياً بسيرتهم!

وقد لخص الإمام علي(ع) هذا الامر في موضع آخر حيث قال:

- (الناس فيما يعلمون أربعة:  
\* فرجل لا يعلم، ولا يعلم أنه لا يعلم، فذلك أحمق فاتركه.  
\* ورجل لا يعلم، ويعلم أنه لا يعلم، فذلك جاهل فعلمه.  
\* ورجل يعلم، ولا يعلم أنه يعلم، فذلك غافل فنبهه.  
\* ورجل يعلم، ويعلم أنه يعلم، فذلك عالم فاتبعه.

و يواصل الإمام علي(ع) وصيته:

□ (وقد نبأك الله عنها - اي الدنيا - ونعت لك (اووضحت) نفسها وكشفت عن مساوتها، فایاك أن تغتر بما ترى من اخلاق أهلها اليها وتکالبهم عليها، وإنما أهلها كلاب عاوية، وسباع ضارية، يهرب بعضها على بعض، يأكل عزيزها ذليلها، وكثيرها صغيرها، قد اضلت أهلها عن قصد السبيل، وسلكت بهم طريق العمى، واخذت بأبصارهم عن منهج الصواب، فتاهوا في حيرتها، وغرقوا في فتنتها، واتخذوها ربّاً، فلعبت بهم ولعبوا بها ونسوا ما وراءها)

كنت مرة في طريق خارج المدينة فرأيت على الطريق دابة ميته قد تعفت وتفسخت، ورأيت حولها حوالي ثلاثين الى أربعين كلباً يتنازعون عليها! فابتسمت لما رأيت وهتفت، بنفسي هذه الدنيا العفنة الزائلة، والناس يتکالبون عليها، كهذه الكلاب! قد لخصتها أمام ناظري هذه الصورة!!

ان الزهاد يرون الدنيا كهذه الجيفة التئنة، بينما الناس متکالبون عليها، يظنون انهم يحصلون على الخير، هذا ليس خيراً!

□ (وليس بخير خبر وراءه النار، وليس بشر شر وراءه الجنة)!

كما قال الامام السجاد عليه السلام.

يقول الامام علي(ع):

□ (فإياك يابني أن تكون (كمن) قد شانته كثرة عيوبها، نعم مغفلة، وآخرى مهملة، قد اضلت عقوها، وركبت مجدها سروح عاهة بواحد وعث، ليس لها راع يقيمه، رويدا حتى يسفر الظلام، كأن قد وردت الضعينة، يوشك من اسع أن يؤوب) □

وهذه الكلمات من ابلغ كلمات الامام(ع) التي يصور فيها باختصار شديد: حالة الناس العابثين اللاهين الغافلين عما ينتظرون، كيف أنهم كالنعم المغفلة، أي الحيوانات المربوطة، وآخرى مهملة متروكة تسرح كيف تشاء في وادٍ شائك، ولكن كما يقول عليه السلام في موضع آخر:

□ (الناس نیام اذا ماتوا انتبهوا) □ !

## • القناعة راحة القلب وخفة الميزان

ثم يقول:

□ (واعلم ان من كانت مطية الليل والنهار فانه يساربه وان كان لا يسير! ابى الله الا خراب الدنيا، وعمارة الآخرة) □

من كان راكباً الليل والنهار فانه الى نهاية اكيدة، ويكتفي ان نعلم ان الدنيا فانية والآخرة هي الباقية.. فهل من مذكر؟!

ثم يقول الامام(ع):

□ (أي بنبي: فان تزهد فيما زهدك الله فيه من الدنيا وتعزف نفسك عنها فهني أهل ذلك وان كنت غير قابل نصيحتي اياك فيها، فاعلم يقيناً أنك لن تبلغ أملك، ولن تعدو أجلك، وأنك في

سبيل من كان قبلك، فاخفض في الطلب، واجل في المكتسب، فإنه رب طلب قد جرّ الى حرب، وليس كل طالب بناج، وكل محمل بحتاج، واكرم نفسك عن كل دنيا، وان ساقتك الى رغبة فانك لن تناضل بما تبدل من نفسك عوضاً، ولا تكن عبد غيرك، وقد جعلك الله حرّاً، وما خير خير، لا ينال الا بشر، ويسر لا ينال الا بعسر □

ان هذه الوصية موجهة لنا قبل اي شيء.. ونحن الذين ربما لم نتعظ بوصايا الامام علي(ع) وتزهيده لنا في الدنيا.

انه يقول لنا، اذا كان ولابد لكم من الذهاب وراء الدنيا.. فليكن ذلك بلطف، لا هشاً مستمراً وراءها اسع قليلاً، فاذا حصلت على شيء فاقتنع بما حصلت عليه، وقل الحمد لله، لانك قد تلهث وراء الدنيا وبدل ان تصل الى امالك، تصل الى حرب! والناس الذين عملوا باعتدال للدنيا، ومتناسباً مع طاقتهم، لم يبقوا فقراء، عمل عادي، حساة مريحة، وربما يحصل اكثر مما يحصل عليه اللاهث وراء الدنيا، والذي يتعب نفسه من اجلها.

يقول الامام علي(ع):

□(وان ساقتك الى رغبة (أي ساقتك نفسك الى رغبة) فانك لن تناضل بما تبدل من نفسك عوضاً □)

فيما أيها اللاهث وراء الدنيا! هل ستنتفعك الاموال التي حصلت عليها بعد أن أفيت جسمك، وتدهرت صحتك في جريك وراء الدنيا؟

لاتعطي جسمك وروحك وكل ما عندك في سبيل المال، وماذا ينفعك الثراء اذا كان جسمك ونفسك في عناء، لا تذوق للراحة طعمها، ولا تغمض بالسكينة جفناً. ثم يقول كلمته المشهورة في الحرية:

□(ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّاً)

محذراً ومذكراً بان الله خلقك حرّاً فلا يجعل طمعك يصيرك عبداً! فالخلق لم

يجعلك عبداً لغيرك، ولكن طمعك هو الذي يجعلك كذلك.

□ (وما خير لابناء البشر، ويسراً لابناء الآبعس)

هذا جانب من منهج الاسلام في تربية الانسان باثارة عقله واقناعه بترك الدنيا،  
والتفرغ للحياة الآخرة. نسأل الله العلي القدير ان يجعلنا منهم.



## الفصل الرابع:

- التربية الاجتماعية أرضية الثورة
- التسلح بالارادة الذاتية لتركيبة النفس
- اثارة العقل وسيلة التربية
- مكونات الشخصية الرسالية
- اليقين سبيل الاستقامة
- الحكمة والاجتهد في شخصية الرسالي
- الثورة الاسلامية وأزمة الحضارة البشرية



# التربيـة الاجتمـاعـية

## أرضـية الشـورـة

● مهما اختلفت الآراء حول العوامل الأساسية للثورات والظروف التي تصنعها أو تساعد عليها، فإن هناك حقيقة هامة لا يمكن إنكارها، وهي: أن للتربيـة الفردـية والاجتمـاعـية، دوراً أساسـياً في الثـورـات ذلك لأن «اصـالة الـانـسـان» هي محـورـ الثـورـات لا «أصـالةـ الحـثـمـيات».

الـانـسـان هو الـذـي يـقرـرـ ان يـصـنـعـ واقـعـهـ حـسـبـماـ يـرىـ، وـيـسـعـىـ منـ أـجـلـ ذـكـ فـيـصـطـدـمـ بـالـعـقـبـاتـ، وـيـتـصـارـعـ مـعـهـ حـتـىـ يـنـتـصـرـ عـلـيـهـ، فـيـصـبـحـ «ـثـائـرـاًـ»، وـنـسـمـيـ هـذـهـ الـعـمـلـيـةـ بـ«ـالـثـورـةـ»ـ أـمـاـ اـذـاـ خـارـتـ عـزـيمـةـ الـانـسـانـ، وـاـسـتـسـلـمـ لـلـحـثـمـيـاتـ وـالـظـرـوفـ الـمـحـيـطـةـ بـهـ، فـاـنـهـ لـيـسـ فـقـطـ لـنـ يـصـنـعـ ثـورـةـ وـحـسـبـ، وـاـنـاـ سـيـصـبـحـ حـجـرـ عـثـرةـ اـمـاـيـ تـغـيـرـ اوـ تـطـوـيرـ.

وكـماـ انـ اـصـالـةـ الـانـسـانـ مـحـورـ الـأـفـكـارـ الرـسـالـيـةـ، فـانـهاـ مـحـورـ التـرـبـيـةـ، فـلـوـلاـ قـدـرـةـ التـوجـيـهـ عـلـىـ تـغـيـرـ مـسـارـ الـانـسـانـ، وـلـوـلاـ انـ الـانـسـانـ حـرـّـيـ فيـ اـنـ يـتـحدـىـ وـاقـعـهـ الـفـاسـدـ بـقـوـةـ التـوجـيـهـ لـاـنـعـدـمـتـ فـلـسـفـةـ التـرـبـيـةـ اـسـاسـاًـ.

انـ هـنـاكـ نـوـعـيـنـ مـنـ التـرـبـيـةـ يـؤـثـرـ أـحـدـهـماـ فـيـ الثـورـاتـ تـأـثـيرـاًـ حـاسـمـاًـ، بـيـنـماـ لـلـثـانـيـ

تأثير مساعد:

- (١) التربية الفردية.
- (٢) التربية الاجتماعية.

## • عن التربية الفردية

وهي البرامج التربوية التي تنصب اهتماماتها على تربية القيادات، الكوادر، حيث يقول مؤرخو الثورات: ان القيادات التي توجه الثورة، وبالذات شخصية القائد الأعلى، والمرشد العام للثورة، الذي يعطيها من روحه الوثابة، ومن عقله النير، ومن طاقته المتفجرة: الروح والنشاط والتخطيط والدفع السريع، ان لها دوراً أساسياً في انتصار الثورات، فالقائد الملهم أحد الشروط الأساسية الذي يجمع عليه كل مؤرخي الثورات تقريباً، حتى الذين يؤمنون بالسمات الاقتصادية أو الاجتماعية، وما اشبه يشيرون الى دور القيادات الكبير بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

## • عن التربية الاجتماعية

ان لكل مجتمع من المجتمعات روحًا تسوده، هذه الروح هي خلاصة تفاعلات التربية الفردية لكل فرد في المجتمع، مضافة الى مجموع افكارهم وأنماط سلوكهم وشخصياتهم، وانواع ردود افعالهم اتجاه الاحداث.

ويولي بعض المؤرخين وعلماء الاجتماع، لهذا الجانب أهمية كبيرة، ربما أكبر من حجمه، هناك من بحث وكتب حول روح الشعوب، وبين مثلاً ان الشعب الروسي شعب كسل منضبط وحاد المزاج، والشعب البريطاني شعب خامل الفكر، ولكنه منضبط ويتبع قياداته، وهكذا تراه بين خصوصيات الشعب الهولندي، أو الصيني، أو العربي، خصوصية عامة تكاد تشمل كل الافراد.

ونحن وإن كنا لانوافقهم مائة بالمائة، إلا أن كتاباتهم تحتوي على نسبة محترمة من الصحة، إذ أن الروح الاجتماعية هي—بالفعل—نتاج الجهود والتصورات التربوية التي يراها كل أب لتنشئة أبنائه، وباجتماع الانماط التربوية المختلفة، تتشكل روح واحدة تطبع ذلك المجتمع بسمة تميّزه عن المجتمعات الأخرى.

## • كيف تزرع بذور الثورة؟

السؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل أن الروح الاجتماعية، وبالتالي التربية هي من صنع الإنسان نفسه؟ أم هي نعمة إلهية؟ أو طبيعة أرضية حتمية، لاشأن للإنسان فيها؟ هل هي ضمن حدود اختيار الإنسان وحريرته أم هي مفروضة عليه؟

يجيب على هذا السؤال علماء الدين والتربيـة والاجتمـاع والفلسـفة: بأن التربية عمل اختياري لـلإنسـان! فـالأب يـستطيع أن يـربـي ابنـه حـسب ما يـشاء، فـاشـلاً أم نـاجـحاً، أـنـانياً أم اـجـتمـاعـياً، مـسـتأـثـراً لنـفـسـه أـم مـؤـثـراً عـلـيـها، شـجـاعـاً أم جـبـانـاً، وـنـفـط التربية يـخـضـع بـدورـه لـنمـط الشـفـاقـة الـتـي يـؤـمـن بـها الفـرد.

ان التربية الاجتماعية اذن عامل أساسي من عوامل الثورة، وهي من صنع الانسان ذاته، فإذا أردنا أن تتفجر ثورة في مجتمع ما بعد ثلاثين عاماً مثلاً فلا مندوحة

من أن نهتم بتربية الجيل الصاعد منذ اليوم كي نحصد ثمار التربية بعد الثلاثين عاماً، قاماً كما لوأردنا أن نأكل الجوز، فاننا لابد أن نزرع أشجارها قبل ثلاثين عاماً.

وهذا أمر طبيعي، اذا أردت للثورة أن تينع، فلا بد أن تتعب عليها غرساً وتنمية حتى تتد جذورها في كل الأوساط الاجتماعية، وتفت فروعها ساقمة الى أعلى المستويات، وبخطىء الكثير من الثوار الذين يستجولون النتائج ويريدون أن يزرعوا صباحاً، ويقطفوا مساءً، أجل بامكانك أن تبذر حبوب الفجل اليوم وتقطف أوراق بعد ثلاثة أسابيع، ولكنك لن تحصل على بساتين التخيل أو الزيتون من هذه العملية اطلاقاً، واذا كنت تزرع الفسائل اليوم وتريد أن تأكل منها بعد شهر أو شهرين فأنت واهم.

لقد قام الامام زين العابدين(ع) بزرع بذور الثورة عبر التربية الرسالية منذ عام ٦١ للهجرة، وظل خمساً وثلاثين عاماً على هذا المنوال ثم جاء ابنه الامام البارق(ع) ليواصل المسيرة، غرساً وتعهدأً، ليفجر بعد ذلك زيد بن علي جزءاً من تلك الثورة، ثم ليستمر الامام الصادق(ع) في الغرس والتعهد، لأن أوان القطف لم يحن بعد، وكان مقدراً ان يقوم الامام الكاظم عليه السلام بعملية التفجير، ولكن لم يفعل، لأن رياح التغيير لم تجر بما اشتهرت سفن الثورة.

القضية ليست بسيطة، لأنها قضية بناء ثورة. بامكانك ان تزرع قبلة هنا فتفتجر في لحظات، أو تقوم باخراج مسيرة جاهيرية، تستطيع ان تفعل ذلك، ولكن تعمل بعمل سريع، وتأخذ نتائجه سريعاً، وينتهي العمل وتتبخر النتائج. وهنا سؤال آخر يطرح نفسه يقول: ما هي الأسس التربوية التي نستطيع بموجتها أن نحسب حساباً للثورة؟

## ● الأسس التربوية للثورة

ان هناك جانبين رئيسيين للتربية الثورية هما:

- تربية الفرد الثوري.
- تربية المجتمع الثوري.

**ألف** - لوسعى كل أب الى تربية أبنه على الصفات الحسنة التي يأمر بها الاسلام، (والتي سوف نفصلها مستقبلاً ان شاء الله) كالشجاعة والاقدام وحب الآخرين والاحسان اليهم، والامان والاستعداد للدفاع عن الحق الى آخر نفس، والمبادرة، والوعي والذكاء، وجموعة الصفات الفردية الأخرى؛ فانه سوف يصبح عنصراً ثورياً ممتازاً.

باء - ولكن الأفراد كأفراد لا يثرون، واما يثور المجتمع حينما يتمتع الأفراد بروح جماعية، فلو تصورنا مجتمعاً فيه مليون شخص، يعيش كل شخص لنفسه وبطريقته الخاصة، لاحتاج ذلك المجتمع الى مليون سنة لتشویره، لأن كل فرد يعيش في حدود ذاته. هل سمعت قصة العصى؟.. حينما حانت وفاته استدعي الأب أبناءه العشرة وناولهم حزمة من القصب، وأمر كل منهم أن يكسرها فحاولوا الواحد بعد الآخر كسرها فلم يستطع، فما كان منه الا أن فك رباطها وزعها عليهم، لكل فرد قصبه، فكسر كل منهم قصبه بسهولة، ثم قال لهم: هذا مثلكم أنتم اذا اجتمعتم تحديتم الناس جيئاً، والا فان اضعف الناس سوف يتهدى لكم! وهكذا المجتمع الذي يعيش أحادياً، فانه لا يقدر على الثورة.

اما الروح الجماعية او الوحدة دعامة اساسية في الثورة، الا أن الوحدة، تخضع للنسب، فقد تبلغ نسبة الوحدة في مجتمع ١ %، بينما تبلغ النسبة في آخر ٥٠ %، في حين تبلغ في ثالث ٩٨ %، وهكذا دوالياً، والوحدة لا تكفي لثورة المجتمع اذا كانت بنسبة دانية، واما يجب أن تبلغ نسبتها مستوى عالياً يهيء الظروف للثورة.

اذن لابد ان نربي المجتمع على الوحدة بتنمية الصفات التي توفر التفاعل بين افراد المجتمع، كصفة الاخوة.. والاستشارة.. والنصيحة.. والتواصي بالحق.. والصبر.. والعطاء المتبادل.. والقدرة على تكوين التجمعات الحضارية.. وبالطبع فان تنمية

هذه الصفات ليست هينة، وإنما هي بحاجة إلى برامج تربوية تبدأ مع الإنسان منذ الطفولة، بل منذ اللحظات الأولى ولولادته!

ونحن بحاجة اليوم إلى برمجة تربتنا ولادنا على أساس الوحدة، وعلى أساس عدم العزلة عن المجتمع، على أساس الحرية ضمن النظام، والمبادرة مع الانضباط، والتنفيذ وليس الجدل، وتفجير الطاقات، وليس والتبرير.

وإذا أردنا لامتنا الإسلامية بعد ٣٠ عاماً أن تعيش بحرية وكرامة واستقلال، وتتحدى القوى المناهضة، فإن ذلك لا يتم إلا عبر برامج تربوية اجتماعية.

القوى الامبرالية، والقوى الصهيونية، يخططون لاستعمارنا ثم يترجمون تربية أولادنا على أساس الخضوع لهم! أفلًا يحق لنا أن نفكر جدياً في تربية أولادنا على الثورة ضدّهم..؟!

## • كيف تربى إسرائيل أبناء اليهود؟

فتلك إسرائيل – الغدة السرطانية والقوة التوسعية التي لا تعتمد سوى قدرتها العسكرية وتنشر خلاياها العمillaة، وهيمنتها الاقتصادية والخربية، على كثير من المناطق، ومن ضمنها منطقة البترول – تربى ابنائها على الروح العسكرية منذ الصبا، ففي تقرير حول تربية الجندي الإسرائيلي يقول: إن وزارة الدفاع تأخذ الجنود أطفالاً منذ الأسبوع الثالث من ولادتهم لحساب الوزارة، لتنشئهم على روح الحرب للدفاع عن المطامع الامبرالية العالمية باسم اليهودية والصهيونية والتوراة والدفاع عن الله!

فإن كان عدونا يربى أطفاله منذ أسبوعهم الثالث من العمر للاعتداء علينا، وهدم البلاد الآمنة في فلسطين ولبنان ومصر والشام، أفلًا يجدونا أن نعمل مثله، وإن نقوم بتربية أطفالنا من نفس العمر لأجل الدفاع عن النفس!

## ● تعاليم الاسلام في التربية

ان برامج القرآن ووصايا رسول الله(ص) وتعاليم اهل بيته الكرام من الانبياء والمرسلين تهدف فيما تهدف هذا النوع من التربية.

ان حديثاً كحديث رسول الله(ص) الذي يقول:

■ (انما بعثت لأتم مكارم الاخلاق) ■

لا يتصل ببناء الشخصية الرسالية الثورية وحسب، وإنما هو مفتاح التربية الاجتماعية أيضاً، فان المجتمع الذي تتركز فيه النفسية، كعقدة الحقارنة، أو الصعنة، أو عقدة أوديب وغيرها، لا يستطيع أن يثور ضد ادعاءه لتفككه وعدم استقراره، كما لا يستطيع أن يثور مجتمع، الأخ فيه لا يصدق مع أخيه ولا يخلص له، ومعظم الأحاديث تحذرنا من النتائج السلبية الواضحة لهذه السلوكيات الاجتماعية!

فقد ورد في الحديث مثلاً ..

■ (إذا تخاصستم وهي عليكم شراركم.. «أو في رواية» غيركم..) ■

فهل للحسد علاقة بتولية الآخرين؟ بل: اذا كان أفراد المجتمع يتحاسدون، ويتنافسون تنافساً غير شريف، يأتي العدو فيأخذهم جميعاً (كما حدث بالفعل في بعض المجتمعات).

أجل ان الانسان الفرد لا يمكن أن يعيش مستقلاً موحداً للله غير مشرك به، ان كانت نفسه مركزاً للصفات الفاسدة، وبؤرة للخلقيات الرذيلة، فكيف بالمجتمع ان كان كذلك؟!

من هنا نستطيع أن نتبين قيمة وصية الامام علي(ع) لابنه الامام الحسن(ع) والتي يطرح فيها برنامجاً متكاملاً لتربية الفرد لابنائه، فقد بدأ الوصية بالحديث عن البرامج العلمية والتعليمية ثم بالتوجيه الى ذكر الموت، ثم ذكر عبر التاريخ باعطائنا

منظاراً تاريخياً، نظر عبره الى الماضي والمستقبل، ثم تطرق بعد ذلك الى سلسلة من الوصايا الاجتماعية التي لوطبها المسلمين، وأرجو أن نطبقها – لنزلت علينا برّكات الله وانتصرنا على الاعداء انشاء الله. يقول الامام علي(ع) :

□ (ومن خير حظ امرءٍ قرین صالح) □

اليست هذه وصية ثورية؟ الامام(ع) يريد ان يتجمع الصالحون مع بعضهم، وليشكلوا بذلك الخلايا الاجتماعية الرسالية القادرة على التصدي للاووضع الفاسدة. ثم يقول(ع) :

■ (فقارن اهل الخير تكن منهم، وبابن أهل الشر تبن منهم، لا يغلبن عليك سوء الظن، فانه لا يبدع بينك وبين صديق صفحأ « اي اعراضأ » □

لأن سوء الظن بين الأصدقاء يزرع بينهم حب الانتقام ويفصم حبل المودة ويفسخ الثقة من بينهم، وبعد ذلك يقول(ع) :

■ (بئس الطعام الحرام، وظلم الضعيف افحش الظلم، والفاحشة كاسمها، والتصبر على المكرهه يعصم القلب) ■

من الناس من لا يمتلكون الصبر، ولكن عليهم ان ينمّوا صفة الصبر في انفسهم بالتصبر واحتمال الاذى فمن احتمل صفة يكاد ان يصل اليها، ويقول الامام(ع) :

□ (واذا كان الرفق خرقاً، كان الخرق رفقاً) □

نحن في بعض الاوقات، نحن نحتاج الى ان نثور ونتمرد ونخترق القوانين، كما نحتاج في اوقات اخرى ان نكون هادئين ونتحمل الصعاب، فعملية الخرق أو الرفق، اما هي خاضعة لتخفيض الانسان، لعقله ووعيه وبصيرته وليس لارتجالياته، «ربما كان الداء دواء، وربما نصح غير الناصح وغض المستنصر» فعلى الانسان ان لا يسترسل في الحياة، فربما الناصح ينصح، وربما الناصح يغش، وربما غير الناصح ينصح، اذن علينا ان نفكّر دائماً، وان لا نسترسل ونشغل عقولنا.

## □ (واباك والاتكال على المنى فانها بضائع النوكى'

فالاًحق هو الذي يمتّي نفسه، أما العاقل فانه يعتمد السعي والحركة، كي لا تقعده  
أمانيه بالتماطل عن الوصول الى أهدافه الدنيوية والأخروية

## □ (وزنك قلبك بالأدب كما يذكى النار بالحطب، ولا تكون كحاطب الليل وغثاء السيل)

ان الادب يزيد القلب نزاهة واستعلالاً بحب الحياة والخير، كما يزيد الحطب  
النار التهاباً واستعلالاً، فحسن الأدب هو الذي يمحو من القلب العقد، وأوساخ  
الشهوات والأطماع، ليوجهه نحو العطاء والبذل والشعور بالراحة ولذلة خلال التعامل  
بالحسنى، بعكس الأناتي الحقود الذى لا يستشعر سوى الضجر الدائم كاجلس القدر  
مشغل بالأمراض والتعب.. وهنا على المؤمن أن ينتقى من الآداب ما نفع، فما كل  
مكتوب بنافع. فقد يجمع الحطب في الليل فتجد انه كان مجموعة اشواك في النهار أو  
كغشاء السيل الذي يصور لنا السيل شيء كثير وعندما نضع يدنا نجده لاشيء. ثم  
يوجه الامام النصيحة حول الاستقامة في السيرة قائلاً:

## □ (وكفر النعمة لؤم، وصحبة الجاهل شؤم، والعقل حفظ التجارب، وخير ما جربت ما وعظك، ومن الكرم لين الشيم)

فمن حق المنعم أن يُشكّر لا أن يُبْحَد .. اذ أن من الناس من يقول لن ينعم عليه  
 بشيء انك لم تصنع لي شيئاً اما نفذت الواجب عليك!! وهذا غير صحيح لأنه لؤم!  
 ان الكرم ليس بالمال فحسب، والذى لا يملك المال قد يملك الأخلاق الفاضلة،  
 والعفو والبشاشة، ثم يقول(ع):

## □ (وبادر الفرصة قبل أن تكون غصة)

وهذا أقوى سلاح يمتلكه الثوري اذا امتلك عنصر المبادرة وترك عدوه في دوامة من  
ردود الفعل، والبعض يترك الفرصة تمر دون اغتنامها، وفوتها غصة، اذ لا تعود اليك.  
 ويؤكّد الامام الفكرة ذاتها بتعبير آخر قائلاً:

□ (ومن الحزم العزم، ومن سبب الحرمان التوانى) □

بعد ذلك يلفت الامام النظر، الى مسألة هامة قد يتعرض الكثير منا لها، الا وهي التغريب في الزاد، زاد المسيرة حيث لا ننتبه للمأساة الا حين نمد الأيدي إلى اللئام، يقول الامام(ع):

□ (ومن الفساد اضاعة الزاد — ثم يقول— ولا تبيّن من أمر على عذر) □ «اي لاتأت عملاً تعذر منه» !

■ (ومن حلم ساد، ومن تفهم ازداد، ولقاء أهل الخير عمارة القلب، ساهم الدهر ما ذلت لك قعوده، واياك أن تطحي بك مطية الملاج، وان قارفت سينة فجعل بمحوها بالتوبه، ولا تخن من ائتمنك وان خانك، ولا تذع سره وان أذاع سرك، ولا تخاطر شيء رجاء أكثر منه، وأطلب فانه يأتيك ما قسم لك، والتاجر مخاطر، وخذ بالفضل، وأحسن البذل وقل للناس حسناً) □

كل هذه الصفات من شأنها أن تخلق الانسان الثوري، ان الانسان المنضبط يكتسم غيظه، فيحبب اليه الناس فيسود بحلمه، مع ما يمتلك من ميزات قيادية أخرى، ويزداد قرباً لأصحابه بالتفهم والتقاء أهل الخير، وهو لأنضباطه لا يذيع سراً ولا يخون من ائتمنه، ولا يترك ما بيده طعمأً في أكثر، شهوراً. ولا يقعد عن السعي طلباً لما قسم الله له، ودأبه قول الحسن لستمعيه.

والمجتمع الذي يتربى على هذه الأسس التربوية، هو مجتمع يصلح للثورة.

ويتابع الامام تربية نجله الامام الحسن عليه السلام بالقول:

■ (وأن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره ما تكره لها، انك قلما تسلم من تسرعت اليه) □

أي لا تتسرع في صداقاتك ومعارفك فإذا أردت أن تتعامل مع الناس فاخبر من تريده صداقته، فإذا اختبرته تعامل معه كي لا نندم فيما بعد.

□ (واعلم ان من الكرم الوفاء بالذمم، والصدود آية المفت، وكثرة العلل آية البخل ولبعض

امساكك على أخيك مع لطف، خير من بذل مع جنف (الجبن والتجهم وجه القطعية) □

أجل ان الامساك مع البشاشة خير من العطاء الذي يستهدف التسلط والظلم،  
كما أن الصداقة لا تكون بالثرثرة، وإنما باسداء الجميل وحسن العشرة والألفة..

□ (واهل نفسك من أخيك عند صرمة إياك على الصلة، وعند صدوره على لطف المسألة، وعند  
جوده على البذل، وعند تباعده على الدنو، وعند شدته على اللين، وعند تبرمه على الاعذار،  
حتى كأنك له عبد) □

وهذه صفات الرسالي ان لا يواجه اخطاء اخوته بالمثل، لا يحاول ان يتصدى لاخطاء  
اخوته ويسجلها عليهم ويشهر بهم، عليه ان يعذر لهم.. يتلطف لهم.. يصلهم..  
كأنه لهم عبداً.. احسب نفسك عبداً لصديقك. وهذه النصيحة هي للجانبين، فانت  
تحسب نفسك عبداً له، وهو يحسب نفسه عبداً لك، لكي يعيش التجمع حياة الفة  
وحبة.

ويذكر الامام بأي نوع من الأخوان يكن التعامل معه بهذه الطريقة اذ يقول:

□ (وإياك أن تضع ذلك في غير موضعه، أو تفعله في غير أهله) □

فليس كل صديق جدير بتلك المعاملة فقد تصادف شيطاناً فهل تؤاخيه؟ لنبحث  
بجد عن صديق ونكتشفه ونتعامل معه بالاحسان والايثار، ولا ننتظر منه ان  
يكون هو كذلك قبل ان نبدأ بالخبر. كقصة ذلك الطفل حيث اعطته امه تفاحة  
وأمرته بأن يقسمها بينه وبين اخته، تقسيم ابن فاضل حسن الأدب فأسأها: ما هي  
صفة الابن الفاضل الحسن الأدب؟ فقالت: هو الذي يعطي لأخته القسم الأكبر من  
التفاحة اذا قسمها بينه وبينها، فما كان من الا بن الا أن اعطى التفاحة لأخته وقال  
لها: اقسميها قسمة البنت الفاضلة الحسنة الأدب! فهناك من الناس من يريد ان  
يعطي صديقه التفاحة ليكون صديقه الحسن الأدب وليس هو

فهل الصديق أولى بالخير منه؟ لماذا ينتظر الآخرين أن يحسنوا اليه، فالامام يخاطبنا في مناسبة أخرى قائلاً:

□ (ولا تقل أن غيري أولى بالخير مني) □

ثم يقول في الوصية في صدد اختيار الصديق..

■ (ولا تتخذ عدوك صديقاً فتعادي صديقك) ■

وهذا كلام موجه الى من يوزع صداقاته هنا وهناك وعلى صعيد واحد، فيجمع بين الشتات، وقد يكون صديقاً لأطراف متعادين، وكيف يتسى له ذلك، إلا ان يكون بالنفاق.

□ (ولا تعمل بالخدية فانه خلق اللثيم، وامض أخاك النصيحة) □

وأما بالنسبة للأخ فلا بد من محضه النصيحة سواء قبل أم لم يقبل! سواء رضي أم سخط، وافق أن يبقى صديقاً لك أم لم يوافق. ان الصديق هو من أهدى الي عيوبه وأبكاني من أجل أن أسعد، لا من يضحكني فأشقي! هكذا تمحض النصيحة..

□ (وساعده على كل حال وزلت معه حيث زال، ولا نطلبن مجازات أخيك وان حث التراب بفليك)، وجد على عدوك بالفضل فانه أحرى بالظفر، وسلم من الدنيا بحسن الخلق، وترجع الغيط، فاني لم أرج رغبة أحلى منها عاقبة ولا ألد منها مغبة، لا تصرم أخاك على ارتياط، ولا تقطعه دون استعتاب، ولن لمن غالظك، فانه يوشك ان يلين) ■

وهكذا يستمر الامام في النصح والارشاد بما يحفظ للانسان اخوته وأصدقائه، فانهم حتى ولو بدا منهم شيء، فلا يجب أن يحمل على السوء، فان الصديق لا يفترط فيه بمجرد الخطأ، ولا يسقط من العين لاي عيب، فلا يجوز أن تترك صديقك دون أن تستعيبه وتصارحه، بما فيه من الاخطاء، لأن من الجائز أن تكون أنت المخطيء،

ولدى المصارحة تكشف الأمور، وتصفو القلوب، فتعود المياه الى مجاريها، أما اذا كان معك غليظاً، فعامله بلطف ولين، مهما كان شديداً فانه — بدوره— يلين معك تدريجياً!

وهكذا يستمر السياق في بث النصائح الهامة لوضع البرامج التربوية الاجتماعية التي تدفع الى تلاحم المجتمع ليتحول المجتمع المفكك الأحادي الى مجتمع متماسك مركز متلاحم متفاعل كالكتل الصخرية القوية التي تتحدى الأمواج العاتية.

نسأل الله سبحانه أن يوفق أمتنا الاسلامية هذه التربية الاجتماعية الاهلية لتكون تمهيداً للثورة الحقيقة التي تتبع الرسالة الاهلية.



## السلح بالارادة الذاتية لتزكية النفس

● لنجاح أية حركة اجتماعية لابد أن تجتمع فيها وتلتئف حولها عناصر ناجحة في الحياة لأن الحركة أو التنظيم، لا يمكن ان تتحقق النجاح من مجموعة اناس فاشلين، لأنها ليست سوى اطار تعكس عليها صبغة الافراد المنتسبين اليها.

### ● متطلبات الانتماء

من هنا فان على كل فرد رسالي، وكل من يريد الانتصار لقضية، أن يكون همه الاول، ان يكون ناجحاً في الحياة، وفي كافة الحقوق، لكي ينعكس هذا النجاح بصورة آلية على وضع حركته. الفرد الفاشل في العلاقات العامة، والذي لا يستطيع ان يكسب الأصدقاء، أو يقنع الآخرين بأفكاره، ولا يملك مفاتيح الاسرار أو مداخل القلوب، ولا يدرى كيف يدخل البيوت من أبوابها، سينعكس فشله – في علاقاته العامة، شاء أم أبى – على حركته التي ينتمي اليها.

لو كان المنتمي للحركة دائم المرض، ضعيف البنية، خائر القوى، خامل الاعضاء، متوتر الأعصاب، فلا شك في فشله لأنه لن يتحمل عبء الحياة العارية،

فكيف يحمل هم الأمة الذي يشق الكاهل؟ لابد للحركة من ظهر قوي يتناسب وحمله الشقيق، فماذا ينفع المريض؟ وكيف يتستى له تجسيد أهداف الحركة..؟

وهكذا الفرد الذي يفشل في علاقاته الأسرية، ولا يستطيع حل مشاكله العائلية مع زوجته، أو أبنائه، أو اخوته، انه سيصبح كلاماً على التجمع الذي يؤمن به، وينتمي اليه، لأن أقرب باءه وذويه سيشكون يومياً من تصرفاته ومارساته. وحين يرى الناس في هذا الفرد، وجها من وجوه التجمع، فإنهم يحسبون ان كل ابناء التجمع هم على شاكلته، فيعيشون منه، ويفقدون ثقتهم فيه، إنهم لا يؤيدون التجمع بسبب نظرتهم لهذا الإنسان.

كذلك الفرد الذي لا يستطيع أن يوفق بين وظيفتين أو أكثر، يصبح انتماًءاً مشكلة، لأنه لا يجيد إلا عملاً واحداً، فاما موظف جيد، أو عامل رسالي جيد، ولو جمع بين الاثنين فإنه يفشل، وسوف ينعكس فشله على الخط الذي ينتمي اليه. لأن الرسالي لابد ان يمتلك ابعاداً شتى، كي ينجح، حتى الفرد العادي لا يمكن أن يكون ذا بعد واحد، لأن للحياة أبعاداً مختلفة، فيكيف بالرسالي.

اذن سلوك الانسان الفردي، وقدراته الارادية، حياته كأنسان، وكفاءاته التي يمتلكها، كل ذلك ليس بعيداً عن الحركة التي ينتمي اليها، أو التيار الذي يؤمن به. ومتي يكون سلوك الانسان سلوكاً طيباً؟ يكون ذلك اذا كانت لديه صفات معينة - جذور هذه الصفات سوف تتحدث عنها فيما بعد - اما مظاهر هذه الصفات فهي ما تتحدث عنه الكتب الحياتية عادة، علينا أن نعرفها: كيف تعيش؟ كيف تأكل؟ كيف تحافظ على صحتك؟ كيف تعامل مع نفسك.

## •الخير في استمرار العمل

فقد ترى البعض يجهدون في بداية العمل الى ان تنهار اجسامهم، فلا تبقى لهم

بقية من قوة للاستمرار، ويكون مثلكم، كالذي قال عنه الرسول الاعظم(ص) :

### ■(المنت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى) ■

والمنت هو الشخص الذي يجد في السير دون التوقف للراحة في مكان، فهذا لا يبني لنفسه راحة لكي يواصل المسير، ولا يعطي الفرصة لراحة فرسه، فينهار ولا يستطيع ان يصل الى اهدافه، فلا قطع المسافة الى الهدف، ولا أبقى على فرسه.  
والامام امير المؤمنين(ع) حينما رأى نجله الامام الحسن(ع) يجد في الطاعة قال له:

□(أي بتي ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق)□.. الله الذي، أمرك بالأكل كذلك [وكلوا واشربوا ولا تسرفوا] ومن أمرك بقيام الليل أو صداك بالراحة أيضاً، وكما أوجب عليك الاهتمام بالشئون الاجتماعية، أمرك بالواجبات الصحية أيضاً..

ونحن حين نتدبر في فلسفة الكثير من المحرمات في الاسلام، نجد أن السبب في حرمتها صحّي، كشرب الخمر، الذي يتلف الكبد ويهيء الجهاز المضمي، والعصبي، وسائر أجهزة الجسم، ولعب القمار الذي يمزق الاعصاب، والنجاسات والخبائث يجب الاجتناب منها، لأنها تحمل الميكروبات التي تؤدي الجسم، وبالتالي فإن التعاليم الاسلامية بما تتضمن من قوائم تفصيلية في المباح، والمحرم، والمستحب، والمكره، إنما تتوخى منع المسلم الرسالي - إلى جانب الروح اليمانية- جسماً يتحمل عبء المسؤولية في العمل الاسلامي، الذي يحتاج إلى رجال أقواء يضعون الغد الأفضل، جسماً يتحمل عناء العمل لمدة ستة عشر ساعة متواصلة، جسماً قادراً على مقاومة المرض والجهد، وربما التعذيب. اذن من الناحية الصحية على الانسان ان يحافظ على صحته وعلى قوة جسده، ان الصحة ليست الراحة، أو الكسل، وإنما تعني ان تدير نفسك، اذا جلست على الطعام، فتناول بما ينفع الجسم ويعوي الجسد لطاعة الله، وأداء الواجبات الرسالية، لا للندة، ولا للامتناع وادخال الطعام على الطعام، فان ذلك مفسدة للجسم، ويرث الغباء، والبرص، والكسل، كما في الاحاديث. وقد

قال عليه الصلاة والسلام:

■ (نحن قوم لانأكل حتى نجوع واذا أكلنا لم نشبع) ■

أي لم غشيء، وقد روى أحد الأئخوة قصة حصلت معه شخصياً قال: كنا مدعوين إلى طعام في بيت أحد المعارض و جاءوا بنوع معين من الأكلات الدسمة ضمن المائدة، فقال أحد الحالسين لصاحب له جالس إلى جانبه: إن هذا الأكل يضرك فلا تقربه! فرداً عليه قائلاً: إن رأسي فداء بطنني! فأكل الرجل من تلك الأكلة، وفي الليلة ذاتها دعينا لتشييع جثمان ذلك الرجل! فقد أكل واستهلك عليه المرض فمات.

ويروى أن الحجاج (الإرهابي المعروف) كان يمد السماط، وعليه أنواع الأكل ويدعو الناس لمشاركته المائدة خداعاً للناس، كما يفعل اليوم حكام الأنظمة وسفرائهم في بعض البلدان.. وكان في مائدة الحجاج نوع من الحلوي اللذيدة، فاشترأبت اعناق الحالسين إليه، فقال الحجاج: من اقترب إلى هذه الحلوي، يقطع رأسه، فتوقف الجميع، بعد لحظات صمت، تقدم أعرابي إلى الحلوي وتوجه إلى الحجاج قائلاً: أوصيك بأهلي خيراً!! وهجم على الحلوي يأكل بشره.

كلاً: الرسالي يهيمن على شهوة الطعام في نفسه. الإفراط أو التفريط في الأمور مكرر، و«خير الأمور أو سلطها» فلا اسراف ولا تقدير، ولكن اقتصاد وتدبر.

وكما في الأكل خذ مثلاً آخر من الرياضة.. فإن الأكثار منها مهلكة للجسد ومصرفة للجهد والوقت، ولكن قليل منها مما يتناسب مع حاجة الجسم، ضرورة يحبذها الإسلام، وقد حثّ الرسول الأكرم(ص) على الرياضة حينما قال:

■ (علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل) ■

وعبادياً لو قام المؤمن بالصلاحة الواجبة والمستحبات جميعاً كل يوم احدى وخمسين

ركعة لما احتاج الى مزيد من التدريبات الجسدية، كما يحث الاسلام على العمل في البيت ومساعدة الأهل وجعل في ذلك التحرك صدقة وبركة. ان البعض حينما يذهب الى بيته يجلس كالامبراطور، ولا يعمل شيئاً من امور البيت.  
فلم اذا؟ ان تلك الحركة نوع من الرياضة ايضاً، خصوصاً، العاملين في الحقل الثقافي بحاجة الى حركة جسمية.

ومن المسلم به أن الجسم يفقد حيويته بالتدریج ولا يستعيدها الا بالرياضة! وقد لا يحتاج الجسم الى الرياضة في فترة الشباب، ولكن سرعان ما تظهر الشيخوخة والعجز على هذا الجسم حينما يتعدى الأربعين، وبالرياضة المعتدلة يستمر الجسم سليماً، والانسان بحاجة الى العافية الجسدية والقوه في كبره اكثر من ايام شبابه، بل اننا نريد أن نبلغ المائة عام، ونحن في ساحة العمل الاسلامي، فكيف يتمنى ذلك لنا ان لم نعمل لها؟ أو لسنا نكرر الدعاء..

#### • (اللهم اطل عمرى في طاعتك)

أجل اطالة العمر نريدها في خدمة الاسلام وفي ساحات المواجهة لا على سرير المرض!

اما الذين تستهويهم الرياضة حتى تستقطب كل اهتماماتهم، وتستهلك جميع طاقاتهم فانهم يضيغون على انفسهم الوقت، و المجال الخدمة في سبيل الله، وهذا خطأ فادح. ان الاقتصاد وحسن التصرف وترجمة الاوقات هو المطلوب دائماً.

#### • إقهر القلق وابدا العمل

هناك من يعاني من القلق، ولا شك ان القلق يورث الامراض، كما يورث الكسل والضجر في الحياة الى الدرجة التي يلفت الاسلام النظر الى ذلك وياصر بالدعاء المؤثر:

• (اللهم اني أعوذ بك من الهم والكسل والحزن والضجر والجبن والفقر والفاقة)

ليستعين المؤمن بربه في القضاء على مشكلة القلق. فالقلق داء يحرم على الانسان طعم النوم المبكر، ويقضي معظم الليل أرقاً مضطرباً، وحين يغشاه النعاس في وقت متاخر من الليل لا يستطيع النهوض مبكراً فيفوته موعد العمل صباحاً، هذا ان لم تفتته صلاة الفجر كذلك! ولا شك أن على المؤمن الرسالي أن يكون قدوة لغيره، فعليه أن يكون مبادراً الى العمل وقد قال عليه الصلاة والسلام:

■ (بورك لأمتى في سبتها وبكورها) ■

وكثيراً ما تفوت الفرص بسبب النوم الى الضحى كما يشير الامام الصادق(ع) لهذا الأمر بقوله:

□ (ما أنقض النوم لعزائم اليوم) □

وгин يذكر—في رواية أخرى— عوامل المعصية، يجعل أولها النوم!! وفي عملية حسابية بسيطة لو حسبت كم الفرق من السنين فيمن يعيش سبعين سنة، بين من ينام ثمان ساعات كل يوم، وآخر ينام ست ساعات كل يوم، لوجدت بكم سنة يكبر الثاني صاحبه اذ يفرق عنه خمس سنوات وثمانية أشهر وعشرة أيام قضاهما الأول في السبات أكثر من الثاني —أي نقص من عمره هذا المقدار.

ان النوم عادة، والجسم يعتاد على ما عود عليه، وسامح الله آباءنا وأمهاتنا حيث كانوا يأمروننا بالنوم كلما اشتدت أذيتنا عليهم «ليرتاحوا من اذانا»! حتى تعودنا طول النوم، ومن شب على شيء شاب عليه، فلا بد أن تتغلب على العادة ونقلل من نومنا.

ولكن من جهة أخرى فان من الخطأ الفادح أن يرهق الانسان نفسه ويفقد جسده في حاجة دائمة للنوم مما يتسبب في مشاكل صحية ونفسية، دعنا اذاً ننهر القلق

ونعود انفسنا على القدر المطلوب من التوم.

لقد جاء في الحديث:

■(ما ضعف جسد عما قويت عليه الهمة)■

وهذا يعني ان الجسد لن يضعف طالما ان النفسية مستعدة واهمة قوية! بعض الناس يعتذرون حينما تعرض عليهم اعمال رسالية، أو يكلفون بهم ما ، فهذا صعب على نفوسهم قبل أن تكون ثقيلة على أجسادهم.

وخلال هذه القول لابد أن نتبرى حياتنا بأفضل ما يكون. والكتب التي تبحث في ادارة الانسان لنفسه صحياً واجتماعياً وعائلياً واقتصادياً ونفسياً ثمينة للغاية لأنها تضيّف لقوة ووعي الرسالي، قوة ووعي اضافياً، وتفتح أمامه سبلًا جديدة لتضاف بال التالي فرضاً آخر في حساب العمل الاسلامي، لأن نجاح الاعمال، يتوقف على نجاح الانسان الرسالي في حياته الخاصة، هذه الحقيقة التي مافت الأئمة الأطهار عليهم السلام يركزون عليها ويلورونها أكثر بالبرامج التربوية التي يوجهونها عبر نصائح خالدة. ومنها وصية الامام علي (عليه السلام) لولده الامام الحسن المجتبى (ع).

## • كيف ينبغي ان يدير الانسان نفسه؟

وفي القسم الباقي من الحديث يركز الامام علي (ع) على جوانب من الأمور السابقة، وهي في الواقع برنامج متكملاً للادارة الذاتية— حبذا لو طبقناها تطبيقاً حرفيأً— كما كان يفعل أصحاب رسول الله (ص) حيث كانوا اذا سمعوا كلاماً من رسول الله (ص) انتشروا، فيقال لهم الى أين؟ فيجيبوا: لكي نطبق الكلام! فقد كانوا يستمعون الكلام، للعمل لا مجرد زيادة العلم أو التسلية أو قضاء الوقت، وما أحرانا بالاقداء بهم في هذا!

يشير الإمام بعض أسباب الفشل في الحياة فيحدّر منها قائلًا، ضمن وصيته لنجله المجتبى عليهما السلام:

□ (واعلم أيبني: أن الدهر ذو حروف، فلا تكون من شتـد لائمته، ويقل عنـد الناس عذرـه  
وما أقبح الخضـوع عند الحاجـة، والجفـاء عند الغـنى) □

فهو يحذره من فعل السيئات كي لا يحتاج الى الاعتذار منها، ثم يذكر النفس التي تخضعها الحاجة، أما عند الاستغاثة فهي جافية لئيمة، فعندما يصبح مديرًا لا يعرف أحدًا من أصدقائه بالامس.

ان قيمة الانسان انما تكبر اذا ما كبر هو فوق الشهوات والثروة والجاه والمنصب وكل الماديات فيقول بهذا الصدد:

□ (انـا لكـ من دـنيـاكـ ما أـصلـحتـ بـه مـثـواـكـ، فـانـفـقـ فـيـ حـقـ ولاـ تـكـنـ خـازـنـاً لـغـيرـكـ وـاـنـ كـنـتـ جـازـعـاـ  
عـلـىـ ماـ تـفـلـتـ مـنـ يـدـيـكـ فـاجـزـعـ عـلـىـ كـلـ مـالـمـ يـصـلـ إـلـيـكـ) □

أي على الانسان أن لا يفكر في الشيء الذي يذهب من يده فإنه ليس من نصيه فلا يطيل في أفكاره ولا يقلق بالتالي ويجزع لأن القلق والجزع يهدمان الحياة.

نحن لماذا نجزع على مائة دينار مثلاً ضاعت منها قبل فترة، ولا نستطيع ان ننساها، لنجزع اذن على ملايين الدنانير التي لم نحصل عليها اساساً لانها ليست في ايدينا استعمارها ، فالقضية واحدة.

كانت الهند قبل الاستعمار مقاطعات عديدة وكل مقاطعة تخضع لحاكم مستقل عن الآخر، ولما جاء الاستعمار البريطاني أنهى أولئك الحكام وقام بتصفيتهم بشتى الطرق والخليل. وكان في مقاطعة من تلك المقاطعات أخوان، يحكمانها فتعرضوا للطرد من قبل الاستعمار، فكان أحدهما يبكي، بينما الآخر كان يضحك، فما كان من البكاء، الا اد ابتي — بعد فترة — بالجنون ثم ما لبث ان مات، بينما الضاحك صمم

على العيش من جديد، فبدأ حياته ثانية، وابتداءً من الصفر فصار يزاول التجارة ثم تحول الى مؤرخ ثم انتقل الى باكستان وعاش فيها، رشح نفسه فيها لرئاسة الجمهورية لكنه لم ينجح، الا أنه بقي شخصية محترمة الى أن مات ! فانظر كم كان الفرق كبيراً بين الأخرين !!

ثم يقول الامام:

□ ( واستدلل على ما لم يكن بما كان، فان الأمور أشباه، ولا تكفرن ذا نعمة فان كفر النعمة من ألام الكفر، واقبل العذر ولا تكونن من لا ينتفع من العضة الا بما لزمه فان العاقل ينتفع بالأدب ، والبهائم لا تتعظ الا بالضرب ، اعرف الحق من عرفه لك رفيعاً كان أو وضيعاً ) □

ثم يقول (ع) تأكيداً على دفع القلق ..

□ ( واطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين ) □

ان الانسان الذي يهتم، دائمًا الحزن والقلق والتوتر حتى لو خلت حياته من أي اثارة أو صعوبة، بينما الانسان الذي يقاوم الهم، فان أكبر الهموم لا يغير حياته، والامام هنا يعطي (للمهموم) القلق علاجين:

● الأول: عزائم الصبر.

● الثاني: حسن اليقين.

والاول: كما سبق يأتي بالايحاء النفسي، بان القادم اكثر من الذي ذهب، وتعلم الصبر اي تتحمله حتى يصبح سليقة وعادة. والثاني: أن تؤمن أن ما من شيء يحدث في الحياة الا كان وراءه حكمة وهدف. ثم يسترسل الامام ليعطي حكمة قصيرة جامعة مركزة فيقول:

□ ( من ترك القصد جار، ونعم حظ الماء القناعة، ومن شر ما صحب الماء الحسد، وفي القنوط

التغريب (لأن الذي يتأس يقوم بأعمال متهورة أو يتقاوم عن العمل) والشج يجلب الملامة، والصاحب مناسب — أي صديقك قريبك نسبياً — والصديق من صدق غيه وهو شريك العمى، ومن التوفيق الواقف عند الحيرة، ونعم طارد لهم اليقين — أي من أيقن بالقضاء والقدر أبعد لهم عن نفسه — وعاقبة الكذب الذم، وفي الصدق السلام، وعاقبة الكذب شر عاقبة، رب بعيد أقرب من قريب، و قريب بعيد من بعيد) □

أي لا تظن ان حوادث الزمن كبعضها، فقد تكون الأمور بعيدة في نظرك بعيدة في الواقع، كما أن الأمور الغريبة في نظرك، قد تكون قريبة في واقعها — هذه النقطة سوف تتعرض لها بالتفصيل فيما بعد ان شاء الله — ثم يقول(ع) :

□ (والغريب من لم يكن له حبيب) □

فمن يملك حبيباً، لا غربة له أني كان هذا الإنسان!

□ (ولا يعدمك من حبيب سوء ظن) □

أي مهما كان حبيبك قريباً، فإن فيه بالنسبة لك جزء من سوء ظن ولو بقدر ذرة.

□ (ومن حى طنى) □

أي من التزم بالحمية فإنه سيتجنب الوقوع في المهالك.

□ (ومن تعدى الحق ضاق مذهبة) □

فالحق أفسح للإنسان من الباطل، ولقد يتصور الإنسان العكس إلا أن الواقع هو هذا فان كان الكذب منجياً فالصدق أنجى، وانجى، ولو أن امرءً مثلًا أراد أن يتسلق جبلًاً، ويوجد طريق واحد ضيق للوصول إلى القمة ولكنه يتخذ طريقاً آخر يراه أوسع وأسهل، إلا أنه يسقط بعد لحظات من شاهق، لانه انتخب الطريق الوعر الذي حسبه

سهلاً. فهذا ضاق مذهبة، بل ضاق عندما تحدى الحق.

□ (ومن اقتصر على قدره كان أبقى له) □

يمكى أن مجئنا في مستشفى الأمراض العقلية بالعراق أيام الملكية، كان لا يشکو شيئاً، ومن يراه يظنه عاقلاً، الا ان السبب وراء بقائه في المستشفى أنه ما كان يرضي بمجرد اسمه، وإنما كان يطلب من كل من يتحدثه ويناديه باسمه أن يضفى عليه لقب \_صاحب الجلالـة\_ فهذا ما كان يرضى بواقعـه! وكم من الناس كصاحب الجلالـة هذا، لا يرضى بواقعـه، فهو دكتور مثلاً، يقول: أنا بروفسور، هو خريج ثانوية يقول: انه خريج جامعة، وهكذا..

نعم الخلق، التكرم – اذا لم تكن كريماً أجر نفسك على الكرم – ألام اللؤم،  
البغى عند القدرة، والحياء سبب الى كل جحيل، وأوثق العرى التقوى، وأوثق سبب  
اخذت به، سبب بينك وبين الله – هذه الحال الارضية لا تنفعك، وحده جبل الله  
الذى علينا ان نتمسك به، ينفعنا – ومتى من أعنتك – اي ان الذي يعاتبك ويريد  
رضاك فانه انسان يمن عليك فاسمع كلامـه – والافراض في الملامـة تشبـ نيران  
الله ايجـ.. وهذا يعني انك لو اسرفت في لوم من هودونك من المسؤولين أو العيال أو  
الخدم أو حتى الاصدقـاء أو كثـت عليهم الأـ وامر بين لحظـة وأخـرى لكان هذا الاخـاح  
سبباً في نفورهم وازعاجـهم ثم غضـبـهم، وبالتالي يـداون المشـاكسـة والمرادـدة واللـجاجـ،  
فالافـرات في اللـوم والأـ وامر خطـأ يؤدي الى تـفرقـ الناس من حولـ انسـانـ.

□ (وكم من دNF نجي، وصحيح قد هوـي – إذـ أنـ الـاـقدـارـ يـيدـ اللهـ وـليـسـ باـيـدـنـاـ – فقدـ يـكونـ  
الـيـأسـ اـدـراـكـاـ اذاـ كانـ الطـمعـ هـلاـكـاـ، وـليـسـ كـلـ عـورـةـ تـظـهـرـ، وـلاـ كـلـ فـريـضـةـ تصـابـ،ـ فـلـرعاـ  
فيـ بـعـضـ الـأـوقـاتـ يـكونـ أـجـدـىـ لـلـانـسـانـ لـوـتـسـلـحـ بـالـيـأسـ لـاـنـ الـيـأسـ اـحـدـ الرـاحـتـينـ وـالـزـيـدـ  
مـنـ الطـمعـ يـورـثـ اـهـلـاـكــ وـرـمـاـ اـخـطـاـ البـصـيرـ وـاصـابـ الـأـعـمـىـ رـشـدـهـ،ـ لـيـسـ كـلـ مـنـ طـلـبـ  
وـجـدـ،ـ وـلـاـ كـلـ مـنـ تـوقـىـ نـجاـ،ـ وـأـخـرـ الشـرـ فـانـكـ اـذـ شـتـ تـعـجلـهـ) □

كان أحد الحكماء يقول: «اذا أردت أن تثبت للناس بأنك عاقل فقد تحتاج الى

أربعين سنة من العمل الدائب الفعال والحكيم، أما اذا اردت أن تبرهن لهم أنك  
مجنون فانك لا تحتاج لاكثر من لحظتين لاثبات ذلك!!

الامام علي(ع) يقول هنا: بان على المرء أن يبعد الشرّ عن نفسه ولا ينويه لحظة،  
بل يتوجّل الخير، لأنّه قد يفوّت!

□ (واحسن ان أحبّت أن يُحسّن اليك، واحتمل أخاك على مافيّه ولا تكثّر العتاب فانه يورث  
الضفينة، ويحرّك البغضّة، واستعتبر من رجوت اعتابه، قطيعة الجاھل تعدّل صلة العاقل) □

أي الجاھل اقطعه، والعاقل صله، ولا تقل هذا صديقي ولا استطيع ان اتركه رغم  
انه جاھل..

□ (ومن الكرم منع الحزن، من كابر الزمان عطّب، ومن ينقم عليه غضب، ما أقرب النّقمة من  
أهل البغي، وأخلق بن غدر أن لا يوفّ له) □

لا تصارع الزمان اذا سار نحو وجهة معينة لتقول يجب ان يصير هكذا مثلا، فانك  
تهلك.

والى هنا نكتفي بهذا القدر من وصية الامام علي(ع) لنستعرض فيما بعد جوانب  
أخرى من اهتمام الاسلام بالانسان وتربيته له عبر تطهيره من الرذائل والموبقات  
وأوساخ الدنيا وتوجيهه نحو القيم والمثل العليا واثارة عقله ليعرج في رحلة تكاملية الى  
الله سبحانه وتعالى.

وخلاصة القول أن كل انسان مسئول عن نفسه لكي يكون ناجحاً في الحياة من  
جميع الجوانب وكل الابعاد، وعليه تحقيق الوظائف والاهداف التي جعلها الاسلام له  
سواء باتباع الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة، والروايات التي أثرت عن أئمة  
المدّى من أهل البيت(ع)، أو الاستعانة على ذلك بالكتابات الحديثة التي تبحث في

-هذا المجال فان المهم بالنسبة للإنسان أن يحرز النجاح في الحياة، وبالتالي دار النعيم في الآخرة.



## **اثارة العقل وسيلة التربية**

● للاسلام وسائلتان لتربية شخصية الانسان الثابتة بهدف الوصول الى تزكية نفسه وتنمية روح التقوى فيها. وكلتا الوسائلتين لا تتمان الا عبر اثارة عقله، وهما:

أ— توجيه الانسان نحو مصالحة الحقيقة وتحسيسه بها.

ب— هدايته الى الطرق التي تتحقق تطبيقاتها الواقعية كل تطلعاته.

فإذا كان الانسان يتطلع نحو المجد والسعادة والفرح وكلها مصالح، فما عليه الا اتباع برامج السماء، لأنها تحقق له ذلك كلها. فالقرآن يسعد البشر، وبالاسلام يهنيئون ، والذكر الحسن، انا هو للمؤمن المجاهد حيث يرفعه الله ومن رفعه الله لم يستطع احد أن يضمه.

## **● برامج السماء تحقق الطموحات**

لاشك ان لكل انسان طموحات معينة وتطلعات ثابتة ويسعى أبدا لتحقيقها، من هنا فان برامج السماء لم تهمل هذه الناحية في الانسان، واما استغلالها لتكون وسائلتها نحو بناء الفرد المسلم والمجتمع الاسلامي، فالاسلام يقدم للانسان قنوات

واقعية لتحقيق تطلعاته دون أن يمسها بسوء أو يلغى منها شيئاً، ابتداء من تأمين الخنز، حتى ضمان السعادة الأبدية.

والاسلام حينما يقول: (من قام الليل وأوتر قبل الفجر اطّال الله سبحانه وتعالى عمره) فانه يريد أن يؤكد حقيقة يومية هي أن الانسان الذي يتطلع الى طول العمر وسعة الرزق وراحة البال وصباحة الوجه، فما عليه الا أن يتتكل على الله ويزيد صلته به ويتحرر من القيود المادية الأرضية، لأنه ليس بحاجة الى التأمين على حياته او اجراء العمليات الجراحية للتجميل أو ما أشبه فان الأمور كلها بيد الله تعالى.

والاسلام بهذا النحو انما يؤطر رغبات الانسان وميله وفق قنوات اسلامية تساعده على توظيف مشاعره وغراائزه، في خدمة الهدف الاسلامي الكبير، فمثلا تستغل الآيات القرآنية غريزة الانسان الجنسية لصب جهوده في الأمور الصالحة حينما تعدد بالجنان وحور العين كأمثال اللؤلؤ المكنون، والولدان المخلدين! والحديث يثير مثل هذه الرغبة لكي يوجهها الوجهة السليمة حيث يقول:

■ (من صادفت عينه وجه امرأة حرام ثم لم ينظر اليها كتب الله له حورية يتزوجها في الجنة) ■

وكم هي شاقة ومغريّة حياة اليوم لا سيما بالنسبة لشباب المسلمين الذين أجبرتهم الظروف على العيش في البلاد الغربية، بلاد الفتنة والفساد والأغلال، ان لهؤلاء الشباب رصيد صخم من الحور العين عند الله اذا ما اتقوا، والتزموا بتعاليم الاسلام واسترشدوا بالاحاديث التي تعتبر دعائيم وأصول في الفكر الاسلامي، يقول الامام علي(ع):

□ (ومن رجى الآخرة سلي عن الشهوات، ومن خاف النار صبر على المصائب) □

ان لذة الدنيا — مهما طالت — فانية، ومصائبها — مهما عظمت — تافهة، اذا ما قورنت بجنان الخلد أو جحيم الآخرة، وعليه فان العاقل هو من لم يستجب لنداء

الغراائز فوراً وبالطرق الغير مشروعة، لأنه من فعل ذلك فان آخرته ستكون وبالاً عليه، اذ انه يستطيع أن يلبي رغباته عبر البرامج الالمية، ويضمن بذلك سعادة الآخرة الأبدية مهما اعترضه من المصائب التي تنجيه من النار!!

والاسلام اذ يثير في الانسان شهوة الجنس أو المال أو الملك أو السلطة أو الشهرة فلكي يدعوه للصبر ليجني هذه اللذائذ في الدار الآخرة، حيث لا يشوبها كدر ولا يدانيها نعيم الدنيا، فللمؤمن نعيم لا يقاس بالمسافات، وإنما بسير السنين كأن يملك حدائق فيها القصور وبين القصر والآخر مسيرة سنة! اضافة لما يحبه الكريم من خدم وحور عين وولدان مخلدون يأمر فيهم وينهى كالمملك تماماً، وهم لأمره طائعون لا يخالفون أمره ولا يتقاусون عن خدمته ولا يخونوه في خاصته، وكل هذه المصالح والغايات والطموحات الكامنة في نفس الانسان إنما تثار ليفهم ان تحقيقها بشكل كامل وأبدي إنما يكون في الآخرة وما عليه الآن الا استثمار طاقاته وجهوده في سبيل الله ليحصل على أمانية.

## ● الرسالة تثير دفائن العقول

اذا كانت الرغبات والشهوات تثوي بفعل قوة النفس، فان في كيان الانسان قوة أخرى لا تحتاج الى تزكية وتوجيه كالنفس، وإنما هي بحاجة الى اثارة وتنبيه! وهذه القوة هي (العقل).

وقد كان من أهم أهداف الرسالات والرسل عليهم الصلاة والسلام، إنما هي اثارة العقول كما يقول الامام علي(ع):

□(ليثروا دفائن العقول)□

بعد أن تراكمت عليها الخرافات والأساطير والجهل، فقد قام الأنبياء(ع) بازالة

الحجب عن العقول وتفجير الينبوع المضيء لدى الانسان حتى يكمل عقله. ومتى كمل العقل لم يعد صاحبه ليفكر في الدنيا والمادة كهدف، وإنما يبحث عن أفضل ما يأنس به حتى يجده في (الله) سبحانه وتعالى، فيخلد إلى الجمال المطلق والقدرة الكاملة والحب الأعلى، إله العالمين وحبيب قلوب الصادقين.

ومثل هذا الانسان العاقل الحر الذي سما على الشهوات وترفع عن المآذيات، إنما يخاطب الله عزّ وعلا بما خاطب الامام زين العابدين (ع) رب العباد حين قال:

□(اهي ان قوماً عبدوك خوفاً من عقابك (لانقاد أنفسهم من النار) فتلك عبادة التجار، وان قوماً عبدوك لأنك أهل للعبادة فتلك عبادة الأحرار...) □

ان الذين كملت عقولهم من الأحرار لا يبعدون الله لكي يذهبوا إلى الجنة، ويتمتعوا بحور العين، أو للحصول على الأكل المزدوج من لحوم الطير والفاكهه، فهم في شغل شاغل عن هذه اللذات بلذة أكبر هو الجلوس في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فيطلبون الجنة لأن فيها رضوان الله، ولأن الله يحبهم ويريدهم أن يكونوا هناك - حيث يقوم الباري عزوجل - كما جاء في الحديث، بارسال رسالة يومية إلى كل مؤمن في الجنة يقول فيها «من الحي الحالد إلى الحي الحالد» وهذه ملة وصلة من الحي القيوم لكل مؤمن في الجنة لأن هؤلاء كانوا يشغفون في الدنيا بصلة الليل حيث يتصل القلب بالرفيق الأعلى.

أما الجنة والنار فهي شيء ثانوي بالنسبة لهؤلاء العارفين المحبين الأحرار..  
ان الامام علي (ع) ينادي ربه قائلاً:

□(اهي ان كان رضاك أن أدخل النار فذلك رضاي) □  
وأي مرتبة أعلى من هذه المرتبة؟!

ان اثارة العقل وتنميته حتى يغمر النور الاهي قلب المؤمن، إنها هي وسيلة أخرى

لتربيـة الشخصية الرسالية — لذلك فـإن كـتب التراث الـاسلامي غـنية بالـبرامج التـربويـة في هذا الصـدد، ولـكن قبل استـعراضنا لـوصـيـة خـالـدة في هذا المـضـمار لا بد من الاـشـارة الى فـكرة قد تكون مـفتـاحـاً لـفهم الوـصـيـة.

هل بـامـكـانـك أـن تـرى عـينـيك؟ لـو فـتحـت عـينـيك أو اـغـمـضـتـهـما الأـدرـكـت أـنهـما وـسـيـلـتـكـ لـلنـظـر، ولـكنـ كـيفـ تـرى عـينـيكـ ذاتـهـماـ وـعـادـاـ تـراـهـاـ؟

انكـ حـينـما تـتـطـلـعـ إـلـى الـمـرـأـةـ تـرىـ وجـهـكـ وـعـينـيكـ، أـلـيـسـ كـذـلـكـ؟ أـيـ انـكـ تـرىـ عـينـيكـ بـعـينـيكـ ذاتـهـماـ وـلـكـنـ بـواـسـطـةـ الـمـرـأـةـ، وـيـنـطـبـقـ هـذـاـ المـثـلـ عـلـىـ الـعـلـمـ، فـأـنـتـ تـعـلـمـ بـأـنـكـ تـعـلـمـ، اـنـاـ بـعـلـمـكـ لـاـ بـجـهـلـكـ، وـلـكـنـ بـوـجـودـ وـاسـطـةـ أـخـرـىـ، هـذـهـ الـواـسـطـةـ هـيـ الـمـعـلـومـاتـ الـتـيـ تـخـتـزـنـهـاـ، كـعـلـمـكـ بـطـلـوـعـ الشـمـسـ أـوـ غـيـابـهـاـ، وـعـلـمـكـ بـلـوـنـ الـثـيـابـ الـتـيـ تـرـتـدـيـهـاـ وـعـلـمـكـ بـأـنـكـ فـيـ غـرـفـةـ بـيـتـكـ أـوـ فـصـلـ الـدـرـاسـةـ أـوـ الشـارـعـ، وـهـكـذـاـ...ـ، فـانـكـ تـطـمـئـنـ إـلـىـ أـنـكـ رـجـلـ عـالـمـ لـأـنـكـ تـعـلـمـ بـوـجـودـكـ وـوـجـودـ الـأـشـيـاءـ مـنـ حـولـكـ، فـوـجـودـ الـمـعـلـومـاتـ هـوـ كـوـجـودـ الـمـرـأـةـ. وـالـرـجـلـ الـذـيـ يـعـلـمـ، وـلـاـ يـعـلـمـ أـنـهـ يـعـلـمـ، اـنـاـ هـوـ كـالـنـائـمـ الـذـيـ يـحـتـاجـ إـلـىـ تـنبـيـهـ، فـهـنـاكـ مـنـ يـنـامـ وـعـينـاهـ مـفـتوـحـتـانـ فـيـرـىـ الـأـشـيـاءـ حـولـهـ وـلـكـنـهـ لـاـ يـرـىـ أـنـهـ يـرـىـ حـتـىـ يـتـبـيـهـ وـيـدـرـكـ أـنـهـ كـانـ يـرـىـ الـأـشـيـاءـ الـمـوـجـودـةـ أـمـاـهـ. وـهـكـذـاـ عـبـرـ الـمـعـلـومـاتـ الـمـوـجـودـةـ، يـسـطـعـ أـنـ يـطـمـئـنـ إـلـىـ أـنـهـ يـمـلـكـ الـعـلـمـ وـالـعـرـفـةـ.

هـذـاـ مـنـ نـاحـيـةـ، وـلـكـنـ مـنـ نـاحـيـةـ أـخـرـىـ فـانـكـ قـدـ تـنـظـرـ إـلـىـ الـمـرـأـةـ فـلاـ تـرىـ عـينـيكـ لـاـنـكـ تـرـيـدـ أـنـ تـرـاقـبـ مـنـظـراـ خـلـفـكـ، كـالـحـالـ مـعـ سـائـقـ السـيـارـةـ حـينـماـ يـنـظـرـ فيـ الـمـرـأـةـ الـخـلـفـيـةـ الـتـيـ أـمـاـهـ لـيـتـبـيـهـ الـمـاـشـاـدـ الـتـيـ خـلـفـهـ، وـهـكـذـاـ بـالـنـسـبـةـ لـلـعـالـمـ قـدـ تـحـجـبـهـ الـمـعـلـومـاتـ وـمـاـ يـرـيدـ أـنـ يـعـرـفـهـ عـبـرـهـاـ عـنـ حـقـيـقـةـ عـلـمـهـ، لـذـلـكـ فـانـ بـعـضـ الـفـلـاسـفـةـ الـقـدـمـاءـ قـدـ وـقـعـواـ فـيـ هـذـاـ خـطـأـ اـذـ قـالـوـ: اـنـ الـاـنـسـانـ لـاـ عـلـمـ لـهـ...ـ بـالـرـعـمـ مـنـ اـنـهـ كـانـواـ يـعـلـمـونـ، وـيـتـصـرـفـونـ فـيـ الـحـيـاـةـ كـأـيـ عـالـمـ بـالـأـمـورـ الـتـيـ يـؤـديـهـاـ كـلـ اـنـسـانـ مـنـ أـكـلـ وـشـرـبـ وـحـرـكـةـ وـمـعـ ذـلـكـ يـقـولـونـ أـنـ الـاـنـسـانـ لـاـ عـلـمـ لـهـ!ـ لـأـنـ الـعـلـمـ الـحاـصـلـ بـالـمـعـلـومـاتـ يـحـجـبـ الـاـنـسـانـ عـنـ الـعـلـمـ الـحـقـيقـيـ!ـ كـمـاـ اـنـ الـمـخـلـوقـاتـ تـحـجـبـ الـخـالـقـ عنـ الـاـنـسـانـ

أحياناً. وهكذا الأمر بالنسبة لعلاقتنا بالنور، فحينما نغرق في الضوء ننساه بعد فترة ولا ننتبه إلى أن الشمس مصدره إلا إذا غابت الشمس وخيم الظلام. وإذا تأملنا الأشياء الجميلة حولنا ننسى أن العين هي سبب الرؤية ولا ننتبه لذلك إلا إذا أصيبت بالرمد. وهكذا بالنسبة للعقل الذي ندرك به الأشياء ونستنتج به المعلومات الجديدة من المعلومات المخزونة، ولا ننتبه لوجود العقل ذاته، إلا إذا أثير! أي إذا تساءلنا مع انفسنا كيف عرفنا هذا الشيء؟ ومن أين جاء لنا علم هذا؟ كيف فهمنا أن (٤×٢=٨) ومن أخبرنا به؟ لاشك أنه العقل. اذن فانا عاقل.

جاء أحد الماركسيين إلى عالم من علمائنا فسأله: كيف ثبت لي أن التناقض محال؟ فرد عليه العالم ماذا تقول أنت؟ فأجاب الماركي: ابني أقول أن التناقض ليس محالا. فرداً عليه العالم: وأنا أقول أن التناقض محال، فقال الماركي: اثبت لي ذلك.. فقال العالم: لا ضرورة للاثبات، فأنا في قولي على حق، وأنت في قولك على حق..!!

فسؤال الماركي متعجباً: وكيف يكون ذلك وقول كل منا نقيس للأخر؟  
فابتسم العالم وسأله: أليست تقول أن التناقض ليس محالا..؟!

لقد أثار العالم عقل الماركي الذي يعلم عقلياً أن التناقض محال! ولكن حجب الصلاط كانت تمنعه من الاعتراف به.

## • مع الإمام الكاظم(ع)

بعد هذه المقدمة الفلسفية نبحر مع الإمام الكاظم(ع) في رأيته الخالدة، وهو يوصي هشام بن الحكم قائلاً:

□(ياهشام: إن الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال:

\* [فبisher عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنـه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك  
هم أولوا الالباب]\*

والالباب هي العقول يشيرها القرآن هنا ليؤمن الانسان بعقله بعد أن يشق  
و يطمئن لوجوده.

□ (ياهشام بن الحكم: ان الله جل وعز اكمل للناس الحجج بالعقول، وأفضى اليهم بالبيان،  
ودأ لهم على ربوبيته بالأدلة) ■

قال:

\* [وَاهْكِمُوهُ إِنَّهُ إِلَهٌ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَالْخَلْفِ الْلَّيلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ  
السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ، وَتَصْرِيفُ الرِّيَاحِ  
وَالسَّحَابِ الْمُسْخَرِينَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقُلُونَ] \*

يستمر القرآن في اثارة العقل عن طريق النظر الى السموات والارض والطبيعة من  
حولنا، والامام الكاظم(ع) يركز على هذه المعاني القرآنية:

□ (ياهشام قد جعل الله عز وجل ذلك دليلاً على معرفته بأن لهم مدبراً) □

□ قال

: [وَسَخَرَ لَكُمُ اللَّيلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَالنَّجُومُ مَسْخَرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ  
لِّقَوْمٍ يَعْقُلُونَ] \*

(وقال):

\* [إِنَّمَا يَرِيكُمُ الْكِتَابَ مِمَّا جَعَلْنَا لَكُمْ فِيهِ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّعِلْكُمْ تَعْقُلُونَ] \*

□ (وقال):

\* [وَمِنْ آيَاتِهِ يَرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمْعًا وَيَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَيُحِيِّي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ

موجتها ان في ذلك آيات لقوم يعقلون في الآخرة]\*

□(ياهشام: ثم وعظ أهل العقل ورغمهم في الآخرة.. لأن من بدرك منزلة عقله لا يهمله بل يستخدمه حتى يرى به المستقبل) فقال:

\*[وما الحياة الدنيا الا لعب وهو ولدار الآخرة خير للذين يتقوون أفلأ تعقلون]\*

□(وقال):

\*[وما أقيمت من شيء فمتع الحياة الدنيا وزيتها وما عند الله خير وأبقى أفلأ تعقلون]\*

أي أفلأ تستخدمون عقولكم؟؟ و يضيف الامام قائلا:

□(ياهشام: ثم خوف الذين لا يعقلون عذابه) فقال عز وجل:

\*[ثم دمرنا الآخرين وانكم لم ترون عليهم مصبين وبالليل أفلأ تعقلون]\*

□(ياهشام: ثم بين ان العقل مع العلم، لأنه وزيره ومن جنوده والعلم يقوى العقل) فقال:

\*[وذلك الامثال نصر بها للناس وما يقللها الا العاملون]\*

أي العلماء فقط هم الذين يدركون هذه الآيات والأمثال ويعونها.

□(ياهشام: ثم ذم الذين لا يعقلون) فقال:

\*[وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل تتبع ما ألقينا عليه آباءنا أولوا كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون]\*

□(وقال):

\* [ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون] \*

□ (وقال):

\* [ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله، قل الحمد لله بل اكثربهم لا يعقلون] \*

□ (ثم ذم الكثرة) فقال:

\* [وان تطبع اكتر من في الارض يضلوك عن سبيل الله] \*

□ (وقال):

\* [ولكن اكثربهم لا يعلمون] \*

\* [وأكثربهم لا يشعرون] \*

لفقدتهم الاحساس،

□ (يا هشام: ثم مدح القلة) فقال:

\* [وقليل من عبادي الشكور] \*

□ (وقال):

\* [وقليل ماهم] \* \* [وما آمن معه الا قليل] \*

وهذه القلة طبعاً مع العقل، لأن الله سبحانه أعطى للناس الأكل والشرب والنوم، كل يأخذ حسب الرزق المحتوم له، الا العقل فالرغم من أنه قوة واحدة في كل البشر الا أنه مشروط بعمل الانسان. (الذى لا يستفيد من عقله الا بقدر ما تبقى منه)

حجب السئات وارتکاب الموبقات )، لذلك فالقليل ، هم الذين يستفيدون من عقوتهم بشكل جيد، كما يريده القرآن، لأن القليل منهم هو الذي يبقى نظيفاً من الدنس! ثم يواصل الامام:

□(ياهشام: ثم ذكر أولي الألباب بأحسن الذكر وحالهم بأحسن الخلية) فقال:

\*[يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً وما يذكر الا أولوا  
الالباب]\*

□(ياهشام) ان الله يقول:

\*[ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب]\*

□(يعني العقل) وقائل:

\*[ولقد آتينا لقمان الحكمة]\*

□قال: (الفهم والعقل)

ياهشام: ان لقمان قال لأبنه: «تواضع للحق تكون أعقل الناس، يابني ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثیر، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشواها الامان، وشراعها التوكل، وقيمتها العقل، ودليلها العلم وسكانها الصبر»■

وياما له من مثال رائع، جامع يشبه الانسان في الحياة بالسفينة في البحر، ولكن أي سفينة هي؟ انها سفينة التقوى وحشواها الامان والاستقرار، والتوكل على الله هو الشراع الذي يحركها ويوجه مسيرتها، لأن بالتوكل تزداد ثقة الانسان بنفسه فتسمو تطلعاته نحو الأرقى والأبعد، ثم يكون العقل قيمها ورئيسها، والعلم دليلها ومرشدتها، والصبر سكانها الذي يوازن سيرها، وينفعها مرادها، وهكذا يكون

«الصبر مفتاح الفرج» للانسان. يواصل الامام الكاظم(ع) وصيته قائلاً:

□ (ياهشام: لكل شيء دليل، وللدليل العاقل التفكير) □

لأن التفكير يثير العقل وبحركه..

□ (ودليل التفكير الصمت) □

لأن الثرثار لا وقت عنده للتفكير، وفي الحديث:

■ (اذا رأيتم المؤمن الصمومت فادنووا منه فإنه يلقى الحكمة) ■

ثم يقول:

□ (ولكل شيء مطيبة) أي مرکوب (ومطيبة العاقل التواضع) يلتج به القلوب ويدخل البيوت بحسن الاستقبال والترحاب، عكس الجاهل الذي يطرد من كل مكان لتكبره وعجزته (وكفى بك جهلاً أن تركب ما نهيت عنه)

■ (ياهشام: لو كان في يدك جوزة وقال الناس: في يدك لؤلؤة. ما كان ينفعك وأنت تعلم أنها جوزة، ولو كان في يدك لؤلؤة وقال الناس: إنها جوزة. ما ضررك وأنت تعلم أنها لؤلؤة؟!) ■

فماذا يفيدك كلام الناس لو كانت عندي ورقة نقدية من فئة ألف دينار مثلاً وقال الناس انك تملك ديناراً واحداً فقط، هل يتحول كذلك؟ ولو كنت تملك بالفعل ديناراً واحداً، ولكن حسبي الناس ألفاً هل يفيدك هذا؟ كلا! لا تسمع كلام الناس اذا كان يناقض الواقع، واما اتباع عقلك وحسب! ان المجاهد المتقي العالم هو من كان عند الله كذلك لا عند الناس.

كان أحد العلماء الأفضل ينصح تلامذته بقوله: «اني أخاف أن يرانني الناس

يُوْم الْقِيَامَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ تَأْخُذُ بِنَاصِيَتِي، فَمَاذَا أَصْنَعَ وَالنَّاسُ تَحْسِبُنِي رَجُلًا عَالَمًا  
عَظِيمًاً وَتَقِيًّا!!؟

اذن فعل المرء أن يبادر بمحوا اسمه من قائمة الأشقياء ليضاف الى قائمة السعداء،  
عليه أن لا يحسب لما يقول الناس عنه، فان المجاهدين الصادقين لا تأخذهم في الله  
لومة لائم، واكثر ما يدخل الانسان جهنم هوأن يصبح أذنًا.. همه ان يعرف ماذا  
يقول الناس، فيعمل لترضيتهم طوعاً لکلامهم حتى ولو كان على حساب المبادىء!!  
أين العقل اذن، ولم لا تتبع هديه؟ ويستطرد الامام في وصاياه ليدركي نار العقل  
لأتباue ويدعوهم لترك كلام الناس وتقليلهم، لأن فقد العقل مذلة وعبودية حتى ولو  
كان فاقد العقل حرًا!

□(ياهشام: ما بعث الله أنبباءه ورسله الى عباده الا ليعقلوا عن الله، فأحسنهم استجابة  
أحسنهم معرفة لله، واعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلا، وأعقلهم ارفعهم درجة في الدنيا والآخرة)■

□(ياهشام: ما من عبد الا وملك آخذ بناصيته، فلا يتواضع الا رفعه الله، ولا يتعاظم الا وضعه  
الله)□

أي من قال «انا» ونظر الى عطفه، واعتدى بنفسه واحتال، وتعالى وتكبر، فان الله  
يضعه في المجتمع، لأن المغدور كالطائر كلما ارتفع صغر في أعين الناس، أما المتواضع  
الخاضع لله وللمؤمنين والعزيز على الكافرين فان الله يرفعه، وفي هذه الفقرة تزكية  
للنفس من الغرور، فالامام رغم تركيزه هنا على اثارة العقل الا أنه لم يغفل تزكية  
النفس لتنمية الشخصية الرسالية في المجتمع!

□(ياهشام: ان الله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجۃ باطنۃ، فأما الظاهرة فالرسـل  
والأنبـاء والأئـمة، وأما الباطـنة فالـعقلـ)■

□(ياهشام: ان العاقل الذي لا يشغل الحلال شکره ولا يغلب الحرام صبره)■

نزول القرآن، ذلك لأننا:

- (١) لا ننظر إلى مصلحة الإنسان الآن وفي هذا الوقت بالذات، وإنما نراعي أن تستمر المصلحة معه إلى آخر عمره.
- (٢) لا ننظر إلى مصلحة الإنسان وحده وإنما مع الآخرين.
- (٣) لا ننظر إلى مصلحة الإنسان في الدنيا فقط، بل وفي الآخرة أيضاً.

وهنا تبلور قضية أخرى وهي «الارادة الثورية» فهذه لا تصنعها فكرة المصلحة المؤقتة، لأن هناك فجوة لم تستطع النظريات المادية — بالرغم مما مارسته من خداع ذاتي، وبما أقحمته من معان غير مفهومة ضمن كلمات شائعة — ان تردها، فإذا كانت مصلحتي هي الهدف فكيف أضحي من أجلها؟!

إذا كنت سأثور من أجل المصلحة المؤقتة الخاصة فأموت قبل الوصول إليها، فلماذا أثار اذن؟ إن هذا يشبه تماماً من يغري إنساناً بالانتحار مقابل مبلغ كبير من المال! إذا كان يرغب في المال فعلام ينتحر اذن؟

إذا أراد المال فانه لا ينتحر، وإذا أراد أن لا ينتحر فإنه لا يحصل على المال، انه «الدور» كما يسميه الفلاسفة، بالنظرية الماركسيّة التي تجعل من المصلحة الذاتية إلهًا، سرعان ما تفشل في اقناع اتباعها بالتحرر والثورة، لأنه إن مات خسر كل شيء فعلام يضحي اذن؟

## •خلود الشهيد — أم فناء المادة!

فلسفة الشهادة معدومة في المذاهب المادية ولا يمكنها أن تنمو هناك، بينما المسلم الذي يؤمن بأنه يعمل من أجل الخير والحق وإن جزءاً بسيطاً من هذا الخير والحق موجود في الدنيا والجزء الأكبر ينتظره في الشاطيء الآخر من الوجود (الآخرة) هذا المسلم لا يهمه أن يقتل أو يموت، وهذا أمر بارز في الأدب الإسلامي الذي يقدس

«أطفأ نور عبرته بشهوات نفسه» فالعبرة دليل الخشوع، باب للتفوى.. فالماء خلف الجنائز يتأمل، يعتبر، يقرأ القرآن ويناجي ربه بالدعاء، ويفتح قلبه بعبرة تضيء دربه، ولكن ما ان يعود لبيته ويحس الجوع ويفتش عن الحبز فانه ينسى العبرة، واذا كان يحسد أحداً من الناس فانه يحرق بذلك تلك العبرة ويطفيء نورها.

وهذه الخصال الثلاث تماماً كباقي فقرات الوصية، ليست نصائح لهشام وحسب! وإنما هي لنا، قبل أي انسان آخر، لأنها موجهة للرساليين الأحرار، وهي اساليب ضمن البرامج الاسلامية ل التربية الشخصية الرسالية.

## **مكونات الشخصية الرسالية**

● هنالك جانبان لشخصية الانسان، ظاهر وخفى، والجانب الخفى هو الذى يحدد الملامح الظاهرة في الشخصية .  
وحسب التعبير القرآني ..

\*[قل كل يعلم على شاكلته]\*

—/٨٤—

أي على نيته وصيغته وصياغة شخصيته الداخلية، أو كما يقول الامام علي(ع):

□(المرء بأصغر بيته: قلبه ولسانه)□

وبالطبع فان قلب الانسان هو جوهر شخصيته الخفية.

والرسالي محور الحركة الرسالية، هو قطب الرحى لكل ثورة اسلامية، وحجر الزاوية في بناء الأمة لأن شخصيته الداخلية تتميز بجموعة من الصفات التي قد لا يتوصل الى عمقها المحلل النفسي، الا أن نصوص القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، بالإضافة الى التجارب الشخصية تحدد جانباً من ملامح الشخصية الرسالية

لترسم لنا هدفين:

أ— معرفة ملامح الثورة الاسلامية وهدفيتها.

ب— اكتساب تلك الملامح عبر التربية الفردية أو الحركية.

## • الهدف الأول

فإن بعض الحركات الإسلامية التي ت يريد أن تتحقق قيم الإسلام، تتعامل مع القضية بارتجال، فهي تحمل المكونات الشخصية للداعية المسلم، فينتهي ذلك إلى تورطها في اقتباس الأفكار والبرامج التربوية والحركية من الشرق حيناً ومن الغرب حيناً آخر. ولذلك فهي تسقط في أخطاء فادحة لا يرضى بها الإسلام.. مثلاً إذا أراد الحزب الغربي أن يفجر طاقات أبنائه في تحرك سياسي أو اقتصادي، يتوصل لذلك مبدأ التناقض والصراع والتنافس غير الشريف، فيذكي الصراع الطبقي، وصراع الأجيال، كما يعمق الهوة بين الحكام والمحكومين، ويثير الاحساس بالذاتية في الأفراد ليشجع الجميع بهذا الأسلوب إلى التقدم والسبق.

وفي ساحة العمل الإسلامي يحاول بعض الموجهين الحركيين اقتباس ذات الأسلوب، فيحرك الآحاسيس المادية والنعرات الذاتية التي يرفضها الإسلام في نفوس تابعيه وأفراده، وما ان تنصرم الأيام الا ويصبح الصراع والتنافس بذاته هدفاً، وتتصبح الغاية هو الوصول إلى بعض المكاسب المادية، وقد بلغ الأمر بالبعض في هذا المجال إلى اختلاف الصراع بغية تفجير طاقات أفراده، رغم عدم وجود مبرر للصراع.

أن أهداف الإسلام سامية، وغاياته رسالية، فإن نحن رتبينا أبناءنا على هذه الأسس الجاهلية من اثارة النعرات المادية وجعل الذاتية محوراً للتحرك اليوم، فإننا غداً لانستطيع تطبيق القيم الإسلامية في واقع الأمة.

## ● بين الغاية والوسيلة

ان الفرد الذي لم تحركه سوى الاحاسيس الجاهلية لا يستطيع تطبيق حكم الله، لأن أساس تربيته كان خاطئاً، تماماً كالخطأ الذي وقعت فيه جماعة من القومين العرب ، اذ زعموا ان القومية العربية ستكون الخطوة الأولى نحو الوحدة الاسلامية، لأن العرب اول من حمل لواء الاسلام فشكلوا دولة متaramية الأطراف ، وحينما أذكوا روح القومية، تورطوا فيها اذ لم يستطعوا أن يقيموا الوحدة العربية فضلاً عن الوحدة الاسلامية، ففرقوا المسلمين ولم تتحقق أهدافهم وانتهت حركتهم اما الى قومية يمنية غربية، او الى قومية يسارية شرقية! ذلك لأن الوسيلة الخاطئة ما كانت تؤدي الى الهدف المنشود، فليس المهم ان تختر الغاية الشريفة، وانما المهم أن تختر الوسيلة الصحيحة الشريفة أيضاً، لتضمن وصولك الى الغاية بسلام، وقد قيل مرة لصدام «يخشى أن لا تصل الى القدس يا صدام فان طريقك يصل بك الى واشنطن» وذلك حينما تشدق الطاغية: بأن طريق القدس يمر عبر طهران! وقد تحقق ما قيل له اذ أدى به الطريق الذي سلكه الى أحضان الرجعية العربية ومن ثم الى واشنطن.

وان كان هدف تلك الحركات ساماً لأنهم فعلاً كانوا مؤمنين بالله ورسوله وشريعته فقد كانت وسليتهم خاطئة اذ لم تكن تؤدي بهم الى الغاية التي ينشدون، حيث ان التمسك بالاساليب الجاهلية والتعارض الذاتية والبغووية الضيقية أو الخزبية النزقة، لا يمكن ان تؤدي الى بناء العنصر الرسالي المنشود، وان هذه الحركات ستتفق غداً عاجزة عن تجنيد شباب الامة لتطبيق الاسلام بالتصحية بأنفسهم من أجل الأهداف السامية.

كان أحد المتنمرين لحركة اسلامية يقول في معرض انتقاده للأساليب التربوية التي اتبعتها تلك الحركة.

ان محور تربيتنا لأبنائنا كان خاطئاً! لأننا كنا نربي أفرادنا على أساس ضرورة

الابقاء على أنفسهم، وكأنهم «تحف مقدسة» تحت شعار «الابقاء على الكوادر»، بينما شاهدنا فيما بعد كيف انتصرت الثورة الاسلامية بسبب أسلوب تربية الثورة لأنها حيث كان قائماً على اساس التضحية والفتاء والبذل والعطاء! وكان محورها قائماً على فلسفة الشهادة، وليس على محور «بقاء الذات» او اساس [ج] .

### \* [ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة]\*

—١٩٥/البقرة—

لقد قام البعض بتحريم الجهاد ضد اسرائيل بحججة ان ذلك يؤدي الى التهلكة، والى فقدان العناصر الجيدة، وهذه هي النتيجة الطبيعية للتربية القائمة على الاسس الذاتية، والاساليب الجاهلية.

•

### ● الاعطاء هدف التربية الرسالية

ـ من هنا كان من الواجب علينا – كحركات اسلامية – أن نربي أبناءنا منذ اليوم الأول على أساس التضحية في سبيل الله والذوبان في بوتقة الهدف الأسمى وهو مرضاة الله سبحانه وتعالى، بعيداً عن اي تحotor حول الذات، ومن دون تكريس لصنمية التنظيم او الاشخاص.

وبديهي ان الله سبحانه لا يرضى بالشريك..

### \* [ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء]\*

—٤٨/النمساء—

ويقول في حديث قدسي:

●● ((من عمل لي ولغيري جعلت عمله كله لغيري))

فالله جل جلاله، عزيز جبار متكبر لا يقبل بالشريك أبداً.. فكيف نعمل الله من

جهة ولأنفسنا، أو جماعتنا، أو حركتنا من جهة أخرى؟ إن هذا العمل محبوط يرفضه الله.

وقد يتساءل الطيبون من أولئك المشرفين على بعض الحركات الإسلامية التي أشرنا إليها قائلين: إن لم نحرك جماهيرنا بالعصبيات والتعرات الذاتية وباثارة الصراعات والتناقضات، فكيف نحركهم وندفعهم للبذل والعطاء..؟

ويمكن الإجابة على هذا السؤال من خلال العودة إلى رحاب الله والنبي لنعرف من المعين الصافي، ونكتشف الديناميكية التي تطبع الشخصية الرسالية، وكيف يأمر الله سبحانه وتعالى بتربية الشخصية الثورية اعتماداً على الأساليب الرسالية، وكيف شهد التاريخ الإسلامي أولئك الذين امتطوا صهوات جيادهم والتهموا الفيافي الشاسعة ليبلغوا أقصى المعمورة نشراً لكلمة الله واعلاء للواء الإسلام خفافاً لتلهج بعدها الشعوب «لا إله إلا الله، محمد رسول الله».

فهل كان تحرك أولئك الأبطال الفاتحين نابعاً من العصبيات القبلية أو الطموحات الجاهلية؟ كلا. إنما كانت الأهداف السامية والتعلقات الرسالية وراء اندفاعهم إذ كان هدفهم الله سبحانه..

\* [ ما كان الله ينموا ] \*

## • الهدف الثاني

انه ليس بخاف اننا - كمعناصر إسلامية - لم نتلق تربيتنا الأولى على أيدي إسلامية، وإنما على أيدي لم نختارها وفي ظروف لم ننتخبها، فأول ما تلقينا تربيتنا في البيت والبيئة، وفي ظل ظروف غير رسالية، بل في ظروف التخلف والجهل والتبعية

التي كانت ترثح مجتمعاتنا تحت وطأتها، وأكاد اقول انها كانت بعيدة عن الاسلام ١٠٠% لولا القشرة الاسلامية التي كانت تتظلل شعوبنا، ثم تلقتنا المدارس التي صاغ الاستعمار ببرامجها التعليمية لتخرج الأجيال الصاعدة مجبولة على الرضوخ للارادة الاجنبية والقبول بالواقع الاليم ..!

من هنا فاننا لا نستطيع الاعتماد على ما نحن عليه من التربية، اذ قد نملك من الرؤى والخلفيات ما يتناقض مع الرؤى الاسلامية، ولو كنا تربينا بارادتنا نحن كما يريد الاسلام لما اخترنا غير الحق، ولكن لنا حق الادعاء حيثنـدـ بأننا على الحق الا ان الأيدي الأخرى هي التي ربـتـنا، وما كلها بنظيفة وظاهرة، ولا كل النوايا التي خلفها صادقة، فلتتجدد من ماضينا التربوي ولنقف في هذه المرحلة لنعيد النظر في ذاتـنا ورؤـانا ومـكونـاتـنا الداخـلـية والخارـجـية، ثم لنراجع أنفسـنا مـرةـ أخرى ونقارـنـ ما نحن عليه من التربية بالبرامج التربوية في الاسلام، ولتكن لدينا الشجاعة الكافية لتحديد ما لم يتـطـابـقـ منها مع القرآن والمفاهـيمـ الاسلامـيةـ، ولنـفـعـلـ ذلكـ الانـ طـالـماـ فيـ الوقتـ متـسـعـ، والفرصةـ أـمـامـناـ سـانـحةـ، وـلاـ فـانـناـ لاـ نـسـتـطـيـعـ العملـ غـداـ:

\*[حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون \* لعلي اعمل صالحاً فيما تركت كلامها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون]\*

— ٩٩ / المؤمنون —

## ● الفرصة باقية

ان الاقدام على التغيير الذاتي نحو الاصلح لا يحتاج سوى عزمـةـ وقادـةـ، ولحظـةـ تصـمـيمـ حـاسـمةـ، كـيـ نـصـحـ مـسـيرـةـ سـبـعينـ عـامـاـ أوـ اـكـثـرـ خـلـالـ ساعـةـ تـفـكـيرـ وـتأـملـ فيما عـسـاهـ انـ يـصـلـحـناـ، وـيـصـحـ اـوضـاعـناـ وـطـرـيقـةـ عـيشـناـ، وـيـجـعـلـ خطـطـناـ تـسـيرـ وـفقـ هـدـىـ الرـسـالـةـ، لـقـدـ جـاءـ فـيـ الحـدـيـثـ الشـرـيفـ:

■ (تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة)

وهذا دليل على أن الفرصة لاتزال أمامنا كي نصحح رؤانا ومكوناتنا الشخصية، وهذا الحديث الشريف ينسف ادعاء من يقول لقد فات الأوان ولا نستطيع الآن تغيير عاداتنا التي نشأنا عليها !

ان القرآن يؤيد الحديث حيث يقول تعالى:

\* [ليلة القدر خير من ألف شهر] \*  
—القدر—  
٣/—

فإذا كانت ليلة واحدة هي خير من عمر انسان يربو على الثمانين عاماً، فلننتهز الفرصة اذن، ولنختبر من ليالي العمر التي تتكرر علينا كل عام (ليلة القدر) كي نعلن فيها ثورتنا على الذات والانصواء تحت التعاليم الاسلامية لنصحح رؤانا من جديد اقتباساً من هدى القرآن الكريم، عسى الله أن يوفقنا لذلك، لا سيما وان ليلة القدر تمتاز بأنها «يفرق فيها كل أمر حكيم».

بعد توضيح هدفي التوجيه الاسلامي في بناء الشخصية الرسالية سنبدأ في استعراض المكونات الذاتية للشخصية الرسالية، وهي كالتالي:

## • اولاً: التطلع وقوة المسيرة

ان أولى المكونات الذاتية في شخصية الرسالي، ومن أبرزها هي سمة التطلع نحو الأسمى واستهداف الأمور السامية، وعدم القبول بصغريات الأمور، لأن الرسالي انسان يحترم نفسه، وأهدافه أسمى من الأهداف الزائفة.

ولا غرو اذا كان الرسالي يتصرف بهذه الروحية، فالقرآن الكريم يركز على قيمة الانسان المؤمن وكرامته وأفضليته على أكثر المخلوقات حيث تركز بصيرة القرآنية على قدر الانسان، حينما يقول تعالى:

\* [لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم] \*  
— ٤ / الذين —

وقوله تعالى:

\* [ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على  
كثير من خلقنا تفضيلا] \*

— ٧٠ / الاسراء —

كذلك يعرف الرسالي قدر نفسه حينما يستمع الى قول الله سبحانه وتعالى في  
الحديث القدسي الشريف:

٠٠ ((عبدي أطعني تكن مثلي أقول للشيء كن فيكون وتقول للشيء كن فيكون))

وحيثما يسمع الحديث الشريف:

■ (خلقنا للبقاء لا للفناء) ■

وحيثما يسمع الامام علي في الشعر الذي ينسب اليه:

أنت أكبـر جـرم صـغـير وـفـيك أـنـطـوى العـالـم الأـكـبـر

ثم تتجلـى البصـيرـة القرـآنـية للرسـالـي في الحديث الشـرـيف ..

■ (انك فوق ما تتصور، ولو عرفت نفسك وما أودع الله في نفسك من الامكـانـات والقدرة لما  
احتـجـبتـ بالـمـادـيـاتـ عنـ ربـكـ) ■

فالله سبحانه وتعالى يقول:

\* [سرـيـهمـ آـيـاتـنـاـ فـيـ الـآـفـاقـ وـفـيـ أـنـفـسـهـمـ حـتـىـ يـتـبـينـ لـهـمـ أـنـهـ الحـقـ] \*  
— ٥٣ / فصلـتـ —

ومن وصل بيقنه أعلى درجات اليقين، أحس أنه لم يخلق بهذه الدنيا، وأن نفسه  
أنا هي ثمن الجنة..

## أنفاس عمرك أثمان الجنان فلا تشرى بها هبأ في الخسري شتعل

ان الرسالي يستطيع ان يغير لحظات الحياة في حسابه غذاً قصوراً وحدائق وحوراً في الجنان.. فإذا كانت كلمة «سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر» تبني له القصور، وتغرس له الاشجار، كما ورد في الحديث عن الرسول الكرم(ص). فلن يتخل المؤمن الرسالي عن تكرار هذه الكلمة الحقيقة في اللسان الثقيل في الميزان!! انك تغرس بكلمة واحدة من هذه التسبيحة العظيمة، شجرة لك في الجنة، أفلأ تحب أن يكون لك ملكاً في الجنة؟ فعلم الله سبحانه وتعالى يوصلك الى الجنة بعنوان شجرتك فيها. ان كلمة(سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر) مدد الملائكة في بناء قصور المؤمن الذي يتلفظ بها.

اننا حينما ننظر الى فرص الحياة بهذه الرؤية الرسالية فاننا لا نفكري فيما ضاع أو يضيع علينا من الفرص وحسب، وإنما نتطلع نحو توسيع مآفاث ونجد في السعي نحو الله، زاهدين في الدنيا بلا كلفة أو تصنع، وإنما قناعة بأن ما عند الله خير وأبقى، أما ركائز التطلع فهي:-

## • أ— نعيم الخلد

ان الرسالي يترفع عن الدنيا ويتطلع الى الآخرة، لأن الدنيا زائلة فانية أما الآخرة فسردية باقية، وما الدنيا الا جسر يقودنا اما الى الجحيم —والعياذ بالله — أو الى النعيم الذي تتحقق فيه كرامة الانسان، من هنا فان الرسالي هو من يتحسس كرامة نفسه فيعمل لما يحقق تلك الكرامة في الدارين، فهو يتطلع نحو الأفضل على طول الخط.

يُروى أن النبي عيسى المسيح (ع) خرج مع ثلاثة من أتباعه إلى الصحراء، وفي الطريق مرّوا بكنز من ذهب، فاستأذنوه في استخراجه فلم يجد ذلك لهم، وقال: إن الكنز في الآخرة أبقى، فأصرّوا عليه، فتركهم ومضى لشأنه، فعملوا حتى استخرجوه وقد نال التعب والجوع منهم فطلبوها من أحدّهم أن يذهب إلى المدينة ويشتري لهم طعاماً ثم يتقاسموا الكنز، فذهب ليأتي بالطعام فحدثه نفسه أن يدنس السم لصاحبيه ليغنم الكنز كله لنفسه ففعل ذلك، وما ان أتى بالطعام حتى وثب عليه أصحابه فقتلاه، إذ كان قد تآمرا عليه في غيابه، وأن يقتلوا و يستأثروا بالكنز دونه، فلما أكلوا الطعام خرّا ميتين هما أيضاً.

اما المسيح (ع) فإنه واصل طريقه، فالتقى بشاب فلم يعرفه بأنه عيسى بن مريم (ع) وإنما رأى عليه سيماء الصالحين فسأله: أيها الرجل ابني أريد أن أتزوج ابنة الملك فهل تستطيع أن تدلني على ذلك؟ فقال له عيسى (ع): أنا له فأرشده إلى طريقة مبتنته من الزواج من بنت الملك الذي ما كان له ولد سواها، فما لبث الملك أن مات بعد أيام، فآل الأمر بذلك الشاب أذ أصبح ملكاً، وبعد أيام دخل عليه المسيح (ع) فلما رأه الشاب الملك أخذه إليه واجلسه إلى جانبه ثم سأله: بالله عليك كيف تستطيع ايصالي إلى هذا المنصب (الملك) ثم لا تفعل ذلك لنفسك، وإنما ترضى بما أنت فيه من ثياب رثة وبلا مأوى، خشونة في الملبس وجشوبة في المطعم؟ فقال عيسى (ع): أرأيت ان أتوك بطعم شهي طازج، واتوك بخبز يابس، هل كنت تخنار الخبز أم الطعام؟ فقال بل الطعام! فقال المسيح (ع): فإن الدنيا بالنسبة لي كذلك الخبز بالنسبة لك! فسأله الملك الشاب: وهل يوجد غير الدنيا؟! فأجاب: الآخرة ونعمتها المقيم، فردوس وجنان وروح ورحوان الله تعالى! .. . فقال: فأنت العاقل وأنا المجنون كيف أصنع بالملك، وأين تذهب أنت وما تصنع وكيف تتبع للحصول على الآخرة؟ قال فان رغبت فيها فهلم معي! وأخذه من يده وذهب إلى حيث قتلى الكنز ورأى كيف أنهم ماتوا فدعا الله تعالى فأحياهم وسألهم خبرهم والشاب يسمع، فقال المسيح (ع): من أجل كنز زائف زائل قتلت أنفسكم؟ ان الكنز الحقيقي هو من هذا الشاب حيث ترك الملك وانطلق لله!

أجل ان الكثيرون من الملوك تركوا أملأ كفهم ومالهم في سبيل الله لأنهم عرروا  
بأنهم أسمى من المادة؟

## ● بـ التوكل

ان طمع الانسان لاحد له، فان وصل الى القمر طمع في الوصول الى المريخ، ولو  
ملك الارض رمى بطرفه نحو السماء طمعاً!

وهذه هي طبيعة الانسان ان استسلم لرغباته وشهواته يظل أبداً مريضاً منهوكاً.  
الا ان المؤمنين يتغلبون على شهواتهم ويحطمون في نفسياتهم روح الطمع، لكي تنمو  
بدل ذلك في ذواتهم روح التطلع، اما غير المؤمنين فسرعان ما يخبو التطلع في نفوسهم،  
وذلك حينما تخيب مساعيهم فتحطم آمالهم ويسطير اليأس عليهم. بينما المؤمن لا  
يعرف اليأس اليه سبيلاً، ويظل بنائی عن القنوط لما يمتلكه من ملاذ حصين هو  
التوكل على الله سبحانه وتعالى، اذ كلما استبد به اليأس ارتقى في حصن التوكل  
فتنقشع عنه غيوم الاحباط والقنوط ويتجدد الامل ويتجدد معه العزم والنشاط  
وال усили متطلعاً لوضع افضل وعمل اقرب لرضا الله سبحانه، وبذلك تبقى شعلة  
التطلع وهاجة في قلب المؤمن!

## ● جـ وان سعيه سوف يرى

هناك قناعة لدى المؤمن هي أن كل حركة من حركاته او سكتة من سكتاته  
مرصودة له لا تتبخ ولا تنتهي بل هي مسجلة له أو عليه

\* [وان ليس للإنسان إلا ماسعى. وان سعيه فسوف يرى. ثم يجزأ الجزء الأول]\*

— ٤١، ٣٩ —

و يقول الله سبحانه و تعالى:

\* [وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَرْكِمْ أَعْمَالَكُمْ]\*

— /٣٥ / محمد —

فلن يقطع ربنا عزّ و علا عمل الانسان، ولن يفوّت عليه مثقال ذرة من عمله..

\* [فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ]

— /٧ / الززلة —

من هنا اليأس لا يدرى كيف يتسلل الى المؤمن، والخوف من الفشل لا يستطيع أن ينال منه، لأن المؤمن يدرك أن أعماله لن تذهب سدى، حتى ولو لم تشر أو لم تظهر النتائج في حياته، فما على المؤمن الا أن يعمل، أما النتيجة فهي عند الله، ومادام العمل محفوظاً فان النتائج الآنية، مثل الربح أو الخسارة، النصر أو الهزيمة، ليست مهمة في الدنيا، بل حتى الهزيمة لا يسميها الاسلام كذلك، واما يسمىها (احدى الحسينين — النصر أو الشهادة) فقد جاء في القرآن الكريم:

\* [قُلْ هَلْ تَرْبَصُونَ بِنَا إِلَّا احْدَى الْحُسْنَيْنِ وَنَحْنُ نَرْبَصُ بِكُمْ أَنْ يَصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عَنْدِهِ]\*

— /٥٢ / التوبه —

فالشهادة للمؤمن حسنة والمحظوظ من ينالها.

\* [وَآخَرِيٍّ تَحْبُونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفُتحٌ قَرِيبٌ وَبُشْرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ]

— /١٣ / الصاف —

فالمؤمن يصل الى هدفه سواء في العاجل أو الآجل، لانه يؤمن بان الله معه، وعنده يقين بالمستقبل ذلك اليقين الذي يدعم أساس التطلع في نفسه، ويرسخ اليمان بالآخرة والذي هو بدوره يذكي روح التطلع في نفس المؤمن!

وقد يتบรรد الى الذهن سؤال يقول: ما هي ضرورة التطلع لتكوين الشخصية  
الرسالية؟

والواقع ان التطلع ضروري ليس للرسالي وحسب، وإنما للانسان كانسان فوق  
سطح هذا الكوكب، اذ لو لا التطلع الذي حدا بالانسان الى اقتحام الأهواء وركوب  
الأخطار لظل ذلك الانسان البدائي يرمي بنفسه في ظلام الكهوف كلما داهمته  
الوحش المفترسة.

وقد ورد في الحديث الشريف:

■(المرء يطير بهمته كما يطير الطائر بجناحيه)

استطاع الانسان بالهمم العالية ان يصل الى القمر بعد أن ظلآلاف السنين  
يتغزل به ويناجي فيه معشوقته ويقدمه اليها هدية في أشعاره، فخيالات الشعرا  
تحولت الى تطلعات عند العلماء، وتطلعات العلماء تحولت الى خطوات الرواد فوق  
سطح القمر، اذ فتحت المجال للانسان ان يرتاد الفضاء الأرحب لما بعد المريخ.

ومازال التطلع وراء الانسان وهو يجوب اليابسة ويطوف البحار ويقتصر  
المجاھيل حتى يتحقق اهدافه المنشودة، ويدرك التاريخ أن أديسون قام باثنتي عشرة  
الف تجربة لكي يخترع المصباح الكهربائي وفي النهاية أفلح.

فالمهدف العالي أساسه التطلع، كما ان المهدف السامي وقد الصعود وقوه تدفع  
الانسان للعطاء والسعى والعمل. وما أجمل الرواية المنسوبة للامام(ع) حيث يقول:

□(ما ضعف بدن عما قويت عليه الهمة) □

فإنك إن ملكت هدفاً ساماً وهمة عالية استطعت الوصول إليه مهما كان بدنك  
ضعيفاً، أما لو خارت عزائمك فإن كل شيء ينتهي!

## ● دـــ الترفع على المؤثرات المادية

كنتيجة حتمية للتطبع نحو الأفضل ونحو ما عند الله سبحانه وتعالى، فان ميزة أخرى تتولد عند الانسان الرسالي هي سموه فوق الظروف البيئية والمؤثرات المادية والاحتميات الهزيلة.

فالرسالي لا يخشي الظلام ولا يرعب الليل ولا يخاف الوحش ولا يتهدب الأنواء في الحر والبرد ولا يتشارع من الوقت بأيام منحوسه وما الى ذلك، واما يقتتحم الأهوال والصعب غير عابيه بالرياح الهوجاء ولا حافل بالمرض أو الألم، لأنه يرى نفسه فوق المؤثرات الطبيعية والمادية ولا يعوق تحركه عائق طبيعي مهما صعب! أما غير المؤمن من الناس فإنه يخشي أقل الأشياء صعوبة أو ضرراً، كما يقول الحديث الشريف:

■ (من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء) ■

فكل شيء صغير عند المسلم الحقيقي، حيث كبر الخالف في قلبه فصغر ما سواه في عينيه، فهو لا يعرف الا الله، واذا ذكر الله عنده وجل قلبه وخشت نفسه واقشعرت بشرته، وأما ماعدا الله فانه لا يهتم به الا بما ذكره الله سبحانه، فالترفع عن الدنيا والاعتدال في الأمور والتوكيل على الله سبحانه وتعالى لا يهاب المؤمن أحداً، بل يهابه كل أحد ومادام كذلك فإنه يتحرك بين الناس ويعامل مع الجميع باعتدال لأنه لا ينطلق من مركب نقص، بل واثق بنفسه وعمله.

اما أولئك الذين لا يرون الطفليون فانهم أتباع كل ناعق يدورون مع كل محور وكالريشة في مهب العاصفة تتطاير في كل اتجاه فانهم من لا ايمان لهم! بعكس المؤمن الذي لا يخضع لغير الله، ولا يبدل صورته ووجهه كالحرباء مع كل وجه، فيوماً بشيء، ويوماً شيوعي، وآخر رجعي وامر يكي وروسي .. وسلسلة تبدأ ولا تنتهي من التقلبات!

لقد رأينا في واقعنا المعاصر كيف بذل بطل القادسية الأمريكية اتجاهه فما مع الرياح الشرقية بعد أن يئس من الرياح الرجعية، لقد أطلق الشيوعيين واستخدم السلاح الروسي واليوغسلافي وتحالف مع اليسار..؟ (ولم يكفه ذلك بل مال اليوم مع الرياح الصهيونية الاسرائيلية بكل صراحة). فهل يفعل المؤمن الحقيقي مثل ذلك؟ محال! ان للمؤمن هيبة لأنه لا يهاب شيئاً الا الله. يدخل المؤمن على الملك فلا يتأثر لأنه لم يدخل على أحد سوى عبد من عبيد الله!

\* [ولله اعزه ولرسوله وللمؤمنين] \*

—/٨/ المنافقون—

\* [ان اكرمكم عند الله اتقاكم] \*

—/٣/ الحجرات—

لا أغناكم ولا أقواكم !!

ويعجب أمر المؤمن في حين يدخل على الملك دون أن تطرف له عين، ويتكبر على المتكبرين لأن ((التكبر على المتكبر تواضع)) تجده يتواضع مع المساكين واليتامى كأنه يستحي منهم، وهذا خلق رفيع، فان ترفعه على الماديات والمتغطرين لا يجعله ينسى مسئولياته تجاه الناس العاديين.

وهكذا نجد ان تواضع المؤمن من جهة واستعلائه على الختنيات المختلفة والمتكبرين من الناس من جهة أخرى يجعله لا يهاب ولا يخشي احداً سوى الله، مما تخلق منه شجاعاً مقداماً رياضياً مبادراً خلاقاً قادراً على الابداع في شتى المجالات.



## اليقين سبيل الاستقامة

### • ثانياً: اليقين

من أبرز المكونات الذاتية للشخصية الرسالية هو اليقين، وهو ليس حالة منفصلة عن المؤثرات الشخصية والتربوية الأخرى فهو نتاج جزء من البرنامج التربوي الإسلامي وبدوره له نتائج أخرى.

وان كان من نتائجه العديدة الاستقامة والصبر وتحدي الصعاب وتحمل الأذى، فانه لم يحصل للمؤمن الا نتيجة لطائفة من الحقائق الاعتقادية والتي يجب على الانسان ان يكتسبها ويتخل بها و يأتي في مقدمة هذه الحقائق الاعتقادية.. «الإيمان بالقضاء والقدر».

وتعتبر هذه العقيدة أصلاً جوهرياً في أصول الدين وحجر الزاوية بالنسبة للمؤمن في تشييد حصن اليقين، كما أنها عقيدة راسخة ورشيدة للمسلمين.

وليلة القدر التي انزل فيها القرآن الكريم وجعلها الله أفضل من ألف شهر، كما جعلها الله مناسبة قر على المسلم مرة كل عام، واذا ما وفق في اغتنامها والعروج الى

الله فيها عبر الدعاء والعبادة واحياء الليل بالذكر والصلوة. ان هذه الليلة لأكبر مذكر للمؤمن بواقع القضاء والقدر في حياة الانسان، اذ في ليلة القدر يفزع كل أمر حكيم فهي ليلة التقدير وتفرق الأمور من الله سبحانه وتعالى لعباده.

والإيمان بالقضاء والقدر عقيدة اساسية تنبع من الإيمان الحق بالله سبحانه وتعالى وهو إيمان يتدرج عبر ثلاثة مراحل:

## ● المرحلة الأولى

الإيمان بأن الله سبحانه هو الخالق لهذا الكون حيث خلقه ابداعاً من غير مثال سابق ولا نموج مثال، وأنشأه من غير تقليد ولا ممارسة لغوب، ولا علاج تجربة.

## ● المرحلة الثانية

الإيمان بأن الله خالق الخلق، اما أبدع الكون بهدف محمد ولحكمة باللغة فلم يختلف عبئاً ولم ينشئه لغواً، ولم يدعه باطلأ، يقول الله تعالى:

\* [أَفَحسِبْتُمْ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبْثًا وَأَنْكُمُ أَبْرَأُونَا لَا تَرْجِعُونَ] \*

—١١٥— المؤمنون

و يقول تعالى:

\* [الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
رَبُّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سَبَّحَنَكَ فَقَنَا عَذَابَ النَّارِ] \*

—١٩١/آل عمران—

و يقول عز من قائل:

\* [اولم يتفكروا في أنفسهم مخلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل  
سمى وان كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون] \*  
—/ الروم —

فلم يكن الخلق لعبا ولا هوا ولا باطلا..

\* [لو أردنا ان نتخد هؤا لا تخدناه من لدنا ان كنا فاعلين] \*  
—/ الانبياء —

ان الله جل ذكره لا يلهم، ولايلعب، ولا يخلق شيئاً عبثاً باطلاً.. ولو شاء لأخذ  
عباده بألوان العذاب، ولكنه سبحانه رقوق بالعباد، رحيم كريم سبحانه وتعالى عما  
يصفون علواً كبيراً.

ان هذا الكون عقلاني في خلقه ومكوناته، وكل شيء فيه انجا هو لأجل، ومن أجل  
هدف اسمي، اذ تدرج الاشياء في الاهداف، كما تدرج في الأسباب، ويقول  
 تعالى:

\* [وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون] \*  
—/ الذاريات —

فالهدف الاسمي والأعظم ان يخضع الكون وما في الكون لرب الكون، وينقاد له  
طاعة واداء للدور الذي خلق من أجله.

ولوتأمل الانسان في الكون وما يحييه من المخلوقات، الكبير منها وما تناهى في  
الصغر، لما استطاع ان يحكم على شيء من هذه الموجودات بعدم جدوايتها  
وهدفيتها، فلكل شيء ما يبرر وجوده.

ويروى في هذا الصدد ان أحد الطغاة كان يتمشى في حديقة قصره فوق بصره  
على نوع من الحشرات فاستصغر شأنها، وتساءل: لماذا خلق الله هذه الحشرة؟! وبعد

فترة ابتي بالتهاب في أنفه، فقد على اثرها حاسة الشم، فجيء له بطبيب، وبعد معاييره وصف له نوعا من الحشرات تؤخذ فتعصر ثم توضع في فمه وأنفه حتى يشفى باذن الله سبحانه.

وحينما جيء له بالحشرة لم تكن سوى تلك التي تساءل واستخف بها وقال: لم خلقها الله !!

كما يحكي ان بهلول دخل على هارون الرشيد الذي خاطب سحابة ذات يوم:  
«شرقي أوغربي فأنى ذهبت سيأتي الي خراجك»

دخل عليه واذا بذبابة تزعجه فبادره الرشيد قائلاً: - لماذا خلق الله الذباب !  
فأجابه البهلول على البديهة: «ليدل الله بها أنوف الطغاة والمستكرين !..

فسكت هارون ولم يجر جوابا !

أجل لقد خلق الله كل شيء هدف، مادياً كان أو معنوياً.

والاليوم استطاع العلم ان يتوجع قليلا في عالم الطبيعة، ويعرف الكثير عن خصائص المخلوقات في هذا الكون ويكشف ان لها صلة من قريب أو بعيد بوجود وبقاء الجنس البشري .

فالكثير من الحشرات على اختلاف انواعها تقوم بعملية تطهير ذاتي للأرض ولولاها لتعفت الكورة الأرضية وفسدت الحياة فوقها واستحالـت .

وهكذا البحار والمحيطات فهي الأخرى لولا وجودها لأنعدم الماء الذي هو سبب الحياة ولاستحالـ بقاء الحياة في الأرض .

وكذلك الأشجار والغابات لولاها لأنعدم الأوكسجين وأنعدمت الحياة.. بل أكثر من ذلك ان التفاحة الصغيرة لها علاقة بالنجوم السحرية البعيدة في المجرات السماوية.. فكل شيء يتصل بالانسان، وحياة الانسان تتعلق بكل شيء في الوجود.

وهذه الحقائق هي حديث العلم في هذا الزمن، فنظرية تطور الأنواع قد اكتشفت جانبياً فقط من هذه الحقيقة، اذ الأحياء درجات مختلفة فهي متدرجة من حي صغير لا يزيد عن خلية واحدة الى حي أكبر وأكثر تعقيداً، الى الانسان سيد الاحياء في المخلوقين، عبر سلسلة متكاملة لا ينفصل بعضها عن بعض.

### ● المرحلة الثالثة

الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى حينما خلق الخلق لم يتركه سدى ولم يهمله وانما هيمن عليه..

يقول تعالى:

\*[الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوِي]\*

—/طه—

ويقول تعالى:

\*[ثُمَّ أَسْتَوِي عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيلَ النَّهَارَ يَطْلَبُهُ حَتَّيْهَا]\*

—/يونس—

فرربنا سبحانه وتعالى مهيمن على الكون لا تصدر فيه حركة الا بأمره ولا يتحرك شيء فيه الا بإرادة مباشرة منه سبحانه، وقد جاء في القرآن الكريم:

\*[أَشْرَقْتَ الْأَرْضَ بِنُورِ رَبِّهَا]\*

—/ الزمر —

\*[اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمْشَكَاهُ فِيهَا مَصْبَاحٌ، الْمَصْبَاحُ فِي زَجَاجَةٍ، الْزَجَاجَةُ كَأَنَّهَا كُوكَبٌ دَرَّيٌ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ]\*

—/النور—

ويقول تعالى:

\* [ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولين زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه  
كان حليما غفروا] \*  
—٤١/فاطر—

فهذه العقيدة اذن تعني الاعتراف لله سبحانه وتعالى بالهيمنة المباشرة على الكون في كل الشؤون خلقاً وتوجيهها واستمرارية، وبكلمات أخرى تلخص هذه العقيدة في معنى «بسم الله» حيث تعني الاستعانة بالله والا تصال بنتوره وادنه ورادته، وكل شيء في الكون إنما كان ويكون بمشيئة الله . ففي الدعاء المأثور:

□ (ومضت على ارادتك الأشياء فهي بمشيئة الله دون قولك مؤمرة وبارادتك دون نهيك متزجرة) □  
— دعاء الفرج للحجۃ(ع)—

ولاشك ان من ضمن هذه الاشياء ارادة الانسان التي هي من أسمى ما وهب الله له .. فقد منح الله الانسان العقل والروح والنعم ووهب له مابين ذلك الحرية والاختيار حيث تجسدهما ارادته، حينما يختار ان يتحدى الضغوط جميعاً ويقاوم كل الحتميات الخارجية المادية، أو يختار الاستسلام لها !!

وقد جعل الله سبحانه وتعالى مشيئته بذلك بعد مشيئه الانسان، ولا أقول أنها تابعة لمشيئه الانسان — سبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً — فان مشيئه الله لا تعلل، وإنما هو سبحانه شاء ان يجعل مشيئته بعد مشيئه الانسان.

أي اذا اردت الجنة، اراد لك الجنة، وان اردت النار ارادها لك ! اشتئت أن تكون في أعلى عليةين جعنك كذلك، وان شئت أن تكون أسفل ساقفين شاء لك ذلك ! فحيث يشاء الانسان جعله الله له .

وليس الانسان بإله حينما جعل الله مشيئته العليا المطلقة بعد مشيئه الانسان،

وانما هذه الميزة هي الأمانة التي عرضها الله على السموات والارض والجبال فأشفقن وأبين أن يحملنها فحملها الانسان وكان ظلوماً جهولاً، لانه لم يؤدِّ حق هذه الامانة.

وبهذه الامانة أصبح الانسان أرفع شأناً من الملائكة، ان كان من الذين أدوا حق هذه الامانة ، والحديث يذكر ان المصطفى(ص) حينما بلغ وجبرائيل سدرة المنتهى في رحلة المراج توقف جبرائيل، فقال له الرسول الاعظم (ص) تقدم يا أخي جبرائيل فقال: لو تقدمت لاحتربت وانما أنت تفضل، فتقدم الرسول(ص) واقترب حتى كان قاب قوسين أو ادنى، وذلك بفضل ارادته الحرة، فانه (ص) تحدى الضغوط كلها وقاوم الشهوات واغراءاتها بارادته وعقله، فوهبه الله هذه المنزلة.

وهل اسمى وأكبر من هذه النعمة التي منَّ الله بها على الانسان؟ ومع ذلك فان الحقيقة ان هذه المشيئة وهذه الارادة لا تخرج عن مشيئة الله ولا تنفصل عنها وليس الا بها .

\* [وماتشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين]

— ٢٩ / التكوير —

فكل شيء خاضع لارادة الله وهيمنته، ولا يستطيع الانسان ان يفر من قبضة الله فليس الانسان بإله، ولا نصف الله ولا يمكنه ان يتحدى الله، ومتي كان ذلك، لجهله وغروره، سلبه الله كل امكانياته وسلط عليه أضعف مخلوقاته فيقتله بالشرقة او بحشرة او بداء لا يدرى السبيل للخلاص منه!

## ● القضاء والقدر

تلك هي المراحل الثلاث التي تنتج في مجموعها اليمان بالقضاء والتسليم بالقدر، والقدر مشتق من التقدير والقدرة فكل شيء مقدر من الله بحكمة بالغة، وكل شيء

مخلوق بقدر وله دلالة معينة لا ينفعه الى غيره.

ولو نظرنا الى واقع الانسان لوجدنا ان عمره يقع ضمن معدل يتراوح بين الستين والسبعين.

والطفل حين يولد يبلغ وزنه حوالي ثلاثة كيلوغرامات، ثم لا يلبث ان يصبح ستين او سبعين والبعض يفوق وزنه المائة كيلوغرام. وطوله يبلغ المتر وثلاثة ارباع المتر وقد يصل البعض الى المترتين او أكثر قليلا.. ولكن هلرأيتم انساناً أثقل من الفيل أو أطول من النملة؟ كلا..

وبالطبع ان الأمر لا يبعده ذلك بالنسبة للموجودات الأخرى كالأشجار والنباتات فكل بذرة تبذر أو حبة تغرس أو فسيلة تستوطن، اما توفر لها نفس الظروف من التربة والمواد الغذائية والماء والضياء والهواء، الا ان بعضها يصبح نخلة باسقة ممتدة في الفضاء، بينما لا يستطيع البعض الآخر ان يرتفع عن الارض قدر ذراع واما يحبون يزحف، والاولى تثمر ثمرة، بينما الاخرى لا تعطي سوى البذنجان.

فلماذا هذا التنوع في الصفات والعطاء رغم وحدة الظروف وتشابه المحيط؟ انه تقدير العزيز العليم فالله قد خلق الطبيعة هكذا ان تسمق اشجار الايث والسرور، ويتسق العنب والدبابة، بينما يزحف القرع والبطيخ! فيما يندس البطاطس في التراب !!

## ● القدر استراتيجية ثابتة

فهذه هي الطبيعة وهذا هو معنى القدر.. ان الاشياء تسير وفق المخطط العام للمكون، فكل شيء مقدر تقديرًا بدقة وانضبط في المجرات الى ان يصل الى الذرات، فمثلاً ذرة الزئبق او اليورانيوم من اثقل الذرات، بينما ذرة البوتاسيوم من الذرات

الخفيفة جداً، اما ذرة الهيدروجين فهي أخف الذرات جميعاً، فلماذا هذا التنوع والاختلاف..؟ فهذه ذرة وتلك ذرة، ولكن الالكترونات كما البروتونات هي في كل ذرة بمقدار معين، يقول تعالى:—

\*[وكل شيء عنده بقدار]\*

—٨/الرعد—

\*[ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرًا]\*

—٣/الطلاق—

## ● الارادة خاور القضاء

ان الكون وما فيه خاضع للقدر، ولكن أهم أقدار الله في الكون هو القضاء، ان القضاء جزء من القدر .. ولا أدرى لماذا يقال «القضاء والقدر» بينما حسب التسلسل ينبغي ان يقال «القدر والقضاء» ولكن ربما لأن الانسان في كثير من الاحيان يتعامل مع القضاء أكثر من تعامله مع القدر..

فمن القدر، السنن الكونية الثابتة التي لا تتغير! وبعضها سنن لا يصل اليها العقل، وبعض منها يستوعبها عقل الانسان.

ومن القضاء أن سعي الانسان المرتبط بطبيعة حياته وحركته ونتيجة لها، حيث يقول سبحانه:

\*[وأن ليس للإنسان إلا ما سعى]\*

—٣٩/النجم—

يروى ان الإمام علي (ع) كان جالساً تحت جدار معوج يكاد ان ينهار فقال له أحد أصحابه يا أمير المؤمنين ان الجدار معوج ! فنهض الإمام من مكانه وجلس الى جدار آخر سليم، فما لبث ان انقض الجدار الاول فسأل أحد الحاضرين قائلاً: أمن قدر الله تفر..؟ فأجابه الإمام قائلاً:

## □(نعم فررت من قدر الله الى قضائه) □

أجل ان الجاذبية الارضية سنة كونية من قدر الله ولكن الارادة التي يتلكها الانسان يستطيع ان يغير و يبدل و يتصرف في هذه السنة الكونية بقضاء الله، بحيث يتفادى القدر، فقد قضى الله ان الكون يتبدل و يتغير حسب مشيئة الانسان، فاذا شاء استطاع ان يغير القضاء فمثلا جاء في الروايات ان صلة الرحم تزيد العمر، وقطعها يقصم العمر، فاذا كان مقدراً للانسان ان يعيش ٦٠ عاماً، فوصل رحمه أصبح ثمانين عاماً، او العكس اذا قطع رحمه نقص عمره من ستين الى اربعين عاماً..

وكذلك الظلم يتر العمر، وصلة الليل تطيله! وهكذا فالقضاء قد يغلب القدر ومن قدر الله ان النار تحرق، ولكن من قضائه ان تصبح برداً وسلاماً على ابراهيم. ومن قدر الله ان تكون المسافة بين مكة والمدينة ثابتة، ولكن من قضائه ان يستغرق المسافر اسبوعاً شيئاً على الأقدام، او ساعة واحدة في الطائرة.!

ان الكون قائم على أساس القضاء والقدر ! فأما القدر فلا تستطيع ان تتحدها، وأما القضاء فاما كانك تغييره !

ان طولك وحجمك وقوتك ولو نك قدر، فهل يمكن ان تتحدها..؟

انك لا تستطيع ان تحدد نسبك ولا وقت ولادتك، لان هذا من القدر. فالأفغاني أفغاني وعليه محاربة الروس، لأنهم يحتلون بلاده، والفلسطيني فلسطيني وعليه ان يقاوم الاحتلال الإسرائيلي والتدخل الامريكي شاء أم أبى فهذا قدر لا يتحدى.

ولكن هنالك قضاء منحه الله لك حسب نياتك، وبسبب أفكارك المتلاحقة واختياراتك المكثفة وقراراتك المتتالية.

وكما جاء في الحديث

■(وعلى قدر نياتكم ترزقون) ■

و يقول الباري عزوجل:

\*[ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات س يجعل لهم الرحمن ودأ]\*

— مريم / ٩٦ —

\*[ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم]\*

— لقمان / ٨ —

\*[ومن يتق الله يجعل له مخرجاً \* ويرزقه من حيث لا يحتسب]\*

— الطلاق / ٣، ٢ —

فهذه القضايا هي من القضاء، فبسبب افعالك وقراراتك الصحيحة اوتيت حسناً وبسبب قراراتك الخاطئة أصابكسوء، ففي الدعاء المأثور «واكفنا شر ما قضيت فانك تقضي ولا يقضى عليك»

وفي الحديث:

■ «بالصدقات تدفع البلوى» ■

والدعاء والصدقة عملان يمكن ان تكفل بهما شر القضاء !!

ومتى ما آمن الانسان بأنه واقع بين محوري القضاء والقدر، ومحكوم بهما، خاضع لقوانينهما، وهو بين التسليم بالقدر وحسن التصرف في القضاء، فإنه لا يجتمع ولا يشكي ولا يقلق، فإذا ما أصابه خير قال هذا قضاء الله فشكّره، وإذا ما أصابه سوء لم تتوتر أعصابه، وإنما حمد الله واستغفره، إذا ان ماحل به قد يكون كفارة لما أذنب، وقد يكون بالفعل ما أصابه من سوء إنما جاء لأسباب بعيدة لا يدركها، كأن يريد الله أن يختبره فيما يحصل إليه ويزيده ثواباً ويحط أوزاره، وأما أن تكون من نفسه هو لأهمال تجاه نفسه أو جسده أو لظلم قام به أو لعدم توفيقه بالدعاء أو الصدقة وبالتالي نتيجة تصرفاته.

\* [ ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك ] \*

— النساء / ٧٩ —

\* [ وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ] \*

— الشورى / ٣٠ —

وإذا بلغ الإنسان حد اليقين في ايمانه عرف انه لن يصيبه الا ما كتب الله وقضى له بقدرته المطلقة وحده، وما قضاء الله الا لأن الانسان نفسه اراده بقرارات سابقة قد لا ينتبه إليها.

فهذه العقيدة تظهر للانسان عقلانية التدبر في هذا الكون فلا يخensi ما يحدث. كما لا يجعل الكون وما يرجي عليه من صروف الليل والايام وحيثنا لا يتأثر بالضغوط لانه يؤمن بأنها اما قدر واما قضاء !

وقد اشاد القرآن بالمؤمنين اذ قال:

\* [ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ] \*

— السجدة / ٤٢ —

وقد ورد في الدعاء المؤثر عن الرسول الأعظم (ص) تفسير اليقين، حيث يقول:

■ (اللهم اني اسألك ايمانا يملا قلبي. وبقينا صادقا حتى أعلم انه لن يصيبني الا ما كتب لي، ورضاي من العيش بما قسمت لي ) ■

فالاليقين كما هو واضح من مقطوعة الدعاء هو الوصول الى درجة من اليقين الصادق والاطمئنان بأن الله سبحانه هو خالق الكون ومدير الامور جميعاً وفق حكمته.

## • تحلي اليقين

ولليقين تحليات في قلب المؤمن وتجسيد في واقعه ففي القرآن الكريم:

\* [واعبد ربك حتى يأتيك اليقين]

— ٩٩ / الحجر —

وفي رواية عن جابر بن عبد الله الجعفي يقول: سألت أبا عبد الله الصادق(ع) عن اليقين ما هو؟

فقال: □ (يا أخي جعف: إن الإيمان أفضل من الإسلام، وإن اليقين أفضل من الإيمان،  
وما من شيء أعز من اليقين) □

فالإنسان المؤمن إذا وصل إلى مرحلة يعرف فيها أنه مامن شيء في الكون إلا وفق خطة مرسومة سلفاً فإنه لا ينزعج، وإنما يملأ حياته وقار الإيمان.

لقد وصل رسول الله (ص) إلى درجة من اليقين بحيث قال لعمه أبي طالب بعد أن أغراه مشركو قريش بشتى المغريات:

■ (والله يا عماه: لو وضعوا الشمس في عيني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله، أو أهلك دونه) ■

هذا هو اليقين الصادق.. يقول الإمام أبو جعفر الباقر(ع):  
□ (إنما هو الإسلام، والإيمان فوقه بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى  
بدرجة) □

فالإمام يبين هنا درجات الدين من الإسلام فالإيمان فالتقوى فاليقين الذي هو أعلى مراتب الدين.

فسائل الراوي: فأي اليقين؟ فأجاب الامام بقوله:

□ (التوكل على الله والتسليم له...)

فبالتوكل والتسليم لا يخاف الانسان شيئاً اذ يعلم ان كل شيء متصل بالله اتصالاً وثيقاً، بل يقتصر الامور والصعبات، لان الانسان لا يخاف من الله فهو اللطيف الرحيم، ولا من تقديره فهو العليم الحكيم، واما يخاف من ذنبه وسيئاته.

كما جاء في الحديث.

■ (ولا يخافن أحد إلا ذنبه)

فان لم يذنب أمن وأطمأن، فالله لا يعاقب الا المسيئين، وأنذر يتزعز الخوف من قلب الانسان، وانتزاع الخوف من قلبه يعني تغيير طاقاته تماماً كما تتفجر القنبلة اذا ماتم انتزاع الصاعق منها..

فالانسان، الذي من طبيعته الخوف عادة ما يكون محدود الشاط والفعاليات، فهو يخاف المستقبل ويتهيب الناس، ويختلف من الفشل ومن الطبيعة ومن الموت فالخوف أمامه ومحيط به من كل جانب فكيف لا يكون مسلولاً وتكتبه قيود الخوف من كل شيء؟

أما الذي بلغ درجة اليقين فانه لا يخاف شيئاً حتى الموت، لأنه يعلم ان الموت لن يحيى الا في أجله، واذا جاء فلا راد له ولا مفر منه، وهذا معنى التوكل على الله بالتحرر من الخوف بجميع أشكاله، والتسليم لله في كل ما قضى وحل بالانسان.  
ثم يتابع الامام في تفسير اليقين:

□ (والرضا بقضاء الله والتقويض الى الله...)

فهو القبول بما قسم الله من الموت والحياة والرزق، والاقتناع بما أotti من خير وشر دون الاعتراض على الله او انتقاد الأقدار او التساؤلات التي تبدو وكأنها رد على الله سبحانه وتعالى فان تلك الانتقادات قواصم تقصم ظهر الانسان لأنها ضد التسليم بأمر الله، اما مثل هذا كمثل من يضرب بيده صخرة فتنكسر، ثم يصرخ متأنلاً لماذا الصخر لا يلين؟

ان الاعتراف بالكون وقوانينه هو الرضا بقضاء الله والتفويض له، كما جاء في القرآن الكريم:

\* [فَسْتَذْكُرُونَ مَا قُولَكُمْ وَأَفْوَضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ] \*

—٤٤/المؤمن—

والتفويض هو ان تشق بالله وتوكل عليه وتعمل ولا تسأل عن النتائج.

وفي بيان آثار اليقين ونتائجها يقول الإمام أبو عبدالله الصادق(ع):

□ (من حسن يقين المرء ان لا يرضي الناس بسخط الله) □

وهذه أولى بواخر اليقين ونتائجها الاجتماعية، وكما أشرنا في بداية الموضوع ان من نتائج اليقين الاستقامة في الحياة وتحدي الضغوط لأن المرء حين يعلم ان أمروره ليست بيدها او ذاك من الناس، فان اهتمامه <sup>آنذاك</sup> ينصب على جلب رضا الله، ولا يطلب رضا الناس اذا كان فيه سخط الله! ثم يقول:

□ (ولا يلومهم على مالم يؤته الله ..)

فهولا يحسدهم ولا يتطلع الى ما بين أيديهم من الخير وانما هو مشغول بنواقصه  
وعيوبه كي يتلافاها ..

ويضيف الامام:

□ (فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهة كاره، ولو ان أحدكم فرق من رزقه كما يفتر من الموت لأدركه رزق، كما يدركه الموت.. إن الله بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في اليقين والرضا، وجعل التهم والحزن في الشك والسخط..) □

وفي حديث يرويه الامام علي(ع) عن النبي(ص) قال:

□ (لا يجد عبد طعم الامان حتى يعلم أن ما أصحابه لم يكن ليخطأه، وأن ما اخطأه لم يكن ليصيبه، وإن الضار والنافع هو الله عَزَّوجلَّ) □

ويعول الامام في موضع آخر:

□ (الامان على أربع دعائم، العدل والتوحيد والصبر واليقين..) □

وفي واقعة صفين فيما كان الامام علي(ع) ذات يوم يعيي الصفوف كان معاوية مستقبلاً على فرس له، يتأكل تحته تأكلاً — أي كان يتفجر غيضاً— والامام علي على فرس رسول الله «المرتجز» وبيده حربة رسول الله متقدلاً سيفه ذا الفقار، فقال رجل من أصحابه، له:

أحترس يا أمير المؤمنين فاننا نخشي ان يغتالك هذا الحاقد فقال عليه السلام:

□ (لشن قلت ذاك فانه غير مأمون على دينه، وأنه لأشقى القاسطين وأعن الخارجين على الأئمة المهتدين، ولكن كفى بالأجل حارساً، ليس أحد من الناس الا ومعه ملائكة حفظة يحفظونه من ان يتردى في بئر او يقع عليه حائط، او يصبه سوء، فإذا جاء أجله خلوا بينه وبين ما يصيبه، وكذلك أنا اذا حان أجلي انبعث أشقاها فخضب هذه من هذا— وأشار الى لحيته ورأسه— عهداً معهوداً وعداً غير مكذوب) □

فلم يكن يعبأ بما يترbus به معاوية له.

ان لليقين علامات سلوكيه.. كالشجاعة والاستقامة والبطولة والرضا وعدم التأثر

والاستفزاز، وعدم الفزع او القلق او الغرور او السخط على ما اوجب الله سبحانه وتعالى.

كما ان من علاماته السلوكية التبتل الى الله عز اسمه، والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، لانه من استولى عليه اليقين فانه بلا شك موقن بالموت والحساب والمعاد، واثق بأن الامور بيد الله سبحانه و به تتصل الاسباب.

وحول هذه النقاط يروي اسحاق بن عمار عن أبي عبدالله الصادق(ع) انه قال:

□(ان رسول الله(ص) صلى بالناس الصبح فنظر الى شاب في المسجد وهو يتحقق ويهوي برأسه -أي من النعاس - مصغر اللون، قد نحيف جسمه وغارت عيناه في رأسه فقال له رسول الله: كيف أصبحت يا فلان؟ فقال: «أصبحت يا رسول الله موقناً» فعجب رسول الله من قوله، فقال له: ان لكل يقين حقيقة، فما حقيقة يقينك؟ فقال: «ان يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلى، وأظمأ هواجري -أي اصوم الايام الهجرى شديدة الحر- فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتى كأني أنظر الى عرش ربى وقد نصب للحساب وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم وكأني أنظر الى أهل الجنة يتعمدون في الجنة ويتذارعون، على الارائك متكتون، وكأني أنظر الى أهل النار وهم فيها يعبدون مصطراخون، وكأني الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي» فقال له رسول الله: (هذا عبد نور الله قبه بالاعان) ثم قال له: (الزم ما أنت عليه) أي أنك وصلت الى درجة عالية جداً من الاعيان واليقين فأبقي عليها - فقال الشاب: «أدع الله لي يا رسول الله ان أرزق الشهادة» فأنا وصلت الى ما وصلت اليه من اليقين، ولكن بقيت مرحلة أسمى الا وهي الشهادة.

وقد قال رسول الله:(ان فوق كل ذي بربز حتى يقتل المرء في سبيل الله، فاذا قتل في سبيل الله  
فما فوقه من برب..)

فدعى له رسول الله، فلم يلبث ان خرج في بعض غزوات النبي(ص) فاستشهد مع تسعة نفر وكان هو العاشر.



## الحكمة والاجتهداد في شخصية الرسالي

### • ثالثاً: الحكمة ومنهجية التفكير

يأتي ضمن المكونات الذاتية الاساسية لشخصية الرسالية: الحكمة ومنهجية التفكير، وبالتالي التخطيط السليم.

ومن الطبيعي أن يتصرف الناس في قضاياهم الحياتية بشيء من الحكمة، إلا أنهم في مسيرة حياتهم العامة لا يملكون استراتيجية كلية ولا أهداف محدودة لذلك فهم يفتقرن إلى الحكمة في ذلك مما يجعلهم عبيداً لهذا يوماً، وعبيداً لذلك يوماً آخر. والمؤمن كيس فطن وحكيم، لأن الحكمة جزء من مكونات شخصيته الرسالية، ولكن السؤال كيف..؟

### ١ - المؤمن ينظر بنور الله

يقول الله سبحانه وتعالى:

\*[ان في ذلك لآيات للمتوضمين]\*

—العجز—

يعني للذين يتوصّمون في نظرهم فيعرفون سمات الأنبياء، وعلامات الأشياء ومن خلاتها يدركون حقائق الأمور ويسبرون غور المسائل ليصلوا إلى عمق القضايا، لأن الإيمان أساساً هو (التوصّم)، والنظرية العميقه والتداريبية للأشياء والحياة. كيف عرفت الله ولم آمنت به في حين كف الآخرون؟ وما الدافع وراء جحود الكافر..؟

وما لاشك فيه ان النظرة السطحية للأشياء دون الاعتبار والتفكير، هي احدى الموانع التي تحول بين الكفر والإيمان، فالمؤمن حين يرى الشمس يتساءل عن خالقها ومدبّرها، وإذا رأى القمر تسأله عن مجريه، وهكذا بالنسبة للرياح والفنك والجبال والسماء والأرض وما فيها من دابة أو طائر لا يراها، الا وينفذ بصيرته إلى حكمة خلقها، والسنن التي تجري فيها وبالتالي يستدل بها على أن نفسه ليست بيده! يقول الإمام علي(ع):

#### □ (عرف الله بنقض العزائم وفسخ الهمم) □

أما نظرة غير المؤمن فانها نظرة قشرية جامدة لا يستطيع أن يحدد المرض عبر الاعراض ولا يتبيّن عدوه من خلال الملائم، كما لا يستطيع اكتشاف الحقيقة الكامنة وراء العلامات !

وهذا يعني ان المؤمن ما كان ليؤمن بالله لولا نفاد بصره عبر بصيرته بالاعتبار من الأمور والتأمل في واقعها لاستنباط حقائقها، فهذه الطريقة هي التي توصل المؤمن إلى الإيمان وترسخ إيمانه، كلما رأى آية أو علامة جديدة.

فإن افتقر المؤمن ازداد إيمانه، وإن استغنى ازداد عمله وتقواه، وإن مرض أو شفي أو قوي أو ضعف، فاما تزيده تلك الحالات قناعة ورضاً بأمر الله وقضائه، وكل الأحوال والظروف تهديه إلى الله حتى يصل إلى الدرجة التي يقول معها .

#### □ (ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله ومعه وبعده) □

ومadam الأمر كذلك فإنه بالنسبة للطبيعة يتوصّم ما وراءها ليكتشف الحقيقة من

علماتها. وإنما يستطيع ذلك بنور الله سبحانه وتعالى..

## ٢ - التفكير آية المؤمن

والمؤمن حكيم نتيجة لتجاهاته العليا وسيطرة التفكير عليه، اذ تولد الحكمة من خيوط التفكير. ولذلك فهو لا يلهو، وإنما هو دائم الانشغال بالتفكير في السماء والأرض والطبيعة والخلق، في المجتمع والناس والأهل والنفس والأمة والمستقبل والماضي والحاضر، في التغلب على المصاعب وعوامل المدم، والتفكير الجاد في ما يدفع المسيرة الى الامام، في عوامل البناء والتقدم والاعداء والمعارك والتحرير والاستقلال.

انه لا ينشغل كالكافر في توافه الأمور: في اكله وشربه وملبسه وفرجه، أو يقضى الوقت لا هيأً عابثاً لتعبئة الفراغ وقت القتل، أو تقضي الأيام عليه قلقاً مضطرباً متوراً الأعصاب مما يحطم قدراته ويستهلك طاقاته ويتلف أعصابه، وإنما يصرف جهوده نحو البناء! وقد ورد في الحديث الشريف قوله(ص):

■ (اذا رأيتم المؤمن صموناً فادنو منه فانه يلقى الحكمة فيفجر الله بنابع الحكمة في قلبه) ■

لأنه غير مشغول بالتواوفه وصفائر الأمور. فان البال اذا انشغل بمسألة تافهة لا يستطيع أن يستوعب شيئاً آخر، فما جعل الله لرجل من قلين في جوف واحد، ولو أنك وضعت ابريق الشاي على النار حتى يغلي ثم أخذت هذا الكتاب بين يديك فانك ستجد نفسك \_ ولاشك بعد عدة صفحات \_ لم تستوعب تماماً ما مقرأت لأن بالك مشغول بالابريق فوق النار.

وهكذا بالنسبة للمسائل الأخرى كهموم الدين أو التجارة أو.. أو.. فان هذا العقل المنصرف نحو قضائيا هامشية لا يستطيع في هذه الحالة أن يستوعب الأحاديث والحقائق العلمية، لأن الفهم آنئذ يستعصي، اما المؤمن فانه يأبى أن ينشغل بهذه الأمور التافهة لأنه لا يهتم بالدنيا لزهده فيها قليلاً لاصناعاً وتتكلفاً، لذلك يتفجر

قلبه حكمة، ويضيء عقله بنورها فيتضح أمامه الطريق.

### ٣— أسمى درجات التفكير

حينما يتفكر المؤمن فإنه لا يختار أي موضوع للتفكير، وإنما يختار أسمى الدرجات بحيث أن الإمام (ع) يصف عبادة أبي ذر بأنها لم تكن سوى التفكير.. اذ يقول:

□ (كان أكثر عبادة أبي ذر التفكير)

فما هذا التفكير..؟ لاشك انه من النوع الذي يقول عنه رسول الله (ص):

■ (تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة)

أجل ان العبادة ليست بطول الصلاة والقيام وكثرة الصيام، وإنما يكفي أن يتفكر المؤمن ساعة كي تكون تلك الساعة أفضل من عبادة سبعين سنة!  
وقد سئل الإمام علي (ع) عن نوع هذا التفكير فأجاب:

□ (إذا طاف المؤمن على البيت الحزبة وقف يتتساعل: أين أهلك وبأنوك..؟ وير على البلاد المهجورة أو المهدمة فيتساءل عن ساكنها أين حلوا أو أرتحلوا؟)

فقلبه يضرب في الماضي بحثاً عن سنن التاريخ، ثم يستنبط منها القوانين الإلهية في الطبيعة والمجتمع حتى يصل إلى عمق فلسفة الحياة ليكتشف بعد ذلك ماهية الدنيا فيلقي عن نفسه أغشية الجهل كالغورو والوهن والخرق والحمامة. وليفهمحقيقة الدنيا بأن «الدنيا تغرّ وتضرّ، وقرّ» فهي من بعيد تبدو للمرء كالياقونة البراقة، فإذا دنا منها وجدتها حجرة حراء تكوي، ثم لا تلبث أن تشيح بوجهها عنه لتسلبه كل محسنته!!

فالمؤمن على هذا النحو يستدل بما كان على ما يكون، وبما مضى على ما يأتي، فالذي جرى للأولين من السنن سيجري على اللاحقين دون أدنى شك، وهذا هو عمق

التفكير المطلوب الذي تعادل منه الساعة سبعين سنة أو أكثر من العبادة.

#### ٤— التفكير فريضة قرآنية

حينما يحث الاسلام المؤمنين على التفكير فانه لا يطلب من المؤمن أن يهتم بأموره الشخصية والعائلية فحسب ، ولا يطلب منه الاهتمام واسغال الذهن بمسائل الآخرة فقط ، بل يطالبه بالتحرر من نطاق الذاتية ليشمل تفكيره المجتمع ، والأمة ، بل العالم البشري ، وكما يهتم لآخرته يهتم لدنياه فلا يشغل بالقضايا العبادية مثلا عن القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية .. فيضرب في الآفاق البعيدة تماماً ، كما يهتم بظروفه الخاصة والقريبة .

وهنالك العديد من النصوص الاسلامية التي تطلب من المؤمنين مباشرة التفكير والسياحة في الارض طلباً للعبرة والتدبر واستخلاص عبر التاريخ من سيرة الأمم السابقة.

فالله سبحانه وتعالى يقول:

\*[ كذلك يبيّن الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون \* في الدنيا والآخرة]\*

—٢١٩، ٢٢٠/ البقرة—

وفي تفسير هذه الآية تقول بعض الروايات ان نهاية الآية تأتي بعد كلمة الآخرة، وحتى من يتأمل قليلا في القرآن الكريم يتبين كيف ان كتاب القرآن والمهتمين بخطوته وبشئون الوصل والفصل قد بينوا أنه خلال القراءة، يجب أن تكون متواصلة رغم وجود علامة انتهاء الآية، فالقضية اذن ان «في الدنيا والآخرة» تتعلق بـ (تتفكرون) أي ان تفكيرهم لا يقتصر على الامور الأخرى ويه ، وإنما حتى في الأمور الدنيوية ومن يفهم الآخرة ومتطلباتها لاشك يفهم الدنيا ، وكيف يتصرف فيها فليست الدنيا والآخرة منفصلتين ، وإنما هما وحدة واحدة توجد عتبة في مقدمتها ، يعني

بعد أن تجتاز جزءاً من مقدمتها عليك أن تخطو عتبة أخرى هي «الموت» لكي تستقبلك الساحة برحابتها.

\* [ كذلك يبين الله لكم الآيات ] \*

يعني العلامات، أي حينما تتوضّح لنا العلامات فان علينا ان نتفكر فيها..

\* [ لعلكم تتفكرون ] \*

ويقول سبحانه:

\* [ قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ] \*

- ١١ / الانعام -

وهنا يأمر ربنا سبحانه وتعالى بالبحث العملي سعياً وتنقيباً وتحصيلاً وينهى عن الجلوس في الإبراج العاجية والتفكير من فوق، لماذا جرى...؟ وكيف جرى..

واما اذا أردنا أن نفهم لماذا جرى وكيف، فعلينا التحرك في آفاق الارض.

وفي آية أخرى:

\* [ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ] \*

- ١٧٦ / الاعراف -

فهنا يشير الله سبحانه وتعالى أن الهدف من التاريخ هو التفكير والوصول الى عمق الحقائق..

ثم يقول تعالى في موضع آخر:

\* [ أو لم ينظروا في ملوكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون ] \*

- ١٨٥ / الاعراف -

أي أن الهدف من تحصيل العلوم الطبيعية هو الوصول الى عمق الحياة وفهم الحقائق فعلى المؤمنين ان يكثروا التفحص والنظر في ملوك السموات والارض ..

ويقول تعالى:

\*[ان في ذلك لآيات للمتسمين \* وانها لبسيل مقيم \* ان في ذلك لآية للمؤمنين]\*  
—٧٥، ٧٧/الحجر—

وقد سبقت الاشارة الى هذه الآية في بداية الموضوع .. فالقرآن يستمر في هذا النحو من الحث على التفكير والتدبر واستخدام الذهن فيما يفيد الانسان والمجتمع والعالم بأسره بالتفكير الجذري فيما هو صالح ، وان عجز الانسان ان يرحل الى الافق فلينظر الى نفسه وما انطوى فيها من المعاجز وال عبر.

يقول تعالى:

\*[سنريهم آياتنا في الافق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم انه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد]\*

—٥٣/فصلت—

اما الأحاديث التي تتحدث عن ذلك فهي الأخرى كثيرة ومتواترة .. ففي الرواية التي يؤكد فيها الامام علي(ع) وجوب ايقاظ القلب وتنبيه العقل بالتفكير وما يحتاج في ذلك الى ارادة وتصميم نجد فيها جوانب مختلفة تتعلق بايقاظ الاحساس واعمال الوجدان يقظة واعتباراً.

يقول الامام(ع)

□(تبه بالتفكير قلبك، وجاف عن الليل جنبك—أي لا تنم كل الليل—واتق الله ربك) □

وجاء في حديث آخر:

□(أفضل العبادة امعان التفكير في الله وفي قدرته) □

وفي حديث ثالث:

□ (طوبى لمن كان صمته فكراً، ونظره عبراً، وكلامه ذكرأً، وسعى وبكى على خطبته وسلم الناس من لسانه ويده) □

ويروي عن الامام الصادق(ع) انه قال:

□ (الخير كله في ثلاثة خصال: النظر والسكوت والكلام. فكل نظر ليس فيه اعتبار فهو سهو) □

يعنى اذا رأى الانسان أوساخاً في الشارع فليذكر بأن النظام حق، وان النظافة من الابيان ولنعتبر ما يرى، واذا ما شاهد حادث اصطدام سيارتين فلينظر اليه بعزة لا على اساس أنه قضاء وقدر فحسب، وانما عن الأسباب حيث أخل السائق بقانون المرور أو أحد أنظمة السين، وهكذا في مختلف القضايا.

□ (وكل سكوت ليس فيه فكر، فهو غفلة، وكل كلام ليس فيه ذكر فهو لغو، فطوبى لمن كان نظره اعتباراً، وسكتوه فكراً، وكلامه ذكرأً، وبكى على خطبته، وأمن الناس شره) □

## ٥ - التفكري يهدم الحواجز

حينما يطلق المؤمن العنان لعقله بالتفكير بحثاً عن الحقيقة فان الحواجز تنهار امامه، والمحجب تتمزق، فهو لا يعترف بالاغشية، وانما يخترقها سعيأً وراء الهدف، بينما تقف الغفلة حاجزاً بين الكافر ومراده وتأتي بعدها الشهوة حجاباً آخر اضافة الى غشاوة الجهل.

وإذا أراد المؤمن أن يقيّم أمراً من الأمور عرضه على عقله وتحدى كل الحواجز والعوائق وسلط عليه أضواء الفكر السليم ثم يعطي رأيه فيه دون تلوكه، أو خوف من تهديد بالضرب، أو الشتم، أو القتل.

فهو يفكّر بعيداً عن الخوف، أو الحب والكراهيّة، وبكلمات أخرى يتجرد من كل العلاقات الماديه، ثم يقيّم الحوادث.

وعلى سبيل المثال.. فأنا كمسلم أتمنى أن تنتصر جيوش الإسلام، وكل القوى الإسلامية، وتهزم كل قوى الكفر والالحاد والاستكبار العالمي – ان شاء الله تعالى۔

ولكن لا يكفي هذا وحده، اذ انه لا تدرك الغايات بالتمني ولا بالحكم على الاشياء، وإنما تدرك الغايات ويصح الحكم على الحوادث باستقاء المعلومات الصحيحة واعتماد الواقع بذاتها، فالنظام الفاسد لن يسقط لأنني اكرهه، وذاك الخائن لن يموت بمجرد غضبنا عليه، والعدو لن يعدم لمجرد اني لا أحبه. (ما كل ما يتنمي المرء يدركه، تخري الرياح بما لا تستهوي السفن).

فالمؤمن اذن عند تقييمه للحوادث، لا ينطلق من الحب والبغض والشهوة، أو الغفلة والجهل، وإنما يقول الحق ويتبع المنهج الإسلامي السليم في التفكير ليصل إلى جوهر الحقيقة:

#### ● رابعاً: الاجتهاد

بقي أن نستعرض اجتهاد المؤمن في أداء العمل كعنصر ذاتي في مكونات الشخصية الرسالية. فالمؤمن لا يكتفي بشيء من الاعمال، وإنما يختار أفضلها، هذا من ناحية الكيف. أما من ناحية الكم فانه لا يقوم بجهد مبتور، ذي بعد واحد، وإنما يحرص على أن يؤدي أكثر ما يمكن من العمل، ويقوم بأكبر قدر من الاعمال المختلفة.

اما دافع المؤمن الرسالي نحو الحركة والعمل فهي تتلخص فيما يلي:

## ● أ— تحطيم الأغلال

فالمؤمن يتحدى كل العقبات التي تتعرض طريقه في السعي والتحرك، لأنه أعد لكل عدو سلاحاً، فالجبن أعد له التوكل، والخوف استعان عليه بالثقة بالله وبالمستقبل، ومغريات الدنيا استعد لها بقوّة الإرادة ونعيم الآخرة، ولو لم لا الثمين ومدح المادحين أو الأغلال الاجتماعية الأخرى تسلح ضدها باليقين، فلا يخاف في الله لومة لائم، كما لا يثنى مدح المادحين عن الاعتراف بعيوبه ونقائصه.

فالمؤمن بطبيعة كالنور حيث طبيعته الارشاد والانتشار والاضاءة، وقد جاء في الحديث أن طبيعة الانسان نورية!

فمن طبيعة الانسان الحركة، وان الأغلال التي ختمت على اعناق الناس هي التي اركنتهم الى الجمود، فلما جاءت رسالة الاسلام وضفت عنهم هذه القيد.. يقول الله سبحانه وتعالى:

\*[الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، وخلّ لهم الطبيات وحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم]\*

— ١٥٧ —

فإذا تخلص المؤمن من أغلاله عاد كالنور دائم الحركة لا يكمل، ولا يميل، ولا يكسد، ولا يفشل.

## ● ب— كيف نتفقى سوء المصير؟

فالمؤمن متلهب القلب مشتعل اليقين يقظ الضمير وصاحب حاجة، إنه مشغول باتقاء النار لنفسه وأهله وذويه يقول تعالى:

\*[يا ايها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقدها الناس والحجارة...]\*

—٦/التحرير—

فهو دائمًا يرفع يديه بالدعاء ضارعاً إلى الله سبحانه وتعالى:

\*[ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار]\*

—٢٠١/البقرة—

ويظل أبداً كالمدود وكالملاحق الذي تطارده السبع فيجهد نفسه إلى أن يصل إلى مأمن يقيه شرّ أهلكات، فهكذا يتحرك المؤمن.

\*[واعبد ربك حتى يأتيك اليقين]\*

يروي زيد بن علي عن أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام، فيقول:

((كان أبي يصلّي الليل إلى الفجر، فإذا أصبح الصباح يذهب إلى فراشه حبوأ)).. لأن ساقه لا تحمله فقد استهلكت طاقتها في الوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى، لأنه يبحث عن شيء، فقلبه متوجه.

اما غير المؤمن فإنه يكسل و يبرر نومه طول الليل، بأن الملائكة ستصلّي عنه، ويتقاعس عن الجهاد ويدعى بان الله ورسوله سيكتفيانه، ويندد القرآن بأمثال هؤلاء حيث يستنكر مقالة بنى اسرائيل لموسى:

\*[فاذهب أنت وربك فقاتلا أنا هنا قاعدون]\*

—٢٤/المائدة—

فغير المؤمن يبرر تهرباً من العمل، ويكتب أن طلب منه عمل ويسمي ذلك كذباً ابيض، ويكسل ثم يتبعي المرض أو الصداع أو النسيان أو يتذرع بمختلف المعاذير المختلفة وغير الواقعية.

ان المؤمن لا يعتذر، لأنه لا يخطئ، ولا يكذب، ولا يغدر، ولا ينكث، فهو مقيد بقيم.. ومجتهد في العمل لانه هادف، ثم هو لا يريد أن يأكل حراماً، وإنما يحاسب نفسه على اللقمة من أين وكيف جاءت؟

## ج - النزاهة ومحاسبة النفس

ان المؤمن لا تجذبه الشهوات عن أهدافه، ولا تلهيه نفسه عن آخرته فهو نزيه ودقيق في تصرفاته، حول نومه وأكله وصلاته ومكان صلاته، لا يريد أن يدخل الغضب في شيء من أعماله فيحبطها، أو يأكله ولباسه فيحرقه.

يروى ان داود(عليه السلام) الذي كاننبياً ملكاً، كان يطوف في ولايته متذمراً يتعرف احوال عماله ومتصرفيه، فاستقبله جبرائيل ذات يوم على صورة آدمي، وسلام عليه، فرد داود السلام، وسألة قائلاً: ما سيرة داود؟ فاجاب جبرائيل: نعمت السيرة لولا خصلة فيه. قال: وما هي؟ اجاب جبرائيل: انه يأكل من بيت مال المسلمين، فشكراه وأثنى عليه وقال: لقد اقسم داود انه لا يأكل من بيت مال المسلمين، فعلم الله سبحانه صدقه، فألآن له الحديدة، كما قال تعالى:

\*[ألتا له الحديدة]\*  
—١٠/سبأ—

فكان داود النبي يصنع الدروع ويبعثها ويقتات منها.

هكذا يتصرف الملك داود الذي يحق له شرعاً أن يأكل من بيت المال. اما ملوك اليوم فانهم يأكلون بيوت المال ذاتها، ويسرقون العباد والبلاد ارواءاً لشهواتهم وزواياهم الشيطانية.

وكتير من فقهائنا رضوان الله عليهم كانوا يعملون، اما بالزراعة او الحنيطة او البيع والشراء، ويقتاتون عن هذا الطريق. وكان الجميع يحرصون على محاسبة أنفسهم

كي يغدون على الله تزريهين. ان هؤلاء العظاماء لا يأكلون من بيت المال رغم ان لهم الحق في ذلك، ولكنهم يتغفرون و يتحرجون فيعمل واحدهم ليلاً أو نهاراً ليحصل على قوته وقوت عياله وأثاث منزله ويردد في ضميرة .. «فاز المخفيون» !

بينما الآخر غير المؤمن، يقول: (الحلال ما حلّ باليد) ويملاً بطنه ناراً من أموال اليتامي أو من أموال السلاطين وحكومات الجور بالتزلف إليها ومن أموال الغش والغدر والخيانة والاحتكار والعياذ بالله.

فلنلتزم بالقرآن وأياته البينات في العمل الصالح، ولنستضيء بما جاء في الأحاديث النبوية والروايات المنسوبة لأهل البيت عليهم الصلاة والسلام، ولنجعل أوقاتنا معمورة بذكر الله سبحانه وتعالى وجوارحنا مشغولة بالصالحات من الأعمال فان الباقيات الصالحة.

ولو طبقنا على أنفسنا هذه الصفات وتحلينا بالحصول الاربع التي ذكرناها هنا لبناء الشخصية الرسالية لأصبحنا كما يريد الاسلام.



# الثورة الاسلامية وأزمة الحضارة البشرية

- تسعى الثورة الاسلامية لبلغ أهداف محددة وثابتة، وقد يطرح في هذا المجال سؤال حول ماهية هذه الأهداف؟

وعادة يسعى المتحدثون الى المبادرة بالاجابة على مثل هذا السؤال ببيان صلاحية الانظمة الاسلامية وتعداد ميزات التشريع الاسلامي القضائي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي، واثبات عدم صلاحية النظم الأخرى وما فيها من ثغرات وهنات.

الا أننا نرى أن الحديث قد أشبع في هذا المجال بما لا يدع مجالاً جديداً، ولهذا فاننا نتجه اتجاهآ آخر للاجابة على سؤال: ما هي الأهداف التي تسعى الثورة الاسلامية لبلوغها وتحقيقها..؟

ونريد أن نجيب عليه اجابة فلسفية لا تتصل بتشريع أو قانون معين، وإنما تتجه نحو توجيه كافة القضايا التي لها صلة بهذا الموضوع لتحديد الخطوط العريضة للثورة الاسلامية وأهدافها السامية، وقد يستغرق هذا البحث الفصول الباقية من هذا الكتاب.

## • أزمات العالم المعاصر

هناك حقيقة لابد من الاشارة اليها قبل التوغل في موضوعنا، وهي أن عالم اليوم يعيش أزمات حادة تحولت الى أمراض مزمنة في جسد البشرية، واستعصى حلها على النظم<sup>(١)</sup> القائمة، وفشلت كل الجهد في استئصالها، كأزمة العدالة الاجتماعية أو الظلم الاجتماعي الذي ساهمت كل النظم الأرضية، وكثير من المؤسسات والمدارس الاجتماعية لوضع الحلول والاطروحات لمعالجتها ولكن دون جدوى.

وهناك أزمات الحروب المتفجرة هنا وهناك، والتي تهدد العالم أجمع بحرب كونية تستخدمن فيها الرؤوس النووية التي لا تبقي ولا تذر، ومازال العالم كلما حاول التخلص من حرب الا وترتبط في أخرى حتى أصبحت الحرب وصمة عار في جبين الحضارة المادية الحديثة.

اما الأزمة الثالثة فهي مشكلة التخلف الذي ما زال يعاني منه الانسان بشدة في معظم بقاع المعمورة، والذي يسهم بدوره في خلق العديد من المشاكل والأزمات الجانبية الأخرى.

والازمة الرابعة هي مشكلة «الفراغ الروحي» الذي ترك بصماته واضحة حتى في المجتمعات التي تعتبر نفسها متقدمة جداً!

والسؤال الذي يبرز في هذا المضمار هو: هل تستطيع الثورة الاسلامية أن تعالج أمراض البشرية اليوم وأزماتها..؟ أي هل تستطيع أن تعيد التوازن والثقة لانسان الجاهلية الحديثة؟ وهل تستطيع القضاء على التخلف المزمن..؟ وهل بامكانها أن

---

(١) لقد درج أسلوب الصحافة اليوم على استعمال كلمة الأنظمة للتعبير عن الحكومات القائمة لذلك استخدمنا كلمة (النظم) للدلالة على النظريات المعمول بها في عالم السياسة والاقتصاد والمجتمع الخ...

تنهي الحزوب كظاهرة مدمرة تهدد البشرية بالفناء..؟ وخيراً هل في مقدور الثورة الاسلامية أن تضع حدأً للظلم الاجتماعي، وأزمة العدالة القائمة في المجتمعات اليوم..؟ ان الاجابة على هذه الاسئلة الحائرة تشكل القسم الأكبر من الاجابة على السؤال الاول حول أهداف الثورة الاسلامية، لذلك فان الاجابة عليها تفرض علينا أن نحدد كل واحد من هذه الأمراض ثم نحدد كيفية معالجة الاسلام له بشكل تفصيلي.

ومن دون معرفة عمق المأساة في كل قضية، لا يمكننا أن نعرف كيف تتم معالجة الاسلام لكل قضية، وبالتالي كيف يستطيع الاسلام أن ينقذ الانسان مما يعاني اليوم..! ولابد من ذكر بعض الحقائق الهاامة هنا:

### ● الحقيقة الأولى

ان الاسلام في معالجته لأي قضية من القضايا لا يعتمد على جانب واحد من جوانبه، أو بعد واحد من أبعاده فهو لا يملك تشريعاً محدداً لقضية بعينها، بل حتى لو ملك مثل ذلك فان هذا لا يعني أن لا يشرك الأبعاد الأخرى في علاج هذه القضية، وبكلمة اخرى ان الدين والتشريع الاسلامي كل لا يتجزأ ولا ينفصل بعضه عن بعض، ولو فعلنا ذلك لكان كمن لا يعمل بالاسلام أصلاً، فقد قال الله سبحانه وتعالى:

\*[أفتهمنون بعض الكتاب وتکفرون بعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا، ويوم القيمة يرثون الى أشد العذاب]\*  
— البقرة /٨٥ —

ذلك ان الاسلام وهو يعالج أزمة التخلف في البلاد النامية، مثلاً وهو مرض شامل مزمن ومتجدر في كل دول العالم الثالث، فانه لا يتعامل معها بتشريع واحد أو كلمة واحدة، وإنما يتعامل معها بكل مناهجه العقلية، وتربيته السلوكية وقوانينه الاجتماعية وتشريعاته الاقتصادية والسياسية الخ...

فمشكلة التخلف في الواقع ليست مشكلة واحدة، وإنما هي آلاف المشاكل، وإنما

اطلقت كلمة «التخلف» بجازأً للتعبير عن مجموعة المشاكل التي يعاني منها البلد المتخلف، وكما أن الصداع أحياناً ليس وجعاً واحداً في الرأس يعالج باقراص «الاسبرين» وحسب، وإنما هو نتاج ضعف عام في الجسم كله يجب أن يعالج ببرنامج غذائي وطبي متكامل، وكذلك التخلف يجب أن يعالج في البلاد النامية ببرامج الاسلام كافة لأن كل جزء من الاسلام يعالج ناحية في التخلف، وبالجملة يعالج المجموع.

فالخلف الثقافي مثلاً يعالجه الاسلام بتوجيهه الأفراد للعلم والبرامج الثقافية الخاصة وال العامة وتوجيهه المجتمع للتمحور حول العلم واحترام العلماء.

والخلف الاقتصادي يعالجه الاسلام بالتوزيع العادل للثروة، وفك القيود عن نشاطات الانسان وطاقاته وتوجيهه نحو السعي، ثم سن القوانين التي تبحث قضياباً التنمية والاقتصاد زراعياً وصناعياً وتجارياً!

والخلف الصحي يعالجه الاسلام بثبات القوانين التي تعالج جسم الانسان سواء منها ما كان وقائياً أو علاجياً بشكل فردي أو اجتماعي.. الخ.

فالاسلام ككل يعالج التخلف ككل، وليس جزء من الاسلام يعالج ناحية من التخلف، فعلاج جزء من التخلف لا يعني تخلص البلاد من التخلف عامه.

فاننا نجد في بعض البلدان مثلاً تقدماً صحيحاً، الا أنها ترفل في أغلال أخرى من التخلف كسكنى جبال القوقاز—على سبيل المثال—فهم أطول الناس عمرأً في العالم، ولكنهم مع ذلك لا يعتبرون من الشعوب المتقدمة، وإنما هم في حظيرة العالم الثالث. فالخلص من أحد اعراض المرض لا يدل على استئصال المرض.

اذن فلابد من الاسلام كله لمعالجة الأزمة كلها!

## • الحقيقة الثانية

اننا لا نحتاج الى كثير من العناء لتبيان أن الاسلام شيء، والمسلمين والمنتدين

اليه — في الواقع — شيء آخر، اذا لا يمكن لأحد أن يقيس الاسلام بمارسات المسلمين . — كما يحلو للبعض أن يفعل — لاسيما الغرب — فتطبيق المسلمين لكل التعاليم الاسلامية غير موجودة في عالمنا الاسلامي من جهة، ومن جهة أخرى لا يمكن أن يتحقق ذلك بين عشية وضحاها ، اذا ما أردنا تطبيقها بكل نزاهة واحلاص .

وان كنا نذكر هذا فيما مضى ، فاننا اليوم نعيد التذكرة بهذه الحقيقة بمناسبة قيام حكومة اسلامية في ايران ، مع وجود كثير من المشاكل التي ورثتها من الحكومات السابقة ، ومع وجود المجتمع الذي لا تزال فيه رواسب عديدة من العهد الجاهلي الشاهنشاهي المقبور .

وامام الأمة طريق طويل حتى تتمكن من تطبيق كافة القوانين والتعاليم القرآنية في ظل هذه الحكومة ، ثم قد يجوز لنا بعدئذ ان نقيس الاسلام بهذه الحكومة أو هذا المجتمع ، أما الآن فعلينا أن نفهم الاسلام من خلال القرآن الكريم ومن خلال الأحاديث الثابتة عن رسول الله(ص) لأن الأول لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والثاني لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ! وأما البشر فانهم يخطئون عمداً، أو سهواً الا من عصمه الرحمن وكاننبياً واماماً ، فان البرنامج القرآني المتكامل بقدوره أن ينقذ البشرية ، ونستطيع أن ثبت ادعائنا هذا من خلال التقييم الموضوعي للقضية ، وليس من خلال تقييم ذاتي لها ! ففي التاريخ تجارب لتطبيق الاسلام تستطيع أن تكون تجارب محدودة بالنسبة لتلك المرحلة التاريخية والظرف التاريخي ، وبالنسبة لتلك الشريعة التي طبقت في ذلك الظرف وعاجلت مشاكل المجتمع ذلك اليوم .

وهذا هو المنهج العلمي الصحيح في فهم كل مبدأ أو قضية ، اذا يكفي من الرصيد العملي للإسلام تجربة الرسول الاعظم(ص) وتجارب الصدر الاسلامي الاول ، بمعنى اذا قلنا ان الاسلام يقضي على الفقر او يبني المجتمع الموحد المتماسك فنضرب على ذلك مثلاً ما جرى في الجزيرة العربية حينما طبق الاسلام فيها بأمانة واحلاص على يد القائد الفدّ ، وكيف استطاعت الجزيرة الفقيرة المفككة الأول وصال أن تقفز مرة

واحدة خلال فترة قياسية من وهذه الفقر والفاقة، وغضيض التمزق والصراع الى مستوى مناسب من العيش الرغيد والرخاء والقوة الذاتية الناجحة عن وحدة الصنوف وتلامح الأيدي، وهذه التجربة تكفي لاثبات قدرة الاسلام على فعالية قوانينه وصلاحيتها.

اما اذا أردنا أن نأخذ على الاسلام ما فعله المسلمين سابقاً أو ما يفعلونه اليوم بما يجري في هذه البلاد أو تلك، فان ذلك بعيد عن الموضوعية ويدخل ضمن المؤثرات اكثر مما يدخل ضمن نطاق البحث العلمي الدقيق.

### ● الحقيقة الثالثة

هي أننا حين نقول بأن الاسلام يعالج هذه المشكلة، أو تلك فان كلامنا هذا يشبه الى حد بعيد قولنا بأن الطبيب الفلاني يستطيع أن يعالج المريض الفلاني..! لأن هناك شرطاً عقلياً غير مذكور في الكلام، اذ لا يذكر عادة، واما تكتفي بالمشورة على صاحبك أن يذهب الى أخصائي العيون مثلاً لعلاج عينيه والشرط العقلي الذي لا تذكره هو انه يستطيع علاجه اذا ما قام باتباع نصائح الطبيب والعمل بكل التعليمات التي وضعها له والأدوية التي كتبها علاجاً لعينيه فان لم يفعل ذلك، فما جدوى ذهابه الى للطبيب، وماذا يمكن الطبيب أن يفعل آنذا؟

وهكذا الأمر حينما نقول أن الاسلام يعالج مشكلة الانسان، فان هذا القول لا يعني أن الاسلام ليس سوى قرآن كريم يوضع في الجيب أو نسلوه كما نسلو جريدة الصباح دون اتباع تعاليمه، واما يعني أن نطبق الاسلام على أنفسنا فنلتزم بمبادئه وقيمته ثم يتحول بالنسبة لنا الى برامج، نصب فيها اهتماماتنا وحيويتنا ونشاطاتنا ونطبقها عبر تحركاتنا وجهادنا، وأنذا يمكن لنا القول بأن الاسلام كفيل بحل مشاكلنا والقضاء على أزماتنا وانفاذنا والبشرية جماء ما يكتبنا من الأغلال والقيود.

وفيما يلي من الفصول سنحاول ان شاء الله الاجابة على كيفية معالجة الاسلام

لكل أزمة من أزمات الحضارة الراهنة، وبالتالي تحديد أهداف الثورة الإسلامية السامية.



## الفصل الخامس:

- كيف يعالج الاسلام مشكلة التخلف؟
- الاستقلال منطلق التقدم الرسالي
- برنامج الاسلام للتقدم الحضاري
- الحضارة الاسلامية من أجل الانسان (١)
- الحضارة الاسلامية من أجل الانسان (٢)
- كيف يعالج الاسلام مشكلة الحرب؟



# كيف يعالج الاسلام مشكلة التخلف؟

## • الاسلام ومشكلة التخلف

• حاولت البشرية أن تczف على المشاكل التي تواجهها وان تقضي على الأزمات الحضارية التي تعانيها بختلف الوسائل والتحديات فلم تفلح، بل ازدادت انتكاسات البشرية وتراكمت مشاكلها دون التوصل الى مخرج.

ومع نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس عشر الهجريين وجدت البشرية نفسها أمام سؤال كبير هو: أمن آن الأوان للتخلص من هذه الأزمات؟

ولكن الانسان ينسى باستمرار أنه هو نفسه سبب الأزمات، اذ لا يلتفت الى أنه قد انحرف في المسيرة مما أدى الى كثير من المفاسد والشرور وظهور المآزرق والمشكلات، فالله سبحانه وتعالى يقول:

\* ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليديفهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون \*

ونحن نطرح سؤالاً آخر: هل هنالك علاج لمشاكل الانسان فوق الأرض أم خلق الانسان ليجر معه الويلات و يذوق العذاب في الدنيا قبل الآخرة..؟ وهل خلق الله الانسان ليرحمه، أم ليعذبه؟.

وبالنسبة لنا نحن المسلمين، فاننا نرى ان هناك برباجاً ومنهاجاً سماوياً لرجمة الانسان اذ ما جاء رسول الله (ص) إلا رحمة للعالمين، وما نزل الكتاب إلا هدى وبيانات للذين آمنوا، وما التقوى إلا مخرج للانسان من المشاكل كلها، وان دين الله أوسع وأبعد جداً من كل المشاكل التي ت تعرض الانسان، وان الدين قادر على ان يقود سفينة البشرية في عصر الجاهلية الحديثة، والذي بدأ في أمواج القنابل الذرية والحروب النووية تهدد العالم بالفناء رغم المظهر الذي يغلف هذه الجاهلية بغضاء رقيق من العلم الذي يغزو يضر.

ونحاول في الصفحات القادمة ان نجيب على السؤال السابق باذن الله تعالى، علماً بأننا لاندعى احاطة الموضوع بحثاً لأنه بحاجة الى دراسات مطولة، ولكن حسينا ان نطرق الباب لنضع الخطاوة الأولى في هذا الطريق ثم يأتي الباحثون والمفكرون الاسلاميون ليكملوا النهج بحوله تعالى.

## • التخلف مؤساة حضارية

من أعقد المشاكل وأبرزها في عالم اليوم هي مشكلة التخلف التي تبدو أكبر من غيرها ، فالعالم –اليوم – ينقسم الى عالمين هما: عالم متخلف وعالم متقدم ، وكما يقسمه المراقبون الدوليون الى «الشمال» تعبيراً عن العالم الغربي المتقدم و«الجنوب» تعبيراً عن العالم المتخلف.

والى يوم لم تعد الحواجز القائمة بين البشر حواجز طبيعية كالجغرافيا واللغة والدين والعنصر، وانما أصبحت (التكنولوجيا) سبباً للتقارب او التباعد بين المجتمعات.

فإذا كانت الروابط – التي تقرب الشعوب والدول لبعضها – تمثل سابقاً في الحدود الجغرافية واللغة والدين والعنصر، فإن هذه الروابط اليوم لم يعد لها قيمة تذكر، إذ لم تعد الشعوب المترابطة جغرافياً أخوة مثلاً، ولا حتى نظرة لبعضهم..!

وعلى سبيل المثال نجد أن أمريكا الجنوبيّة بالنسبة لأمريكا الشماليّة أبعد عنها من اليابان التي يفصلها عنها المحيط الهادئ أكبر المحيطات في العالم!! والسبب في ذلك أن المصلحة التي تربط اليابان بأمريكا الشمالية هي صلة (التقدّم التكنولوجي) وليس التقدّم العام في كل الميادين، بينما لا يوجد بين الامريكيتين غير صلة الجغرافيا، ولاشك أن الأولى أعمق وأمنّ من الثانية في عالم اليوم.

كما نجد أن جنوب إفريقيا وإسرائيل أقرب إلى الدول الأوروبية الغربية من الدول الأوروبية الشرقية أو من بعضها البعض! لأن الصلة الجغرافية أو الدينية لم تعد حاسمة وذات تأثير.

فالبابانيون والإسرائيليون لا يتحدثون الإنجليزية، ولا يذهبون إلى الكنائس أيام الأحد من كل أسبوع، ولا يعتقدون بالبابا القابع في الفاتيكان، ومع ذلك فهم أقرب إلى أوروبا الغربية وأمريكا، من المسيحيين في الهند مثلاً أو المسيحيين الأفارقة..!

ونفس المقياس يمكن أن ينطبق على اللون والعنصر فهذه الصلات هي الأخرى لم تعد اليوم قائمة في العالم بقدر ما لصلة التقدّم عموماً، من تأثير في تقارب الدول المتقدمة..!

## • لعبة الوفاق وتقسيم الغنائم

هذا جانب من الحقيقة، أما الجانب الآخر فإنه بالرغم من انقسام العالم إلى المعسكرين الغربي والشرقي، فإننا نستطيع أن نجزم مؤكدين بأن القوى العظمى التي تقدمت علمياً وصناعياً وعسكرياً باتت محرص على مصالحها وتقوم بلعبة الوفاق

الدولي لتقسيم مناطق النفوذ في العالم، وللعمل ضد مصالح الشعوب المستضعفة والفقيرة.

لذلك فانهم يبادرون الى الاجتماع في مجلس الأمن والاتفاق مثلاً على ادانة ايران، حينما بادرت الجمهورية الاسلامية باتخاذ خطوتها الجريئة لتحرير الشعب العراقي من بطش الظلم العفلقي الغاشم، فأدانت الدول العظمى ما أسمته (بالتدخل الايراني في العراق) في حين أنهم لم يبادروا — قبل ذلك — الى ادانة بقاء القوات الصدامية المحتلة في الأراضي الايرانية لمدة تزيد على ٢٤ شهراً.. لماذا؟ لأن مصالحهم تلتقي في مواجهة الزحف الاسلامي وابقائه داخل حدود صيغة.

ومن يستطيع ان يقول أن الولايات المتحدة غير راضية عن غزو الاتحاد السوفيتي لأفغانستان، أو أن الاتحاد السوفيتي ليس موافقاً حتى النخاع على الاحتلال الإسرائيلي للبنان.

لقد باتت هذه القضايا بدبيهة لفرط وضوحها، فهم يتفقون على اقتسام الغنائم قبل أن يبدأوا بالفعل استلامها.

من هنا فان المعسكرين الذين يمكننا أن نقسم العالم ضمنهما بصورة واضحة فهما معسكر الشمال والجنوب.

فالاول: يتمثل في الدول المتقدمة الصناعية ويشمل محور اليابان ودول أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية والاتحاد السوفيتي وحلفائه.

والثاني: يتمثل في بقية دول العالم التي تقع خارج هذه المحاور.

واما حول التسمية التي أطلقوها على الدول المتخلفة وشارعت في لغة الصحافة والاعلام، حينما راحوا ينتونها بالدول الناشئة والجديدة وبالذات لفظة «النامية» فان من الواضح أنهم يتلاعبون بالألفاظ والعبارات كيلا نشعر بعمق المأساة والتخلف، ولا نتسائل عن سبب تقدمهم وتخلفنا، ولا تحول الهزيمة النفسية اذا ما تحسستها الى

دافع يفجّر فينا روح التحدى والرفض للواقع المزري، مما يجبرنا نحو الثورة والتغيير من أجل الحرية والخلاص والاستقلال، لذلك أوجدوا لنا تعبيراً مهذباً عن الفقر والتخلف، وقالوا: «الدول النامية».

## ● المقاييس الجامدة والجزئية

لو كان في هذه الدول (النامية) تحرك ونمو، فاننا لانستطيع ان نقيس حالات «التخلف والتقدم» بقياسات جامدة أو جزئية، أي لانستطيع ان نقيس الحالة في بلدنا دون مقارنتها ببلد آخر أو البلدان الأخرى لأن حد القياس في هذه الناحية مفقودة.

لنضرب مثلاً لذلك لكي تتوضّح الفكرة، أتنا حينما نركب سيارة تسير بسرعة ثمانين كيلومتراً في الساعة، فاننا نعرف مقياس السرعة –والذي يُسمى حد القياس– وهو أن السيارة التي تسير بسرعة صفر كيلومتر في الساعة تعتبر واقفة، بينما أي سرعة أخرى فوق الصفر يعني أن السيارة تتحرك، بينما في مقياس التخلف والتقدير نحن لا نملك مثل هذا المقياس الثابت، هذا من جانب ومن جانب آخر فاننا اذا ركبنا السيارة وسارت بنا بسرعة ثمانين وابعدنا من المكان الذي كنا فيه لاشك أنها قد تقدمنا عن ذلك الموضع بعد ثلاث ساعات بمسافة كبيرة، إلا ان السيارة الأخرى التي تحركت معنا من نفس النقطة وبسرعة مائة وعشرين كيلومتراً في الساعة فانها قطعت مسافة أكبر مما قطعناه في نفس الفترة.

وبلغة الأرقام فاننا قطعنا (٢٤٠) كيلومتراً، في حين ان السيارة الثانية قطعت (٣٦٠) كيلومتراً، ولو أردنا أن نقطع نفس المسافة أي (٣٦٠) كيلومتراً فاننا نحتاج لساعة ونصف أخرى من السيارة، وعندها تكون هي قد قطعت (١٨٠) كيلومتراً إضافية، أي قطعت مسافة كلية قدرها (٥٤٠) كيلومتراً!! فهل نستطيع اللحاق بها بهذه الصورة وبهذه المفارقة؟. بالطبع لانستطيع بل حتى لوزدنا نحن سرعتنا حتى

صارت مثل سرعتها أي (١٢٠) كيلومتراً في الساعة فان الفارق بيننا يظل (١٨٠) كيلومتراً مهما قطعنا من المسافات، إلا اذا خفت هي من سرعتها أو زدنا نحن في سرعتنا.. أليس كذلك..؟ هل ذلك مثل هذا القياس بالنسبة لحالات التقدم والتخلف في المسيرة الاجتماعية والحضارية؟ بالطبع كلا، ولكن نستطيع أن نقارن بين دولة وأخرى.

فإذا كانت الدول المتخلفة تحظى بنسبة عالية من الأمية مثلاً، فإن بعض الدول المتقدمة قد اختلفت منذ زمن بعيد بموت آخر أمريكي من شعبها.. فإذا ما أستطاعت أن تتغلب هذه الدول المتخلفة على الأمية فتفصي عليها مثلاً، فإن تلك الدولة المتقدمة قد استطاعت أن تجعل كل شعبيها بين جامعي وفني وخبر متخصص.

## ● الاهتمام بالجوهر .. لا المظاهر

ان القياس المستعمل اليوم بين الدول، مقياس خاطيء لأنه يهتم بالظاهر دون الجوهر.

يقولون ان الدول المتخلفة هي التي تبلغ نسبة الأمية فيها نسبة عالية أو ريفها غير مكهرب، أو تنتشر فيها الأمراض والأوبئة لعدم وجود المياه الصالحة للشرب، أو لتدور الوضع الصحي والطبي فيها، أو هي البلاد التي تعتمد على الزراعة في اقتصادها أو لا يزيد الدخل الصناعي عن ٣٠٪ من دخلها العام، فهل هذه السمات والمظاهر هي القياس الحقيقي فعلاً لمعرفة التقدم والخلف؟ أم هي مقاييس خاطئة؟

ان هذه الأمور ليست هي القياس، فالأممية موجودة في أمريكا ذاتها وبنسبة لابأس بها، فهل هي دولة متخلفة؟ كلا.. والصناعة أيضاً ليست هي القياس، فان دولة كسنغافورة أو هونغ كونغ صناعيتين لا زراعة فيها، فهل هما من الدول المتقدمة؟ أبداً! انها صناعة تجارية، صناعة الأجنبي الذي يأتي بالمواد والخبرات والآلات ثم يجمعها في البلاد تماماً كما صنع الشاه المقصور في ايران، وكما يصنع كل

**الحكام الذيليين للتظاهر بتصنيع البلاد!**

لقد توقفت الصناعة التجميعية في ايران حينما سقط الشاه، وهذا المصير ينتظر المصانع الأخرى في الدول الذيلية الأخرى حينما يذهب حكامها العمالء!!

لقد كانوا يأتون بالمواد الخام من الخارج كالزيوت النباتية التي كانوا يستوردونها لكي تُعلب في ايران ثم يكتب عليها (صنع في ايران) ثم تصدر الى دول الخليج.. ونفس الشيء بالنسبة للدجاج الايراني في عهد الشاه المغدور حيث كانوا يستوردون الأعلاف والآلات والأوتوماتيكية والكتاكيت من الخارج، ثم تبني الحظائر في ايران، وتربي فيها الكتاكيت حتى اذا كبرت بعد شهرين ذبحت وكتب عليها «دجاج ايراني»! فأي دجاج ايراني ذاك الذي يشرف عليه طبيب اجنبي ويطعم بأدوية أجنبية وكل شيء فيه من الخارج؟ هل أصبحت الدجاجة، ايرانية لأنها تنفست هواء ايران وشربت الماء الایرانی..؟

وأيضاً ليس مستوى الدخل القومي هو المعيار، فدول الخليج ودول الأوبك عموماً لم تستطع أن تكون دولاً متقدمة مجرد أن بلغ دخل الفرد في ابوظبي، أعلى نسبة في العالم!! لأن هذا لو كان تقدماً لما جاز أن ينخفض هذا المستوى مجرد هبوط أسعار النفط في العام! فما دامت هذه الدولة لا تملك زراعة ولا صناعة ولا خباء ولا كواذر، فماذا يفيدها هذا الدخل القومي المرتفع؟

ان التخلف قضية نسبية، أي بالمقارنة مع الدول الأخرى، وحسب مقياس شامل، ونحن نستطيع أن نتخذ من الدول المتقدمة في هذا المجال مقياساً لا لظواهر المسألة، وإنما لقضية أساسية توفر لديهم بنسبة أو بأخرى.

فلو استطعنا أن نكون مثلهم أو أقل منهم قليلاً أو أكثر قليلاً في المستويات المختلفة، تعليمياً، وعسكرياً، وسياسياً، واجتماعياً، واعلامياً، و مختلف الشؤون المرتبطة بحياة الانسان وفي لحظتنا هذه آئذ نعتبر أنفسنا متقدمين!

وإلا فإنه ليس تقدماً اذا قيل أن العرب سيصلون الى القمر وقد وصل الآخرون الى المريخ !! وليس تقدماً اذا ادعى تاaffe كصدام بأنه قضى على الأمية في شعبه تماماً وهو يستورد العمال والفنين من كوريا والفلبين ومصر والهند والباكستان و... وبالاضافة الى الخبراء الروس والأمريكانيون والأوروبيون الذين تجاوز عددهم عشرات الألوف منتشرين في العديد من الشركات الأجنبية والدوائر الحكومية.

اننا لن تخدعنا الأرقام والمظاهر، وإنما تعرف الأمور بأشباهها فلابد أن نقيس «التقدم والتخلف» بالمقارنة مع سائر الدول في العالم لأن المسألة نسبية كما قلنا.

## • لماذا التخلف..؟

ويسأل البعض: لماذا تختلف دول، وتتقدم دول أخرى؟  
ونحن نسأل: هل يفيينا مثل هذا التساؤل وهل يؤثر في أوضاعنا؟

انني أعتقد أن مثل هذا التساؤل لا يهمنا كثيراً فمهما كانت الإجابة على هذا السؤال فإن الحقيقة هي الحقيقة، ان التخلف موجود وعليها أن تتباوذه.

«ان من يملك روح التحدي يتقدم ويتتطور، بينما الذي لا يملك روح التحدي فإنه يتخلّف»، هكذا يقول تومسي في تعليقه على الحضارات البشرية السابقة، فالآوروبيون كما يقول — كانوا يعانون من الثلوج فتحدوها، والبابانيون كانوا يواجهون طبيعة جرداء فتحدوها، وكلما الفريقين احتاجوا الى مقاومة تخلّفهم بالتحدي الذي مالبث أن تحول الى علم والعلم استحال صناعة أدت الى التقدم! وهذا قد يكون صحيحاً ولكن هل نحن فقدنا روح التحدي..؟ أولئك نواجه تحدي الصراع الإسرائيلي والغربي والشرقي والبؤس والتشرذم والفقر والمرض.. وكلها حالات بائسة تشكل أحطاراً على وجودنا.. الا تشكل كل هذه تحديات؟ أم نحن الآن في حالة رخاء..؟

وقد تشكل نظرية (مالك بن نبي) جزءاً آخر من الجواب حيث يقول: ان المجتمع يهرم ويشيخ تماماً كما يهرم الانسان الفرد ويشيخ بعد أن كان طفلاً، فيافعاً، فشاماً، فرجلًا، فكهلاً، ثم يشيخ ويضعف، فمن بعد قوة ضعفاً وشيخوخة! وهكذا بالنسبة لlamة بعد ان كانت شابة قوية مندفعة، اذا بها تنزل سفح الزمن الى هذه المرحلة من الشيخوخة والضعف، إذن فهي دورة الزمن أو فعل الأيام علينا!

ولكن حتى — وان كان هذا القول صحيحاً — فان الانسان الفرد اذا هرم فليس امامه إلا الموت، او الاستمرار والتراخي من ضعف الى أكثر، أما بالنسبة للأمة والمجتمع فليس الأمر كذلك، لأن المجتمع يمكن أن يعود شاباً بعد أن شاخ! فالمجتمع الجاهلي كان في أوج شيخوخته، بل في أيام الهرم المطلق، فلما جاء الاسلام نفخ فيه روح الشباب من جديد، وأحيا المجتمع الذي كاد أن يموت فإذا به ينطلق مكتسحاً العالم بحضارته وتقدمه، من هنا فانتنا اليوم مدعوون أن نعيد في أمتنا شبابها، وفتورها، وحيويتها، وننطلق بها لنفتح العالم من جديد لاعلاء كلمة الله، ونشر العدالة والحرية بين الشعوب.

اذن، فان الاجابة على سؤال: لماذا نحن متخلفون؟ حتى مع افتراض صحته، فإنه لا يغير من واقعنا شيئاً، لأن ثقافتنا تغيرت بعد أن شابتها أفكار رجعية متخلفة، وإذا أردنا أن نزيل التخلف من واقعنا فلا بد وان نغير هذه الثقافة المريضة المتخلفة، وكفى بالاسلام ثقافة حية وحضارية وثابة نستطيع أن ندرسها، ونستوعبها ونتحرك بها من جديد.

اننا لم نختلف لشحة أرضينا — كما يزعمون — فأرضنا قد تفجرت ذهباً أسود والحمد لله وكل العالم في صراع وسباق عليها.

ولم نختلف لقلة فهمنا للأمور، فقد اتصلنا بالعالم الخارجي ووصلت الينا انجازاته واكتشافاته واطلعتنا على آفاقه وأبعاده.

من هنا فانتنا لاننا نقاش الأسباب التي أدت الى التخلف لأنها جميعاً قابلة للتحدي

والتحيير والاصلاح، ولكن لابد من مناقشة الموضع من ذلك.

## • لنحطم الأغلال

هناك أغلال تكبلنا وقمنا من التحرك للتغيير واقعنا المتخلّف، وهذه الأغلال هي التي علينا أن نناقشه لننتمس الطريق إلى التخلص منها.

قبل قرن من الزمان أعلن المجاهد الكبير (جمال الدين الأسد آبادي) الأفغاني بأن الشرق لا يستطيع الوصول إلى التقىم الحضاري والصناعي إلا عبر استقلاله ووحدته، وبقيت تلك الصرخة في ضمير الأيام إلى عصرنا هذا، ولا نزال نعاني ذات الأسباب والمشاكل التي كانت تكبل المسلمين في زمن السيد جمال الدين.

وكم شهد العالم الإسلامي منذ ذلك الزمن حركات تحريرية وعلمية وسياسية واقتصادية واجتماعية، وبلغ في عالمنا خلال هذه الفترة كثير من الشعراء الكبار الذين بثوا فينا الأمل والجذة، والحركة، كالشاعر الفيلسوف اقبال الlahori وأمثاله من الخطباء والعلماء والمفكرين المسلمين، ولكن مع ذلك لازلنا نرثي في ذات القيود والأغلال، فما هي وما نوعها؟

وانني رغم مرارة الواقع أقولها بصرامة.. أن أكبر الأغلال وأنقل القيود التي تمنع انطلاقتنا وتحرر كنا هي التبعية للاستعمار الشرقي أو الغربي بكل ألوانه: سياسياً أو عسكرياً أو ثقافياً أو اقتصادياً.

وانني لأسوق هذا الحكم انطلاقاً من بعضي للاستعمار، وإنما هذه هي الحقيقة\_المأساة.

فلو استطعنا أن نتحرر من هذا الأصر الأكبر لاستطعنا أن نبدأ الخطوة الأولى نحو الإمام، وأنئذ يمكن أن نسمى أنفسنا بالدول النامية.

## • الاستقلال أساس التقدم

ان الاستقلال هو الدعامة الأولى التي يقوم عليها صرح المجتمع المتقدم، وبيني عليها كيانه الحضاري، أما المصائب والويلات التي مازالت تواجهها أمتنا فانها وليدة الاستعمار ومخلفاته بشتى ألوانه، وبدون التغلب في صراعنا على اشكال الاستعمار المختلفة فاننا لن نتحرر من أغلالنا، وبالتالي فاننا لن نتمكن من الوصول يوماً ما، الى حالة التقدم، لأن الذين استعمرونا — ولا يزالون — لا ولن يسمحوا لنا بذلك طالما بامكانهم ان يمنعونا من الانطلاق.

## • بين التخلف والتبعية

لقد تعرضت كل دول العالم الثالث — ومنذ القرن السادس الميلادي — للاستعمار، سواء المباشر كالأخterية، أو غير المباشر في النادر منها، وإذا كانت المصطلحات الغربية اليوم مقاييسها بالنسبة للتخلُّف تنصب على المظاهر كالأمية والزراعة ومستوى الدخل، فانهم في ذلك يهملون أو يتجاهلون حقيقة هامة هي جوهر القضية.. فهم اذ يتحدثون عن اقبال هذا الشعب على البيبسي كولا أو السفن آب، فانهم يتعمدون عدم الحديث عن قضية تدمير اقتصاد تلك البلاد أو تدمير البنية الاجتماعية فيها. ان المشكلة هي ان الاستعمار نفسه هو الذي يتحدث عن تخلفنا بنطقه، ويضلّلنا بهذا الحديث.

فعندما جاءت قوات الاحتلال الاستعمارية الى بلادنا، اخذت توحّي بأنها «ما جاءت محتلة ولكنها حاملة لرسالة التحضير والمدنية». تماماً كما قال الفرنسيون عندما احتلوا الجزائر، وكما قال الانجليز للمسلمين في العراق.. «نحن جئنا الى العراق محررين لا فاتحين».

ولا يزالون يواصلون الدجل وال欺ك على ذقوننا حتى هذه اللحظة، فبنوكهم

تعمل في بلادنا باسم بنوك التنمية، وشركاتهم تستثمرنا تحت شعار التنمية والاعمار والتحديث، وخبراءهم يستثمروننا تحت عنوان: تصنيع البلاد وكأننا نتقدم فعلاً حسب ادعائهم !!

ان هذه هي النقطة الأساسية في العلاقة بين البلد المتقدمة (الاستعمار) والبلد المختلفة في العالم الثالث المستعمر. يتحدث (ايس بيلوت) الفرنسي المحايد في كتابه (ما هي التنمية) حول الحالة الواقعية المعروفة جيداً من قبل المختصين، بينما هي غير معروفة لدى كافة الناس تقريباً، والتي تدل على صفة عامة للتخلُّف حيث يقول في الصفحة الثالثة من كتابه:

(ان جميع بلدان منطقة العالم الثالث والتي تعرضت للتخلُّف قد حولت بلا استثناء الى مستعمرات أو نصف مستعمرات من قبل الدول الأوروبية الكبرى في زمن أو آخر، ما بين القرن السادس عشر والقرن العشرين الميلاديين، ولا تزال كلها الى الان مرتبطة ارتباطاً كلياً أو وثيقاً بالبلدان المتقدمة في النصف الثاني من القرن العشرين)

اذن فالتبغية هي سمة رئيسية من سمات التخلُّف، اذ لا نجد الان دولة مستقلة واحدة متخلفة، كما لا نجد دولة مستعمرة واحدة متقدمة.. وهذا دليل ان السبب الرئيسي للتخلُّف أو التقدم، اما هو التبعية أو الاستقلال.

## • الاستعمار وتحطيم البنى الحضارية

وهناك بحوث حول الاسباب التي أدت بأورو با لكي تعمل على وقف نمو الدول المستعمرة وتحطيم مقوماتها الحضارية في كثير من الأوقات في محاولة لاستعبادها اكثر فاكثر!! والمناذج التي اتبعتها الدول الاستعمارية في تحطيم الدول المستعمرة، كثيرة، ولكن لا يأس ان نشير هنا الى أمثلة من تلك النماذج والاساليب:

● اولاًً:

حينما تختل دولة أوروبية دولة أخرى من دول العالم الثالث، فإنها تبدأ بتحطيم البنى الاجتماعية القائمة، فكل دولة مؤسساتها الاجتماعية المميزة ورئاستها ومحاورها ورموزها وكياناتها الاجتماعية التي تميزها عن غيرها، فما تلبث الدولة الاستعمارية الا وتحطم هذه الرموز والمحاور كي تفقد تلك البلاد شخصيتها ومقوماتها الذاتية مما يؤدي بها الى الخضوع للمحتل.

● ثانياً:

لا يكتفي الاستعمار بتحطيم البنى الاجتماعية، وإنما يلجأ الى نزع قوة اخرى من أيدي أهل البلاد الا وهي البنى الاقتصادية، فإذا استطاع تدميرها فإن ذلك الشعب لا يملك الا ان يجمد وتقل حركته فيختلف ويركس في التبعية أكثر.

● ثالثاً:

يقوم الاستعمار بربط اقتصاد البلاد المستعمرة باقتصاده هو، وبلا شك فإن هذا الرابط يقوم على اساس علاقة اليد العليا القوية باليد السفلية الضعيفة، أو علاقة السارق بالمسروق كما عبر عنها الامام الخميني «حفظه الله»، حينما قطعت ايران علاقتها بأمريكا.

وبهذا الربط لا يمكن لاقتصاد تلك البلاد، ان يتقدم مهما حاولت الحكومة لأن تلك العلاقة ليست الا هدم متنظم لاماكنات تلك البلاد.

● رابعاً:

حينما يدخل الاستعمار أي بلاد فإنه يفتش عن الفئة الاكثر رجعية وجوداً وضعفاً، ويسلمها زمام البلاد لأنها ستكون الاكثر خصوصاً ولاءً للإمبريالية.

\*[قالت إن الملوك اذا دخلوا قريبة افسدوها، وجعلوا أعزء اهلها أذلة وكذلك يفعلون]\*  
—٣٤/التمل—

ولاشك ان حكم الرجعيين الجاهليين الذين لا يمكن ان يطأر البلاد، وإنما

يزيدها انحطاطاً وارتکاساً في أوحال التخلف.

ولابد من التفصيل والايضاح حول هذه النماذج التي ذكرناها ليتبين كيف استطعنا القول بأن الاسلام يقضي على مشكلة التخلف.. لأننا لاحظنا بأن التبعية هي السبب الرئيسي في التخلف، وحيث ان الدين يقضي على التبعية، فانه نتيجة لذلك يقضي على التخلف وهذا هو مفتاح بحثنا حول كيفية معالجة الاسلام لمشكلة التخلف في الفصول القادمة انشاء الله.

## **الاستقلال منطلق التقدم الرسالي**

● بالرغم من المساعي الحقيقة المستمرة للتغيير الوضع البائس والانتقال من حالة التخلف الى حالة أفضل، من التطور والنمو فان بلادنا الاسلامية — كجزء من العالم الثالث — لا تزال تعاني من ويلات التخلف والانحطاط، ولا تزال السذوذ المنيعة، والعقبات الكبيرة تقف في طريق تقدمها.

ورغم ظهور العديد من النظريات والدراسات، وعقد الكثير من المؤتمرات التي عرفت باسم مؤتمرات الشمال والجنوب، بهدف ازالة الفجوة بين العالم المتقدم والعالم الثالث فان هذه الفجوة تتسع كل يوم بدل ان تضيق او تتلاشى.

### **● الشمال والجنوب.. هوة تعمق !**

فاما كانت الدول المتخلفة — قبل حسين عاماً — بحاجة الى ابسط انواع الصناعات، بينما كانت الدول المتقدمة تصنع الطائرات وتتوغل في مجالات الصناعة الثقيلة، فان الدول المتخلفة نفسها — اليوم — تعاني من مشاكل الصناعة البدائية، او لا تملك سوى صناعات التجميع، في حين قطعت الدول الصناعية المتقدمة اشواطاً

بعيدة لاختراق الحواجز الصناعية في عصر (الذرة) وتقدمت الى آفاق واسعة في هذا المجال، بل لازالت بلادنا تعاني من مشاكل مستعصية في مجال صناعة الادوات المكتبية كالاقلام، والدفاتر—على سبيل المثال— بينما البلاد المصنعة اخذت تجذب ما يُسمى بالثورة الصناعية الثالثة—ثورة الالكترونون— فالعالم الصناعي لا يكتفي الان بصناعة الطائرات والسيارات و... واما توغل في صناعة العقول الالكترونية وادخالها في كافة مجالات حياتهم، فقد بلغ عدد تلك العقول المركبة على انسان آلي في العالم ستين ألف مواطن جديد فوق كوكبنا، يوجد في هذه المجموعة البشرية الآلية خمسة وأربعون ألف انسان آلي منها في اليابان فقط، وستة آلاف منها في الولايات المتحدة وتتوزع الباقي دول اوربا، أما العالم الثالث فقد رفض الانسان الآلي دخوله فضلا عن التجنس بجنسية من جنسياته.

وهذا تخلف آخر في ميدان العمل يضاف الى الفجوات السابقة بين العالمين، كما ان اختراق مجال الذرة التي تحولت الى سلاح تدميري هائل، وسلاح صناعي فضيع في المجالات السلمية ما زال محدوداً جداً في الدول النامية، اذ لم تستطع الا دولتان كبيرتان من دول العالم الثالث امتلاك القنبلة الذرية هما الصين والهند ودون ان يطروا الذرة في المجالات الأخرى.

لذلك فان المؤشرات والدراسات والبحوث الدولية، وللجان المشتركة والجهود المكشفة لم تفشل في ردم الهوة القائمة في العالم الصناعي المتقدم والعالم المتخلف «النامي» فحسب، واما ايضاً لم تستطع ان توقف حجم تلك الهوة عند حد معين او ابقاءها على وضعها، واما تستمر هذه الفجوة اتساعاً وعمقاً ما حدى بعض الكتاب «الأمين» والشعراء «العلماء» ان يقولوا بأن العالم الثالث لا يمكنه اللحاق بالعالم الصناعي أبداً فقد فاته القطار وانتهى كل شيء.

اما نحن المسلمين فان لنا رأياً آخر، فقطار الزمن لم يفتنا فبامكاننا ان نمتنع في الزمن ذاته ونجاوز قطاره لنصل الى أبعد مما وصلوا، ولنا على ذلك شواهد من التاريخ بل من واقعنا المعاصر، ولا يصبح هذا الموقف فاننا نحتاج الى الاجابة على سؤال.. ما

## ● أوروبا غازية.. لا فاتحة!

لقد سبقت الاشارة الى ان أوروبا قد قامت بغزونا غزواً منظماً أدى بنا الى هذه الحالة من التخلف، ولكن الذي نريد معرفته هو كيف غزت أوروبا بلادنا واستطاعت ان توقف تصاعدها وتكمالنا وفوتنا؟.. فإذا عرفنا ذلك، فإنه يمكننا تحديد جذر المشكلة وتشخيص فيروس المرض كمقدمة ضرورية للقيام بالعلاج، فنحن ان سبرنا عمق المأساة قمنا بعلاجها علاجاً واعياً وجذرياً لاستطحينا.

لقد كانت في التاريخ غزوات، وفتحات، ومن الغزوات التي واجهتها أمتنا في التاريخ الغزوات المغولية الهمجية التي شتها التتار ضد المسلمين، فكانت غزواتهم اجتيحاً وحشياً لم تقف سيول الدماء الا عندما توقفت الغزوات ذاتها.

كما ان التاريخ شهد فتوحات اضاءت وجهه، التاريخ، واتسعت عبرها رقعة الفضيلة والخير والأمن بين شعوب كثيرة في الأرض.

وبديهي ان الفرق شاسع بين الغزوات والفتحات، اذ ان الغزوات لا تعدو ان تكون شن غارات على الاراضي المجاورة بهدف الحصول على لقمة العيش وسد رمق الحياة وقهرا الجوع والفقير بالاستيلاء على حق الآخرين، بينما الفتوحات على العكس من ذلك، اذ انها تهدف نشر الفضيلة والسلام والرخاء في الارض واعلاء كلمة الله، وقد فتح الاسلام بلاداً واسعة.. ولوتأملنا التاريخ الاسلامي لأدركنا كم أفادت الفتوحات الاسلامية شعوب البلاد المفتوحة حيث انقضتهم من حكومات الجور والفساد والجهل والديكتاتورية، ونقلت اليهم الحضارة والفكر والنور.. فالشعوب الأفريقية على سبيل المثال لم ينعموا بفضيلة الاسلام ورحمته فحسب، وإنما أخذوا بأسباب الحضارة الاسلامية وشاركوا فيها بجهود لا يزال التاريخ يحتفظ بآثارها

ونستطيع ان نقول ان من الفرص النادرة التي توفرت للأفراد للمساهمة في حضارة الانسانية كانت تلك الفرص التي وفرها الاسلام لهم، كما ان الماضي لايزال مشرقاً بأسماء اسلامية سطعت في مجال العلم والشعر والفلسفة والقيادة والخروب والفتح، هذا باستثناء مصر التي كانت تتمتع باضخم حضاري عريق على الصعيد الفنى والاجتماعي.

لقد بلغت الفتوحات الاسلامية الى الهند بعد فارس وافغانستان، وكل هذه البقاع هي من البلدان التي تمتلك تاريخاً حضارياً عريقاً، ومع ذلك نجد ان شعوبها قد استقبلت الفاتحين بشوق وحرارة وأعتقدت الاسلام وذابت في تعاليمه وحضارته، ومع ذلك فان الفاتحين ما جاءوا للسلب والنهب والاستغلال، وإنما جاءوا لايصال كلمة الحق وتحرير الشعوب من رقبة سلاطينهم الظالمين، وأكبر دليل على ذلك ان هؤلاء الفاتحين لم يتبنوا في ظل الابنية، ولم يسكنوا القصور التي دخلوها فاتحين، فما كانوا محتلين ولكن محررين بالفعل، ولذلك فانهم ما كانوا ليضايقوا أهل البلاد المفتوحة بجنودهم وأفرادهم، وإنما راحوا يبنون مدنًا عسكرية للجيوش التي جاءت للفتح، فحينما وصلوا الى المدائن بنوا لهم الكوفة وسموها «كوفة الجندي» وفي الحيرة بنوا للجيوش مدينة «واسط» وحين وصلوا الى الاسكندرية بنوا «فسطاط» وهكذا فعلوا في كل البلاد التي امتدت اليها أشعة الاسلام عبر الفتوح، فكانت تلك الفتوح تحمل رسالة نشر الفضيلة والسلام فيما بين الشعوب المختلفة وصهرها في بوتقة الوحدة الاسلامية، ولكي تناول حقوقها المشروعة في الحياة بحرية وعدالة ومساواة واستقلال واحياءً— هذا اذا ما استثنينا التصرفات الشاذة من قبل الانظمة الحاكمة على المسلمين كنصرفات الأمويين الشوفينية تجاه الشعوب الاسلامية.

وإذا استثنينا هذه الفترة البسيطة التي انتهت بفضل الله والثورات الاسلامية، نرى ان المسلمين الفاتحين قد ساواوا بينهم وبين من فتحوا بلادهم، بل ان كثيراً من المسلمين الجدد الذين فتحت بلادهم قد شاركوا في الحياة السياسية، كما حدث للفرس والاترك في بغداد في زمن العباسين، وكما كان الامر في مصر في عصر

المالكين الذين كانوا من المولى.

هذا بالنسبة للفتحات، وأما الهدف من الغزوات فإنه غير ذلك، فالاً وربون حينما انتشروا من قارتهم الضيقة إلى جهات مختلفة من العالم، لم يقصدوا بالتأكيد نشر الفضيلة والحرمة والرخاء، وإنما الصورة هي عكس ذلك تماماً.

فأوربا في تلك الفترة كانت تعيش حصاراً اقتصادياً نتيجة لصعوبة الظروف الاجتماعية القاسية التي كانت تعانيها والظروف السياسية المتزعزة حيث كانت تعاني حصاراً من ناحية البر شرقاً حيث الدولة العثمانية التي تسيطر على منفذ أوربا على آسيا - طريق البوسفور - ومحاصرة من الجنوب حيث كانت الإضطرابات في بلاد المغرب تمنعها من سلوك الطريق البري عبر شمال أفريقيا.

لذلك اضطرت أوربا إلى اختراق جهة أخرى وذلك عبر ركوب البحر بحثاً عما يشبع جوعهم وغرورهم وتطلعاتهم!! فالاً وربون عندما أبحروا في بحر الظلمات - المحيط الأطلسي كما يسمونه - لم يكن لهم هدف سوى جمع صدقات الأمم ولو سرقة، ومن كان ذلك هو هدفه فإنه لا يقدر أن يحمل الفضيلة إلى العالم!

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن أوروبا لم ترسل عبر البحار إلى أرجاء العالم علماءها وفلاسفتها ولا خريجي جامعتها، وإنما لم يكن في تلك السفن التي راحت تجوب البحار وتكتشف الطرق سوى مجموعات من اللصوص والمغامرين من الخارجيين على القانون الذين لفظتهم القارة الأوروبية فراحوا يبحثون عن مجالات أخرى لأنفسهم في مناطق مجهولة من العالم ليقوموا بعد ذلك بابادة شعوب القارات كما فعلوا في أمريكا مع الهنود الحمر وفي استراليا مع السكان الأصليين، وفي إفريقيا وغيرها. وقد ارتكب هؤلاء جرائم وحشية يندى لها جبين البشرية من أجل السيطرة والاستيلاء على تلك المناطق ولو أدى بهم إلى ابادة الشعوب الأخرى.

ونحن هنا لا ننكر أن أوروبا تملك العلماء وال فلاسفة، ولكن أوروبا لم ترسل إلى العالم عبر رحلاتها البحرية علماءها وخيرة ابنائها من خريجي الجامعات، وإنما

أرسلت الأشرار وال مجرمين الذين شكلوا مجموعات مغامرة وشكلوا فيما بينهم جيشاً مجرماً، وقدموا لحكوماتهم الضرائب والرشوات ليسمحوا لهم بالانطلاق الى القارات المختلفة لممارسة أبغض أنواع الجرائم وفي مقدمتها اختطاف الأطفال السود والمتجارة بهم عبر المثلث التجاري المشهور «أوروبا، أفريقيا، أمريكا» ومن ثم ممارسة التفرقة العنصرية في هذه القارات الثلاث بشكل وحشي ورهيب.

فهل أمثال هؤلاء المجرمين واللصوص يستطيعون ان يحملوا التور الى العالم؟ ولو تصفحنا تاريخ هؤلاء لوجدنا ان مفكراً أوروبياً واحداً لم يقم بزيارة لأي بلد مختلف من البلدان التي سيطر عليها الأوروبيون الا في القرنين الأخيرين، حيث اخذوا يأتون لحضور مؤتمر هنا او هناك لا أكثر، أما قبل ذلك فما كانوا يأتون ولا يعقدون مؤتمرات ولا يكتترثون بهذه الدول!!

يقول (اديب نبوت)، في كتاب ما هي التنمية حول هذا الموضوع: «لم يكن الغزاة في البداية سوى الفاشلين في المجتمعات الاوروبية المنهكمة في تركيز اطراها القومية. والشجاعة الجسدية، والرعونة، وحب المغامرة، صفات لا غنى عنها لمعرفة اي نوع من الشخصيات كان اوروبا تتخلص منهم بفضل الغزات المتكررة، وتلفظ بهم الى الخارج للتخلص منهم كبقايا الاستنقاء والانحطاط الاقتصادي»

## • السيطرة على البحار

حينما ركب الاروبيون البحار فانهم لم يتعاملوا مع العالم بروح حضارية، وإنما بروح استغلالية «الصوصية» اذ سيطروا على التجارة البحرية واستخدموها سلاحاً ضد الشعوب الأخرى ومن أجل ابتزازهم، فقد كانوا ينقلون البضائع المختلفة بين الشرق والغرب من أوروبا الى افريقيا وآسيا ومنها للقارات الأخرى وهكذا..

ولاحتكارهم التجارة البحرية دولياً فقد فرض الغزاة الاروبيون على العالم نوع

التجارة الذي ارادوه هم وطريقة التعامل التي تعجبهم لكي يتمكنوا من جمع الثروات الطائلة في أقل وقت ممكن، فكمية التوابل التي يشترونها من الهند بروبية واحدة، يبيعونها في أوروبا بمائة روبيه، والبضاعة الاوروبيه التي قيمتها جنيه واحد تصبح فيميتها مائة جنيه في الشرق الاوسط وهم جرا !!.

قبل حوالي ٢٥٠ عاماً رست أربع سفن برتغالية محملة بالتوابل في ميناء بوشهر الايراني فتفاوضوا مع التجار الايرانيين على سعر البضاعة فلم يتوصلا الى حل حيث عرض الايرانيون ثمناً واشترط البرتغاليون سعراً أغلى ، فلم يتوصلا الى نتيجة لعلم البرتغاليين بحاجة الايرانيين الى البضاعة، فمارسوا الضغط على الجانب الايراني فلما لم ينصاع الايرانيون لهم، قام البرتغاليون بحرق احدى السفن بحمولتها وأضافوا قيمتها التي طلبوها الى السفن الثلاث الأخرى، فلم ينزل التجار الايرانيون لرغمتهم، وفي الاسبوع الثاني قاموا مرة أخرى بحرق سفينة ثانية بحمولتها وأضافوا سعراً الى بقية الصفقة، فرفض الايرانيون هذا الابتزاز، فما كان من البرتغاليين الا ان أحرقوا السفينة الثالثة وطلبوها على الرابعة أربعة أضعاف القيمة التي طلبوها أول مرة، ونظراً لحاجة الايرانيين لحملة السفينة اضطروا لشرائها بأربعة أضعاف القيمة، حينما هدد البرتغاليون بحرقها هي الأخرى !!

هكذا كانوا يتعاملون مع الشعوب: ابتزاز رخيص، واجحاف بالبشر، وكفران للنعم.. لذلك لم يكن غريباً ان تجني شركة الهند الشرقية الهولندية أرباحاً خيالية خلال سنتين «١٦٤٨—١٦٥٠» فقط مما حدا ببريطانيا ان تنافسها وتفضي عليها ل تستأثر بالساحة لنفسها، حيث كانت الأرباح تفوق الخمسمائة في المائة كما يذكر أحد الكتاب الأجانب.

ومن الجدير بالذكر ان أحد الكتاب الاوروبيين يدافع عن هذا الجانب من الربح الفاحش حيث يقول (في الواقع ان تجارتنا مع البلاد النامية ينبغي ان تكون ضمن قائمة «تجارة الأقوى» فنعطيهم القليل ونأخذ منهم الكثير، ونعطي ما لا ينفعهم كثيراً ونأخذ ما ينفعنا).

من هنا فان أسلوبهم هو تعامل الأقوى مع الضعيف، أي اذا سيطروا على البلاد  
فلا بد من فرض ارادتهم على تلك المناطق تجاريأً...!

## • تحكيم العملاء فوق الشعوب

لم يقتصر الأوروبيون في تعاملهم مع الشعوب على اسلوب القهر التجاري، وإنما  
مارسوا لعبة أقذر ، فقد قاموا بتشجيع عملاء لهم في البلاد المختلفة لكي يستثمرها  
شعوبهم بمعاونة المستعمرين ، وعن طريق ذلك الاستثمار بدأ الغزاة الجدد بمحاولة  
السيطرة على الشعوب بالفعل كما حصل في افريقيا بالذات حيث لعب الغزاة أقدر  
الأدوار التي سودت وجه التاريخ البشري الأوروبي، وهي تجارة الرقيق التي لو شئنا  
الحديث عنها فقط لأحتاجنا إلى العديد من المؤلفات حولها ، اذ قاموا باختطاف مئات  
الملايين من الأطفال الأفارقة، بل والشبان والكبار والصغار والنساء ورحلوهم إلى  
أوروبا و أمريكا لبيعهم في أسواق النخاسة ودام ذلك العمل لأكثر من ثلاثة قرون!  
ولاشك ان خلف كل أفريقي يختطف كارثة فجيعة لا يعلم مداها الا الله سبحانه  
وتعالى ، وبعد اختطافه تبدأ محنته الطويلة اذ يتعرض للأستخدام «رقاً» كأسوء  
استخدام عرفه التاريخ!

وإذا كانت افريقيا اليوم تعاني من صعوبات بالغة فاما هو بسبب تلك الوسائل  
الوحشية التي اتبعتها أوروبا للسيطرة على القارة السوداء.

ولا يختلف الحال كثيراً في الهند التي امتصوا خيراتها وتركوا مئات الملايين فيها  
فريسة الفقر والجوع بعد ان كانت من أغنى دول العالم.. وصحيف انهم لم يستخدموها  
تجارة الرقيق في الهند، ولكن شبه القارة الهندية تعاني التمزق والتطاحن الى اليوم بعد  
ان فتحتها الاستعمار الى دول عديدة تمزقها الطائفية من الداخل.

وهكذا الحال في كل المناطق التي دخلوها، اجحاف في التعامل التجاري القاهر  
وخلق العملاء ليصبحوا أدوات الاستعمار في امتصاص دماء الشعوب، وتحطيم البنى

الاجتماعية والاقتصادية، بل كل مقومات البلاد التنموية..

## • أساليب لانسانية لا خضاع للانسان

لقد حاولت القوى الاستعمارية السيطرة على الشعوب بكل الوسائل، فلم تدخل بلداً إلا افسدته وحطمت كل مقوماته، ليصبح بعد ذلك قمراً يدور في فلك الدولة المستعمرة.

## • في الهند

وعلى سبيل المثال يذكر «نهر» في العديد من كتاباته أساليب الاستعمار البريطاني في القضاء على مقومات الهند وتحطيم البنية الأساسية لها، و يأتي بمثال على ذلك أن البريطانيين حينما دخلوا الهند كانت فيها «تجارة الأقمشة» مزدهرة لأنها تصنع محلياً وكانت ناجحة.

وكانت الأقمشة الهندية إلى ذلك الوقت تغزو الأسواق العالمية لاسيما الأوروبية عن طريق السفن الهولندية والبريطانية والبرتغالية التي كانت تشحن التوابل والأحجار الكريمة والعطور والأقمشة من الهند إلى أوروبا. ولا يزال نوعان من هذه الأقمشة وهما «السارى» الهندي «والشال» الكشميري يتمتعان بشهرة فريدة، ويعود تاريخ هذه الصناعة في الهند إلى أوائل العصر الإسلامي.

ولكن لما جاءت بريطانيا، وكانت قد وصلت صناعة النسيج فيها إلى مرحلة متقدمة من المكنته، فرضت على الهند شراء الأقمشة البريطانية بأساليب مختلفة كان في مقدمتها عرض الأقمشة البريطانية بأسعار زهيدة جداً، في مقابل الأسعار الغالية نسبياً للبضاعة الوطنية الهندية ولا شك أن الهندي يلجأ للأرخص لاسيما وإن البضاعة جيدة، ولم تمض بضع سنين حتى اضطر معظم أصحاب مصانع النسيج

البدائية التي تعتمد الحياكة اليدوية في عملها، إلى اغلاق حمالهم الصناعية والهجرة إلى المدن الكبرى للعمل عند البريطانيين.

وقد قادت بريطانيا بانشاء شركات للتوظيف بدأت تنقل العمال الهنود ذوى المهارات الصناعية الى مناطق مختلفة في العالم لاسيما جنوب أفريقيا. وقد كان غاندي محرر الهند واحداً من الذين عملوا في جنوب أفريقيا، وبهذا الاسلوب الماكير استطاع المستعمر البريطاني تحطيم الصناعة الهندية لتحول محلها الصناعة الانجليزية، واصبح الشعب الهندي المسكين يحتاج الى مصانع بريطانيا لكي يلبس الملابس. بعد ان كان يصدرها الى أوروبا.

## • في مصر

ولم يختلف الدور الانجليزي الماكير في مصر عن ذلك، بل كان أسوأ منه بكثير اذ قاموا بدمير المصانع التي أسسها محمد علي باشا الذي حاول تصنيع بلاده، والمصانع التي لم يستطعوا تحطيمها قاموا بتفكيكها وارسالها الى بريطانيا واعادة تشغيلها هناك.

ويقول «رومبل» عندما دخل البريطانيون مصر: «ان الخليفة الوحيد لنا في مصر هم الأقطاعيون» ليس المثقفين او الجماهير او علماء الدين واما الاقطاعيون.

## • في الصين

وفي الصين جاء المستعمرون الى سلاح خطير لتدمير الارادة الانسانية من أجل السيطرة على الشعب الصيني حينما فرضوا عليه استخدام المخدرات والادمان على الافيون بشتى الطرق والحيل ولم يتخلص من هذه المأساة الا عبر حرب طاحنة كبيرة عرفت فيما بعد بـ«حرب الافيون».

## ● في ايران

وقصة التنباك التي تحولت الى ثورة شعبية قادها علماء الدين ضد التدخل البريطاني في ايران مشهورة، اذ ما ان قامت شركة التنباك الانجليزية بتوقيع اتفاق امتياز الدخانيات في ايران مع الشاه في ذلك الوقت حتى استقدمت مائة ألف موظف وخبير من العملاء المسلمين وقامت بمصادرة المزارع المختلفة لتحولها الى دخان بترويج استعمال التبغ فثار العلماء ونبهوا الشعب لما يحاك ضد مصالحه من مؤامرات وكانت فتوى المجدد الشيرازي بحرمة استعمال التنباك، لأن استعماله يعتبر حرابة لامام الزمان(عج) فثار الشعب المسلم وازدادت الثورة لهيباً حتى تم طرد البريطانيين من ايران والحمد لله.

وهكذا نجد انهم ما كانوا يستخدمون أسلوباً واحداً في جميع البلدان، انا لكل بلد اسلوب خاص كي ينطلي على الشعوب ويتلعوا الطعم، وهناك بلاد أخرى استخدم المستعمرون معهم ادمان الكحول ودعوا الى شرب الخمور ليتسنى لهم السيطرة على الشعب بلا مقاومة.

## ● اصطناع الحاجة

يقول أحد رواد الصناعة الغربيين بأن طريقة تسويق بضائعهم ومنتجاتهم في الاسواق الخارجية تعتمد على الحيلة في البداية اذ يقصدون المجتمعات المختلفة ويصطعنون لهم احتياجات وهمية او اهتمامات جديدة تعتمد الروح الاستهلاكية للمنتوجات الغربية ذاتها.

ويضرب مثالاًً افريقياً على هذا الاسلوب، اذ يقوم المستعمرون باهداء سيارة لواحد من زعماء القبائل البارزين فتكون وسيلة لجذب اهتمام الآخرين وتنافسهم بحيث تتولد فيهم الرغبة في اقتناء سيارات، ويقوم ابناء ذلك الزعيم، وقبيلته،

والمنافسين له يسعون لاقتناء سيارات كالتى يمكّلها الزعيم، وجيء السيارات بدوره يجلب معه احتياجات أخرى كإنشاء محطات البنزين وأماكن تغيير الزيت وورش التصليح وجمعيات قطع الغيار والفنين...و..

وإذا تعود المجتمع على استعمال السيارات فإنه يصبح آنذا مرکزاً رئيسياً لاستيراد السيارات، ومحطة لعمل الشركات الأجنبية في رصف الشوارع وبناء الطرق المعدة والمسفلة وجميع هذه الأمور تصب في مصالح الأجنبي.

وهكذا بهذا الاسلوب اللاأخلاقي واللامانسي يزورون حاجات الشعب ليسطروا عليها !!

## • هدف الحروب تكريس التبعية

وفي البلدان المتخلفة نرى الشعب لا يجد ما يأكله ويبحث عن لقمة العيش ولكنه مع ذلك لا يستغني عن تلفزيون في كل بيت، ولا بد ان يكون ملواناً، وكذلك الراديو لا يفارق احداً من أبناء الشعب، وتتجدد البيوت خرباً لا يقي أهلها حر الصيف ولا برد الشتاء ولكن هواي التلفزيون ينتصب فوق السطح.

هذه الحالة هي معنى الحاجات المohoمة والاحتياجات المصطنعة للانسان والتي فرضوها على شعوبنا فرضاً ليربطوها بعجلة اقتصادهم .. هذا في عالم الاقتصاد.

أما في عالم السياسة فانهم جاءوا ومزقوا بلادنا الى عدة دويلات صغيرة وأسلعوا فيها الحروب المحدودة التي تدمّر ماتبقى لهذه الدولة او تلك ولا تتركها الا وقد بلغ الجهد والاعياء منها كل مبلغ لتظل بعد ذلك ثلاثة عشرات السنين مرتبطة بالاستعمار أكثر من ذي قبل.

فكم شجعوا الحرب بين البلدان في افريقيا وآسيا، وأمريكا اللاتينية لتصبح هذه الدولة ضد جارتها وهذه الكتلة ضد تلك.

وأقرب دليل بهذا الصدد مانراه اليوم من استمرار هذه الحرب المفروضة على الجمهورية الاسلامية ظلماً وعدواناً! فهل كانت مستمرة كل هذه المدة لولا التشجيع الاوروبى والدعم الامريكى لصدام الطاغية.

لقد نشرت الاذاعة البريطانية تقريراً لأحدى الصحف الانجليزية جاء فيه: ان هذه الحرب قد جعلت كلا البلدين الاسلاميين (اي العراق وايران) احوج ما يكونان لنا لأنهما سيحتاجان اليها خلال الحرب وبعد الحرب طلباً للمزيد من السلاح والتكنولوجيا والخبراء والشركات لاعمار البلدان، كالتكنولوجيا لا توجد الا عند الغرب، وهذا ما سيدفع بالبلدان للارقاء في أحضاننا!!

ولكن سوف يخيب الله آمالهم، وسينقلب السحر على الساحر باذن الله!  
ان ايران الاسلام صامدة بعون الله، والعراق يتوجه نحو التغيير والاستقلال بعد ان ينهار النظام البعثي العميل.

وكم هذه الحرب خيبة لآمال كarter الذي صرخ في بدايتها ان ايران الان ستعود للحظيرة الامريكية بعد ان اجتاحت العراق مقاطعة كاملة منها!!

ان ما تريده القوى الاستعمارية ان تصل اليه من خلال اشعال الحروب المحلية المحدودة هو تحطيم القدرات والبني الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وقد فعلوا ذلك وتحقق لهم ما يريدون في كثير من بلدان العالم!! فكيف تستطيع بعد ذلك ان تنمو البلاد نمواً طبيعياً؟ اجل، لو كانت هذه الدول قد تركت و شأنها لاستطاع العديد منها ان يصبح من الدول الصناعية الكبرى كالممدو الصين ومصر التي حاول محمد علي باشا تصنيعها، ولاستطاع ان يغير الكثير في مصر لولا تدخل الدول الاوروبية التي عادت بصر الى هذا المستوى المتخلف!!

## • تجارب الشعوب في التحرر

لقد استعرضنا فيما سبق الجرائم التي قامت بها القوى الغازية الاستعمارية

بحق شعوب العالم ودوله الا ان هناك جانب آخر من الحقيقة وهو الجريمة التي ارتكبها الشعوب ذاتها بحق أنفسها، ولاشك ان هذه الجريمة أسوأ من سابقتها، لأننا بالنسبة للجرائم «الخارجية» قد لانملك سلاحاً لردها ولكن ما عذرنا في الثانية، وقد جنينا بأنفسنا على أنفسنا؟

فلو تصدت الشعوب لاحتياج الدول الأوروبية الغازية وقاومت الغزو سياسياً واقتصادياً لاستطاعت الشعوب ان تبني نفسها وان تقضي على التخلف، إلا ان مكمن الداء الحقيقي هو الثقافة المختلفة التي توجه تلك الشعوب !!

وهناك شواهد كثيرة تدل على ان الشعوب تملك القدرة على التحدى والرد:-

### • أولاً:

حينما جاء غاندي الى الهند أيقظ في الشعب الهندي روح الاستقلال كما أيقظ فيه حب الصناعات اليدوية التي كانت الهند تشتهر بها تاريخياً واستطاع بالفعل ارجاعه الى تلك الصناعات بعد ان قاطع ابناء الشعب البضائع الانجليزية، فما كان من السلطات البريطانية الا ان أخذت غاندي الى بريطانيا ومررت به عبر شارع طويل في لانكشير حيث أمروا العمال العاطلين عن العمل بسبب المقاطعة الهندية لنتوجاتهم ان يصطفوا على جانبي الطريق الذي بلغ عدة أميال وبعد ان شاهدتهم غاندي سأله бритانيون:

هل شاهدت هؤلاء؟ فقال نعم! فقالوا له:

هؤلاء ضحايا تعليماتك للشعب الهندي بمقاطعة البضائع الانجليزية، فسأله غاندي:

أين يقطن هؤلاء وكيف يأكلون؟ فقالوا: يقطنون في منازلهم والمصانع تعطيهم نسبة معينة من أجورهم! فقال: وهل يوجد من يموت منهم...؟ فقالوا: لا ..  
فقال: ان شعبي هناك ينامون في الشوارع، ويموتون جوعاً وليس هنالك من

يتصدق عليهم بلقمة خبز! وما عملت الا من أجل انقاد ذلك الشعب  
البائس !!

لقد استطاع غاندي ان يقاوم خطط المستعمرین، وجر الشعوب الهندی معه كلھ  
الى المقاومة وقد استطاعت الهند الآن ان تصنع كل شيء ابتداءً من الابرة وحتى  
الصواریخ والقنابل الذرية، أليس كذلك؟

#### • ثانياً:

لدينا التجربة اليابانية، وهي تجربة أكثر دلالة على حديثنا، فقد اكتشفت  
اليابانيون طبيعية الأروءوبين منذ البداية، ونظرًا لوجود روح الاستقلال العنيفة عندهم،  
فقد كانوا ومن الاختلاط بشعبهم، وما كانوا يسمحون للسفن الهولندية ان تأتي الى  
موانئهم الا مرتين في السنة فقط، وكانوا يخضعونها للتفتيش الدقيق، فإذا وجدوا  
الكتب العلمية في الطب والهندسة او غيرها صادروها ورجموا بها جامعاتهم، ولو  
وجدوا كتبًا دائرة لا نفع فيها أخذوها وأتلفوها ورموا بها بحراً، وقالوا منذ البداية ان  
هؤلاء جرائم يجب ان لا يأتوا الى بلادنا.

فالاحساس بالاستقلال دفع باليابانيين منذ البداية الى البحث عن العلم الذي  
كان موجوداً عند الاوروبيين فعملوا المستحيل للحصول عليه بمصادرة الكتب  
وبارسال البعثات العلمية للتجسس على الاوروبيين في مصانعهم ومدارسهم  
وجامعاتهم حتى استطاعوا ان يأخذوا العلم منذ القرن الثامن عشر، مما جعل اليابان  
تصبح الدولة الصناعية الوحيدة في آسيا تقريباً.. والآن تعتبر ثالث دولة صناعية في  
العالم، رغم انها الاولى في مجال الالكترونيات.

وبالطبع ما كان ذلك ليتأتى لليابان لو لا حفاظها على الاستقلال منذ البدء.

#### • ثالثاً:

استطاعت كوريا الشمالية هي الاخرى ان تصبح دولة صناعية، لأنها استطاعت  
ان تسد أبوابها في وجه الاجتياح الغربي، وربما الشرقي أيضًا، وبنت نفسها وصناعتها

بيدها حتى استطاعت ان تتجاوز مرحلة الصناعة في العالم الثالث.

● رابعاً:

قام الاتحاد السوفيتي في عهد ستالين عام ١٩٢٣م بتفجير الثورة الثانية حسب تعبيرهم واستطاع خلال عشر سنوات ان يلحق بالعالم الغربي حينما سد الأبواب أمام الصناعات الغربية وبدأ الروس بأنفسهم السعي واللحاق بركب العلم حتى استطاع ان يتجاوز الصناعات الغربية أحياناً وقد يعلن الاتحاد السوفيتي سبقه لأمريكا في بعض المجالات.

وما سبق يتبيّن لنا ان الشعوب اذا ما أرادت النهوض واللحاق بركب الحضارة، بل وسبقه فلابد ان تستعيد ثقتها بنفسها وتحافظ على استقلالها لكي تستطيع الصمود أمام الغزو الخارجي، وبعدها تتفجر الطاقات الكامنة ذاتياً في أبنائها فتستطيع القفز فوق كل الحاجز لتحقيق التقدم والإنجاز الحضاري.

# برنامـج الـاسلام للتـقدم الحـضاري

انـ البـلـادـ النـاصـمـيـةـ التـيـ تـنـتـمـيـ اـلـيـهـ بـلـادـنـاـ اـلـاسـلـامـيـةـ وـالـتـيـ تـعـانـيـ اـلـأـمـرـيـنـ مـنـ  
الـفـقـرـ وـالـخـوفـ يـبـغـيـ أـنـ تـعـمـلـ اـلـمـسـتـحـيلـ لـكـيـ تـتـحدـىـ وـضـعـهـ اـلـمـتـخـلـفـ عـبـرـ عـوـاصـفـ  
شـدـيـدـةـ مـنـ تـدـاخـلـاتـ عـوـاـمـلـ خـارـجـيـةـ،ـ لـأـسـيـمـاـ مـدـاخـلـاتـ اـلـاسـتـعـمـارـ وـالـأـمـبـرـيـالـيـةـ  
وـالـصـهـيـونـيـةـ،ـ وـمـاـ تـبـعـهـاـ مـنـ قـوـىـ سـيـاسـيـةـ وـعـسـكـرـيـةـ..ـ

## • اي مصير نختار؟

هـنـالـكـ فـيـ عـالـمـنـاـ اـلـاسـلـامـيـ ماـ لـايـقلـ عـنـ ٧٠٠ـ مـلـيـونـ اـنـسـانـ يـعـيـشـونـ دـوـنـ أـدـنـىـ  
الـمـسـتـوـيـاتـ الـلـائـقـةـ بـاـنـسـانـ القـرـنـ العـشـرـينـ،ـ وـهـنـالـكـ الـمـلـاـيـنـ مـنـ يـهـدـدـهـمـ الـمـوـتـ جـوـعـاـ،ـ  
أـلـوـفـ الـمـلـاـيـنـ الـذـيـنـ اـنـ لـمـ يـهـدـدـهـمـ الجـوـعـ الـيـوـمـ،ـ فـاـنـ تـبـعـيـتـهـمـ لـلـغـرـبـ وـالـشـرـقـ  
تـهـدـدـهـمـ بـالـفـنـاءـ فـيـ أـيـةـ لـحـظـةـ تـشـاءـ فـيـهـاـ الـقـوـىـ الـكـبـرـىـ اـنـ تـفـنـيـهـمـ..ـ فـاـمـاـ اـسـرـائـيـلـ الـتـيـ  
زـرـعـتـ كـخـنـجـرـ حـادـ فـيـ قـلـبـ الـوـطـنـ اـلـاسـلـامـيـ،ـ وـالـتـدـخـلـ اـلـعـسـكـرـيـ الرـوـسـيـ الـذـيـ لـمـ  
يـكـفـ عـنـ اـبـادـهـ الشـعـبـ الـمـسـلـمـ فـيـ اـفـغـانـسـتـانـ وـمـاـ اـبـادـهـ اـلـمـنـظـمـةـ لـلـشـعـبـ الـأـرـتـيـريـ مـنـ  
قـبـلـ حـكـومـةـ اـثـيوـبـياـ الـحـمـراءـ،ـ وـمـاـ الـغـزوـ اـلـعـسـكـرـيـ وـالـثـقـافـيـ وـالـاـقـتـصـاديـ لـبـلـادـنـاـ تـحـتـ

شعار أو آخر.. وما تسلط مجموعة من العملاء الأجانب على بلادنا واحتاطهم بشبكة من أجهزة المراقبة لكي لا يفكروا بالاستقلال، إلا نتائج بارزة لموافقنا وتصرفاتنا التي أملتها علينا ثقافة القرون الخاوية، قرون القشرية والتخلف، وكل هذه النتائج تدفعنا إلى أن نختار واحداً من أمرين: أما الموت، وأما التقدم، ولا ثالث لهما، وهذا يعني إما أن نختار لأنفسنا الفناء المنظم والابادة المنتظمة، وإما أن نختار لأنفسنا التحرك السريع لتجاوز عقبة التخلف، وهنا لا يأس من سرد مثلٍ من واقع امتنا اليوم وبعض الأمثلة الأخرى من واقعنا في القرون الماضية..

## • المفاعلات النبوية في العالم الإسلامي إلى أين..؟

المثل من واقعنا اليوم، ان باكستان كانت البلد الإسلامي الذي فكر قادته يوماً ان يصنعوا القنبلة الذرية واحس قادة الغرب بدءاً خطورة هذا القرار، واني أتذكرة جيداً ان كيسنجر فاوض علي بوتو -رئيس وزراء باكستان السابق- على وقف برامج التصنيع الذري في بلده، ولكنه رفض الاستجابة، فاضطر كيسنجر الى أن يذهب الى فرنسا وحاول ان يقنع الادارة الفرنسية في عهد «ديستان» بأن توقف مساعداتها لباكستان في الشئون الذرية، ولكن فرنسا هي الأخرى رفضت الاستجابة لعرض كيسنجر، فحاوت الادارة الامريكية في عهد «نيكسون» أن تصفعط على البرازيل التي كانت لها علاقات ذرية مع باكستان، ولكن هي الأخرى رفضت طلب كيسنجر، فعقد الأخير مؤتمراً صحفياً في باريس قبل أن يغادرها الى واشنطن، وهناك في باريس قال في مقابلته الصحفية: «اننا سنلقن علي بوتو درساً لا ينساه، لأنه رفض الاستجابة لنا» وبعد أيام بدأت القلاقل في باكستان واستمرت الى ان انهت نظام علي بوتو، بل استمرت الى أن أعدم هذا الرجل في باكستان، وكان ذلك درساً من قبل كيسنجر لا لذوي الفقر على بوتو، الرئيس الباكستاني السابق فحسب، وإنما لكل الرؤساء: ان اذا حاولتم أن تتجاوزوا الخط الأحمر في تعاملكم معانا فان مصيركم لن يكون أفضل من بوتو، أ، تعامل الغرب مع الرؤساء لا يختلف عن تعاملهم مع الشعوب

فالرؤساء لاقية لهم عند الغرب اذ يطهرون بهم متى ماشاءت ارادتهم ومتى ما حاول احدهم تجاوز الخط الاحمر الذي رسموه له فانهم يمنعونه باية وسيلة.

ومن المعروف ان نظام صدام الذي رغم عمالته المطلقة للغرب ، التي دفعته لاشعال حرب طويلة عريضة ومهلكة لنظامه ولشعبه لالشيء ، الا من أجل عيون اسياده ، فانه لم تشفع له عمالته لهم بأن يسمحوا للمفاعل النووي في العراق ان يستمر ، فأوعزوا لاسرائيل بقصصه وتفجيره.

كما ان الحكومة المؤقتة في ايران والتي ثبتت فيما بعد مد ارتباطها المشبوه بالخط الامريكي ، وعمالة بعض اعضائها ، اول عمل قامت به هو الغاء المعاهدات الذرية بين ايران والخارج بعد انتصار الثورة الاسلامية ، ومن هذا يتبين كيف يسعى الغرب بكل ما أوتي من قوة وضغط لكي يصنع له دمى في البلاد التي يسيطر عليها باسم رؤساء ويجعلهم ضمن نهج معين يرسمه مسبقاً ويلزمهم بالسير على هداه.

## • الغزو الـأوروبي يستعبد الشعوب

اما عن المثل القديم فيكتفي ان نقتطف فقرات من كتاب «تشريح جثة الاستعمار» لمؤلفه الفرنسي «يدغي دوشير» حيث يتحدث فيه الكاتب عن بعض مظاهر الغزو الفرنسي لافريقيا ، وكيف كان هؤلاء الغزاة يتعاملون مع الشعوب المستضعفة ، حيث حاولوا السيطرة على شعوبنا ، فامتصوا افضل الطاقات ليوظفوها في مصانعهم واراضيهم الزراعية. يقول هذا المؤلف:

«عندما كان تاجر الرقيق ينزل الى الارض كان يتصل على الفور، اما بالأمير المحلي، او بأحد أفراد بلاطه المفووضين من قبله لهذه المهمة، واما بحاكم القلعة الأبيض، وبعد ان يؤدي رسوم القاء المرسى والاقامة، يأخذ في المفاوضات المبدئية وتُدفع لرجل البلاط الأفريقي كمية من المال في بداية المفاوضات، اذ لم يكن التاجر

من حيث المبدأ يشتري من الملوك الأفريقيين الا أسرى الحرب الذين يبيعهم آسروهم والواقع ان نسبة مئوية ضئيلة للغاية من الزنوج المسترقين تدرج تحت تعريف أسرى، الحرب الا أن عدداً أكبر بما لا يقاس كانوا من الرجال الأحرار وأعضاء في الاسرة او من التابعين لبلاط الملك الأفريقي لم يعودوا في عين ملكهم حيث يقبض عليهم الملك بالقوة ويجررون جراً الى سفن الرقيق، استمرت هذه التجارة امداً طويلاً فأخذ معن السائمة البشرية ينضب – نلاحظ هنا ان الكاتب يعبر عن هؤلاء الرقيق بالسائمة البشرية لكي يبين لنا نظرة أولئك الأوروبيين والأمريكيين الى الإنسان في افريقيا – وعندئذ بدأت مطاردة الرجال، تقوم على أساس منتظمة في غير نطاق حرب، فما كان الأمر اذن يتعلق بايقاع الرجال الأحرار في قبضة الأسر على نحوٍ منهجي منظم، ولم يكن هناك أسرى حرب بأي شكل من الأشكال».

«شنّ البرتغاليون حملات في انجلترا بغرض أسر اكبر عدد ممكن من الأرقاء صراحة ودون مواراة». وكانت القبائل تعيش في هذه الارض منذآلاف السنين، فإذا فجأة يأتي العسكريون البرتغاليون الجشعون، كانوا يأتون ويحاصرون هذه القبائل وأخذون أبناءها أسرى، والذي ينتفعون منه يذهبون به أسيراً، والذي لا ينتفعون به يقتلوه لا لذنب أقترفه، ولكن لأنهم يحتاجون الى مجموعة بشر أرقاء.

ثم يواصل المؤلف:

«ان هناك الكثير من الشك حول حجة التبشير بالانجيل.. فعندما نرى اللامبالاة والاستهتار من جانب أصحاب الرقيق في هذا الشأن حيث كانوا يقولون نحن نريد أن نذهب بهم الى الجنة المسيحية ونشرهم بالديانة المسيحية الجديدة» هذه كانت حجتهم الظاهرية، ولكن دعونا ننظر الى الواقع الذي كانوا يمارسونه بعدأخذ هؤلاء..

## ● اذا نجى من الموت لم ينج من الرق

«بعد أن تبرم الصفقة بين تاجر الرقيق والأمير الأفريقي، أو نائبه، أو عندما يسيطر

على العشيرة الأفريقيبة بالقوة يساق أبناؤها أسرى، وعندما يصل البحارة المسلمين ويدفعون بارقاء المستقبل دفعاً و يقيدون كل اثنين معاً في الأغلال، كان الأسرى يشورون في الغالب في لحظة خلال رحلة السفر، ولكن هذه الثورات كانت تخدم بعنف».

ويقول الكابتن «فайн اشتاين» في يوميات سفينته: كان تاجر الرقيق يتأكد صباح مساء ان الأسرى لم يحاولوا أن يتخلصوا من الأغلال، وكان الأسرى قبل الرحيل يوسمون بعلامات معينة، كانت العملية تتم عادة عن طريق الوسم بواسطة شفرة رقيقة من الفضة تحمل علامة السفينة، أو صاحبها، وكان لادة الوسم تلك يد من الفضة مثبتة بقبض خشبي ويسخنها الموكل بالعملية على النار، ثم يدعوك بالشحم ذلك الموضع من الجسم الذي لا يتعدى الكتفين أو الفخذين، أو حلمتي الصدر، وفقاً لطبيعة ونوع البضاعة، ويضع فوقه ورقاً دهيناً ثم يختتم بالعلامة من فوق الورقة، فكان الجسم ينتفخ ويسبب الألم ويظهر الحرق أو العلامة بارزة، ولا تنمحي أبداً، ويظل الأسرى مقيدين بالأغلال في اماكنهم تفادياً للثورة، أو الانتحار حتى تصل السفينة الى عرض البحر ويتعد الشاطيء الافريقي تماماً حيث يختفي عن مرمى النظر، وقد قال قبطان سفينة الشمس في ١٦ سبتمبر ١٧٧٤ م القت ١٤ امراة بأنفسهن معاً في البحر من فوق ظهر السفينة» ولكن الكابتن فайн اشتاين وصف حادثاً ماثلاً على نحو آخر، ربما كان فيه نفاق كبير حيث يقول: «استبد الفضول بنساء جلسن جميعاً من نفس الناحية وتعرضن لخطر السقوط في الماء مع اولادهن» – هكذا كانت النساء تحاولن أن يلقين بأنفسهن مع أولادهن في عرض البحر لكي لا يظلن في الأسر، ثم يبين الكاتب كيفية وضع هؤلاء داخل السفينة اذ يقول:

«يضعون كل ثلاثة من العبيد فيما يقابل الحيز الذي يشغله برميل واحد من البضاعة» انظر مدى المعاملة اللاانسانية التي كانوا يتعاملون بها مع البشر الاحرار الذين لا جرعة لهم الا انهم كانوا عزلاً من السلاح فلم يستطعوا أن يدافعوا عن أنفسهم مقابل مدنية الغرب الجاهلية، ثم يضيف المؤلف: «وكان مجموع ارتفاع الطوابق التي يحشد فيها الأسرى حشداً يتراوح من متر ونصف الى مترين، مما يحول

دون أن يقف الأسير منتصباً دون انحناء، وبلغ من جشع بعض القباطنة، أن كان تكوم الأسرى يصل إلى حد أن يضمّوا إلى بعضهم – كالبرتقال في الصناديق. وفي مثل هذه الظروف البشعة، وبالنظر إلى الوضاع الصعبة التي كانت سائدة في ذلك العصر، ليس غريباً أن تصل نسبة الوفيات إلى درجة مخيفة بين الأسرى فقد كانت تتراوح من – خمسة بالمئة إلى أربعة وثلاثين بالمئة۔

والسؤال الذي يُطرح بهذا الصدد هو:

## ● هل تغير شيء؟

هل تغيرت صورة ذلك الأوروبي البشع أو الأميركي الوجع ياترى؟ بالطبع ..  
كلام.

اذ لم يتبدل من بعد ذلك اليوم الذي كان يتعامل فيه مع الأفريقيين والأسيويين لسبعين بسيطين جداً هما:

### • اولاً:

لم تحدث حسب معلوماتنا ثورة إلحادية في أوروبا أو أمريكا. اذ لم نر شيئاً من هذا القبيل. وما جاءهم نبي جديد علمهم مكارم الأخلاق، كما قال رسولنا الرايم محمد(ص):

■ (انما بعثت لأتم مكارم الأخلاق)

ذلك الرسول الذي يعاتب بلا لاأنه مرّ بالأسرى على القتل من أهله، فقال له الرسول(ص): بما معناه..

■ (ما أقسى قلبك يا بلال! لماذا مررت بهؤلاء الأسرى على قتلهم، لكي يجذعوا؟)

ذاك هو الرسول الذي جاءت الآية الكريمة في سورة «هل أتى» تُشيد بموقفه وائل

بيته بالنسبة الى اسرى الحرب فمهمما كان أسرى الحرب، اي صاروا عبيداً، أم حظوا بالحرية بعد الفداء، أم أعتقوا لوجه الله بعد أن صاروا ريقاً فذابوا ليصبحوا جزءاً من المجتمع الاسلامي، حتى لو استمر اسم العبد أو اسم الرق عليهم ظاهرياً، فان هناك آيات كريمه تؤكد على ضرورة الاهتمام بالأسرى، ولم تحدث في أوروبا ثورة كهذه الشورة الاسلامية ولا في امريكا، بل بالعكس تماماً حيث تعلم عن اخلاق اورو با وامريكا، انها تتردى يوماً بعد يوم، والشيء الذي كان انسانياً ومحترماً واخلاقياً في الجيل الماضي لم يعد كذلك، والشعب الاوروبي يتهابط اليوم عبر دركات اللاانسانية واللاملائقة في كافة المجالات، وهذا شيء واضح ..

إذاً فأوروبا وامريكا، وهكذا الاتحاد السوفيتى، تعاملنا بنفس تلك الروحية، ولكن مؤطرة باطار آخر. والفرق هو ان اولئك لم يكن لديهم صحفيون يبررون مواقفهم، فلم تكن لديهم اذاعة «مونتكارلو» أو مجلة «المجلة» أو «الحوادث» أو «الاسبوع العربي» أو «الوطن العربي» تبرر تلك المواقف الرذيلة، ولكن اسرائيل تملک اليوم مثل هذه الصحف، وهذه الاذاعات للتبرير، فاسرائيل فعلت ببلنban مثل ما كان الفرنسيون يفعلون بافريقيا، ولكن تحت شعار آخر، وحكومة العراق البعثية عملت بالشعب العراقي مثل ما عمل الفرنسيون والبريطانيون بشعبنا الجزائري والمصري والفلسطينين، ولكن يملک اليوم جيشاً من الاعلاميين المرتزقة الذين يبررون جرائمهم.

## • الواقع الوحشى لممارساتهم اللاانسانية

### • ثانياً:

نحن نرى بوضوح ان صانعي القنابل الذرية التي تستطيع ان تهدم العالم عشر مرات وصانعي الاسلحة الكيمياوية الخطيرة جداً والتي هي أخطر بكثير من الاسلحة النووية: هؤلاء الغزاوة الذين قتلوا من الشعب الفيتنامي مليوني انسان ومن الشعب الكمبودي مثل ذلك و الى الان لايزال التزيف البشري مستمراً في كمبوديا،

والذين استخدموا صداماً ليشن حرباً لا تبقى ولا تذر، هؤلاء لا يتورعون عن تصفيه المسلمين، لا يتورعون ان يجعلوا شعب مصر وارض مصر مخزناً للنفaiات النووية التي تهدد هذه الارض الىآلاف السنين القادمة.

ان من الجرائم الخيانية الكبيرة التي قام بها السادات انه سمح للامريكيين ان يجعلوا ارض مصر مدفناً للنفaiات الذرية، تلك الجريمة التي كان الشاه البائد يريد ان يقوم بها في ايران، ولكن جاءت الثورة الاسلامية المباركة، وطهرت به والحمد لله رب العالمين فلم يستطع أن يفعل شيئاً، ومن المعروف أن خطورة هذه النفaiات النووية أشد فتكاً من استخدام القنبلة الذرية، لأن اشاعات هذه النفaiات تبقى لآلاف السنين مستقبلاً ما يؤدي الى قتل الأبرىاء والضحايا بالسرطان، الا اذا حدثت حادثة كونية غريبة لانعرفها، لماذا لم يدفنوا هذه النفaiات عندهم في صحراء نيفادا؟ او لماذا لم يلقوا بها في البحار؟

اما جاءوا بها الى بلادنا لأنهم لا يمانعون في ابادتنا واذا بقينا متخلفين فانهم سيسمحون لأنفسهم بأن يتعاملوا معنا كما يتعاملون مع الفئران!! وهناك اذا كان في بلادهم جمعيات للرفق بالحيوان فإنه لا توجد جمعية للرفق بالانسان! فليس امامنا إلا أن ننطلق اطلاقاً واحدة وسريعة جداً لتجاوز عقبة التخلف.. والاسلام هو الذي يضمن لنا التقدم ان اخذناه بكل ابعاده من دون اجتهاد و اختيار حيث لا يمكن ان نختار نصاً و نعمل به وترك آخر، اما الاسلام كل لا يتجزأ، والاسلام هو الذي يستطيع أن يقفز بلادنا الاسلامية بالذات وبصفة عامة ببلاد المستضعفين في العالم الثالث فوق حواجز الاستعمار في طريق التقدم وذلك عبر خمس مراحل:

## • الاولى: الاستقلال ضمان التقدم

الاسلام يضمن لنا الاستقلال ويقول:

■(من مات دون دينه فهو شهيد، ومن مات دون ماله فهو شهيد، ومن مات دون عرضه فهو

شهيد) ■

فالاسلام يزودنا بسلاح الشهادة، وسلاح الشهادة هو سور الاستقلال ولن يمكن لبلد ان يتحدى القوى الكبرى، الا اذا تسلح بسلاح الشهادة في سبيل الله، والاسلام يقول لنا أيضاً:

\* [وَاعْدُوهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تَرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعُدُوَّكُمْ] \*  
— ٦٠ / الانفال —  
كما يقول أيضاً:

■ (الجنة تحت ظلال السيف) ■

و يقول:

■ (تابوت أمة محمد(ص) السيف) ■

والنبي(ص) يقول:

■ (الخير كله معقود بنواصي الخيل) ■

أجل ان الخيل والخيالة يشكلون حصننا لنا ولبلادنا ضد اعتداءات الآخرين عبر فلسفة الجهاد في سبيل الله، وهو ركن أساسى من اركان الدين.

## ● الثانية: الاكتفاء الذاتي بداية الاستقلال

بعد أن ضمننا استقلالنا من الغرب والشرق تبدأ عملية التنمية الحقيقة. وفي هذا الشأن يجعل الاسلام كل فرد من افراد الأمة الاسلامية عاملًا مجددًا في سبيل التنمية الاقتصادية، وهناك نظرية خاطئة وفاشلة في التنمية الاقتصادية احذر منها الشعوب الاسلامية والعارفون بعلم الاقتصاد الحديث يدركون ماذا أقول .

تقوم هذه النظرية على أساس الجزر الصناعية التي تثبت في بحر التخلف، وهذه

الجزر سوف لا تستطيع ان تتصل ببعضها الى الا بد لان هناك من لا يريد لها ذلك.. .  
فهم يبنون المدن الكبرى، كطهران مثلاً، وبغداد، والقاهرة، والعواصم الاخرى في  
العالم المتخلّف (النامى) كأفضل ما يكون البناء، شوارعها وبنياتها ووسائل  
تكيفها، ووسائل المواصلات فيها، تماماً كالعواصم الأوروبية بحيث لا تجد فرق  
بين باريس وكراكاس، ولا تجد فرقاً بين لندن وبغداد مثلاً، ولكن الفرق ان تلك  
المدن في فرنسا او بريطانيا او غيرها، اما هي مدن في ارض معمورة القرى والشوارع،  
الصناعات موجودة والرفاه منتشرة في البلاد كلها، ولكن في العالم الثالث لا تجد  
سوى العواصم معمورة.

ذات مرة كنا في سفر داخل ايران فمررنا ببعض القرى، والقرية الواحدة يكفي  
ان يصرف عليها من المال مقدار ما يصرف في طهران على بناء واحدة لكي تعمّر،  
ولكن أهل تلك القرية يعيشون أسوأ ما تكون المعيشة اذ يحتاجون الى الماء، والى  
الوسائل الأولية للحياة، كما يحتاجون الى فرص العمل، فهذا هو فعل الشاه.. وهكذا  
تفعل كل الانظمة الذيلية، يبنون صناعة متقدمة جداً، بينما البلاد تحتاج الى ابسط  
الصناعات!! وماذا تنفع الصناعة المتقدمة المرتبطة بالشرق أو بالغرب..؟ ماذا تنفع  
الصناعة المنتاج (التجميعية) التي لم ين عليها الغربيون بالمواد الخام أو بالآليات  
والمستشارين، فان هذه الصناعة تموت..؟

كثير من بلداننا في العالم الثالث، وبالذات في المنطقة العربية حاولت ان تقفز  
إلى الصناعات الثقيلة، مثل مصر والجزائر، ولكنها جميعاً فشلت. لأنها كانت تتبع  
نظريّة «الجزر الصناعيّة» يعني ان هذه الأرض كلها بحر من التخلّف.. الا ان  
الحكومات تقوم ببناء مدن صناعية متباشرة لا تستطيع ان تقوم باي انجاز حقيقي  
ومفيد. اننا اذا أردنا التقدم الحقيقي لابد أن نبدأ بالزراعة، أي من اشباع بطوننا..  
ان لا نحتاج الى الآخرين في غذائنا ثم نبدأ ببناء القرى ثم تستمر عملية التوجيه الى  
التقدم عبر كل ارجاء البلد وكل القنوات وعلى كافة الأصعدة..! وليس عبر مجموعة  
بشرية بسيطة. اننا فيما لو خيّرنا بين ان نبني جامعة لنسبة واحد بالآلاف من شبابنا

أونبني مدرسة ابتدائية لكل ابناء الشعب، فاننا يجب ان نختار بناء المدرسة الابتدائية، لأننا نريد أن نرفع مستوى الشعب كله، وهذه النظرية هي التي طبقها الاتحاد السوفيتي في العشرينات وفي الخمسينات تقريباً، طبقتها كوريا الشمالية، وطبقتها بعض البلاد الأخرى فانتصرت ونجحت.. اذن ينبغي ان يتحرك الشعب كله نحو التصنيع والتقدم فلا يكفي ان تكون لدينا نخبة من الصناعيين او مناطق صناعية، بل ينبغي ان نسد الابواب كلها في وجه الصناعة الاجنبية، كما فعل اليابانيون قديماً، حينما قالوا: «لانشتري من الخارج شيئاً» حتى أنه انعدم في ظرف من الظروف الحذاء في اليابان. فأخذ الامبراطور الياباني في ذلك العهد قطعة من الجلد ووضع بين جانبيها خيطاً، ثم جعله في قدميه، وقال هذه حذائي الى ان نصنع الأحذية في بلادنا، نحن لانشتري من الخارج !!

## • لنبدأ من جديد

اننا حتى ولو عدنا الى عصر الحمير والمصابيح النفطية والمشي على الاقدام، والى عصر الزراعة التقليدية القديمة بسبب مقاطعة الصناعة الاجنبية، فلا بد أن نفعل ذلك، اذا كان يؤدي بنا الى التطور الذاتي !!

ففي ايران وبعد انتصار الثورة الاسلامية، أمر الامام الخميني بأن يزرع الايرانيون الأراضي التي تسقى بالامطار، فزرعوا وحينها تورطوا في عملية الحصاد، حيث لم يكونوا يملكون حاصدات آلية بالقدر الكافي، لان الزراعة الايرانية خصوصاً في مجال القمح ارتفعت من مليونين طن الى حوالي ستة ملايين طن سنوياً!! فقال الامام «احصدوا عن طريق (جهاد البناء)».

فانتشرت الجماهير في الصحاري، وأخذوا يحصدون المحاصيل واستمرروا على هذا المنوال الى أن استطاعوا الحصول على الحاصدات الآلية بالمقدار الكافي، وهذه هي الطريقة الصحيحة اذا لم نجد الحاصدات بالمقدار الكافي، فلنزرع ولنحصد بأيدينا

حتى وان كانت طريقة بدائية، لأن الحاجة هي أم الالتحزاع.

كان الصينيون يشكون من كثرة الطيور التي تأكل حبوبهم فقرروا ان ينهوا هذه الطيور فتواردت الاقتراحات من ابناء الشعب وقدمت للقيادة، كان أحد الاقتراحات يقول: «نقتلها بالرصاص»! لكن القيادة قالت ان هذه الطريقة تحتاج الى ميزانية ضخمة، وجاء اقتراح آخر يقول: «نقنصها» قالوا: هذا صعب، فلدم اقتراح آخر يناسب وضعهم وكثرتهم السكانية حيث يقضي بان يجلس الصينيون في الصحاري متبعدين، كل واحد يبعد عن الآخر بفاصله عشرة امتار ويد كل واحد طبل أو شيء كالطبل، فيقرونون الطيول في يوم واحد فتفزع الطيور وتطير متزعجة من مكان الى آخر الى ان يتعب الطير فيها، وبالفعل نجحوا في ذلك، وأراد الصينيون أيضاً ذات مرة أن يبنوا سدوداً فلم يجدوا مواد البناء بالمقدار الكافي فرجعوا الى الوراء فبنوا السدود الخشبية وبأيديهم، وهذه هي الطريقة الصحيحة.

اننا كنا نعيش في هذه البلاد قرولاً عديدة لم نكن نحتاج فيها الى وسائل المستعمرين في الري، ولا الى وسائل ترفيههم، فقد كنا نعيش عيشة منتظمة جيدة.. انهم غزوا بلادنا وعملوا على هدم اقتصادنا، ولابد أن نبدأ ببناء هذا الاقتصاد من جديد وبوسائلنا الذاتية. ففي ايران، وبعد انتصار الثورة الاسلامية عملت منظمة «جهاد البناء» باعادة قنوات الري القديمة لأنها ثبت علمياً بأن الآبار الارتوازية التي حفرها النظام البائد كانت مضررة للزراعة الايرانية فعاد الشعب خطوة الى الوراء واصلح القنوات القديمة فتقدمت الزراعة، ولاشك ان في كل البلاد هناك وسائل ذاتية فعلينا أن نعود اليها، وإذا تحركت الجماهير فإنها تحبو في البدء، ولكنها شيئاً فشيئاً تسير وتركض، اما اذا فصلنا الجماهير عن مشاريع البناء والتنمية وأخذنا نستورد المضارة من الخارج سنبقى أذلة خاسئين دائماً.

### ● الثالثة: بناء التنظيم الاجتماعي

علينا ان نعيد بناء البنى الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية السابقة، فلا بد أن

نعود الى عشائرنا وتجمعاتنا الاجتماعية.

ففي مقابل التنظيم الاسلامي قد تكون العشائرية تنظيماً متخلفاً، ولكن في مقابل الغزو الاجنبي، فان العشائر تشكل تنظيماً جيداً لابد أن ننتهي اليها، ولابد من جهة اخرى أن نعود الى مساجدنا، لأن تنظيم المسجد ثبت أنه الأقوى بين التنظيمات الاجتماعية التي حاول الاستعمار ان يهدمها في مقابل تنظيماته التي أتى بها اليها فلم ينجح، ولابد أن نعود الى العلاقات الأسرية القوية، لأنها تمنع القوة والمتانة لبلادنا، هذا في المجال الاجتماعي.

اما في المجال الاقتصادي فلابد ان نعود الى المؤسسات الخيرية، بالرغم من انها تبدو وكأنها لا تنفع الا أنها تنفع كثيراً، اذ ان تأسيس صندوق لتقديم (فرض الحسنة) يعود بالنفع اكثراً من البنوك التي هي وسائل لامتصاص دماء شعوبنا.

ولنعد الى قانون المضاربة والسماءة.. قانون من (احيا ارضًا ميتة فهي له) فهذه القوانين الاسلامية هي القوانين الاقتصادية الصحيحة التي عمل الاستعمار على القضاء عليها.

ويأتي في رأس هذه البنى، البني السياسية الاسلامية التي لابد ان نعود اليها وبكل عنف، ومهمماً كلفنا من جهود وتضحيات.. اذ لابد ان ننظم انفسنا عبر تنظيمات رسالية لمختلف فئات الشعب وقطاعاته، للأطفال، والشباب، والكهول، للرجال، والنساء، لأن هذه التنظيمات الرسالية تعتبر حصنناً لاستقلال بلادنا وتنبع تسرب الافكار الخاطئة وتسلل العناصر العمiliaة الى داخل المجتمع الاسلامي، ف بهذه الوسيلة سوف نبدأ الخطوة الاولى في طريق الألف ميل، ولكن هذه الخطوة هي الخطوة السليمة على هذا الطريق.



## الحضارة الاسلامية من أجل الانسان (١)

● حينما نحصن مجتمعنا الاسلامي بأسوار عالية من الاستقلال الاقتصادي، والسياسي، والاجتماعي، وعلى أساس جاهيري دون التفكير في النخبة، فآنذاك تبدأ المرحلة الأولى في بناء أسس الحضارة الاسلامية.

و قبل توضيح هذه المرحلة و تسجيل بعض الملاحظات حولها، لابد من القول ان الحضارات البشرية قد اختلفت من البدء في اهدافها، فبينما كان أساس التقدم الاقتصادي في اغلب الحضارات المادية هو الحصول على المال والثروة وسيطرة جماعة ضد أخرى، نجد أن المدف في الحضارة الاسلامية هو اسعاد الانسان نفسه، لأن الانسان وسيلة مناسبة لتقدم المجتمع، ولا لأن الحضارة لا تتم الا ببناء الانسان – كما تقوله العقلية المادية الجاهلية – واما لأن الانسان هو هدف الحضارة.

### ● الانسان الضائع في الغرب

ان الانسان هو الغائب الاكبر في جاهلية القرن العشرين، فكل شيء يُحسب له حساب الا الانسان!! ونظرة بسيطة الى واقع المعسكرين الغربي والشرقي تكشف لنا

هذه الحقيقة المرة، فإذا قرأت كتاب «الإنسان ذلك المجهول» أو كتاب «صدمة المستقبل» أو كتاب «سقوط التكنولوجيا» الصادرة عن العالم الغربي والكتاب كلهم غربيون ومتغلبون في الغربية ولا يؤمنون بالقيم التي نؤمن بها نحن، مع ذلك عندما تقرأ كتابهم تكتشف مدى المأساة التي يعيشها الإنسان الغربي بسبب المكينة التي حولته إلى مجرد «برغي» في آلة الحضارة التي سحقت الإنسان، وقد عبر أحد المؤلفين عن واقع الحضارة الجاهلية بقوله: حينما تنظر من فوق بناية شاهقة نظرة عابرة إلى الشارع القريب منك، تجد الناس يتحركون بسرعة وإلى أهداف معينة ومحددة سلفاً واكثراها أهداف مخططة تحظى كاملاً، ولا يعرف أحد من الذي خطط له هدفه. ويشبه هذا الكاتب الناس في العالم الغربي وهم يتحركون إلى أعمالهم، يشبههم بالأدوات التي توضع على الحزام المتحرك في المصنع، ثم تتحرك هي بدورها، ولكن دون أن تعي لماذا تتحرك؟ وكيف؟! أنها تتحرك وتتوقف قليلاً عند كل عامل ليضع فيها شيئاً جديداً أو يتأكد من ضبط برغي في مكانه.. حتى تنتقل من لدنها إلى الشخص الثالث فالرابع إلى أن تخرج على شكل سيارة، والسيارة بدورها لا تستقل في أمرها، إنما تُتابع إلى حيث تشاء الشركة المنتجة لها، أليس كذلك..؟

لقد تحول الإنسان في الغرب هكذا إلى آلة في الجهاز العام، والجهاز بكامله أصبح غير عقلاً ولمعرفة ذلك علينا أن ندرج ولندرج نزولاً من القمة إلى القاعدة.

رئيس الجمهورية يختاره كبار الرأسماليين الذين يدعمون ترشيحه لهذا المنصب، ويصرفون على دعاياته وأحزابه، والرأسماليون الكبار يتبعون بدورهم نظاماً اقتصادياً معقداً لا ارادة لهم في اختيار غيره، لأنهم مرتبون بالنبوك والعمال والشركات والمصانع، ومرتبون بديناميكيات المجتمع، وقوانين السوق القائمة بدورها على قانون العرض والطلب، وبالتالي مرتبون بمجموعة متكاملة من القوانين التي لا تدعهم يملكون من أمرهم شيئاً.

إذا نزلت قليلاً إلى المدراء واصحاب المكاتب أو من يسموهم «باصحاب القمصان البيض» هؤلاء بدورهم لا يملكون لأنفسهم شيئاً، لأنهم موظفون أدوات

وكل واحد منهم يدير شيئاً بسيطاً، ولا علم له بما يجري في الغرفة المجاورة له ثم هكذا هبوطاً الى العمال، فهم حسب تعبير بعضهم (السائمة البشرية) حيث تتم ادارتهم ادارة ذاتية أو شبه ذاتية فهم لا يستطيعون أن يختاروا نوع ملابسهم بحرية الا بالكاد، لأن اختيار الملابس يخضع للإعلانات، وحسب ما يقول مؤلف كتاب «صدمة المستقبل» أصبح الناس -اليوم- يختارون شعر زوجاتهم حسب الإعلانات التي يجدونها في الجرائد والمجلات أو حسب الأزياء والالوان التي يرونها في التلفزيون!

## • كالأنعام بل هم اضل سبيلاً

من خلال أسفاري الى القارتين، الأوروبية، والامريكية، وجدت ان الانسان الأوروبي اليوم يهبط فكره، لأنه صارت درجياً يتحول الى جزء من جهاز كبير، لا يعرف دوره فيه، فهو لابد أن يذهب الى روضة الأطفال ولا خيار له في ذلك وبعد الروضة تأتي المدرسة الابتدائية، ومن ثم المراحلة المتوسطة فالثانوية.

وما يدرس في الابتدائية خاضع لما تقرره مناهج التربية، وهكذا في الثانوية والجامعة ثم يتخرج ليبحث عن مكان يأوي اليه ويملاً فيه بطن!! فيذهب الى وكالات مخصصة للتوظيف وحسبما يقيمه يتعاملون معه، تماماً كما يتعاملون مع بضاعة تباع وتشترى! لا كإنسان، هكذا يتعاملون معه كالآلية، لا يحس بانسانيته ويعيش غريباً طول عمره والى أن يحال الى التقاعد، لا يعرف ماذا عمل؟ ولو طلبت من أحدهم أن يكتب مذكراته فليس لديه في حياته شيئاً مثيراً يكتب عنه، انه لا يملك شيئاً غير ما تمليه عليه وسائل الاعلام، انه يكون معلوماته وافكاره واراءه حسب التلفاز والراديو والصحافة، فهو يتحرك على اساس ما يقول له جهاز التلفزيون، يتصرف ويعمل حسب ما توحى له الشبكات الاعلامية الكبرى، ولو سألت الشبكات الكبرى نفسها لرأيت انها هي الآخرى جزءاً من ماكينة كبرى اسمها «المجتمع الغربي»!!

## ● التكنولوجيا تلتهم الانسان

وبحسب تعبير «سقوط التكنولوجيا» يقول الكاتب: ان الانسان في اوروبا أصبح لا يستطيع مقاومة غول التكنولوجيا، فالتكنولوجيا الآن اصبحت اكبر من الانسان.

إن الانسان صنع التكنولوجيا ليستفيد منها فاذا بها هي التي تستفيد منه وتسخره، فكل شيء لمصلحة الربح، وكل شيء لمصلحة النمو الاقتصادي، ولكن النمو الاقتصادي لمن؟

فالسيد هو المصلحة، والمصلحة هي الدنيا، والدنيا هي اللاعقلانية، والبشرية تتجه بسرعة الى الجاهلية واللاعقلانية، وهذا أحد معاني قول الله سبحانه وتعالى:

\*[ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم]\*  
—الحضر—

لقد تحول الانسان الى اداة صغيرة في جهاز كبير، لا يملك فيه اي خيار، الامام الحسين(ع) يعبر عن ذلك بقوله:

□(الناس عبيد الدنيا)□

انهم عبيد لا يملكون لأنفسهم خياراً، هذا بالنسبة الى العالم الغربي الذي يدعى الحرية الذاتية وما أشبه.

اما العالم الشرقي فانه يقول بصرامة: ان الانسان يجب أن يذوب في بوقة المجتمع ولا شيء آخر..

## ● الثورة ضد الاقطاع

الغرب. ولكن سواء كانت واضحة كما لدى الشرق او مغفلة كما في الغرب فان الانسان وبالتالي قد احترق بنار التكنولوجيا وبنار المكنته، واللاعقلانية في الحياة، وقادت مظاهرات كبيرة وكثيرة من قبل الشباب في أوروبا وفي امريكا باسم ثورات الشباب ضد «الbiznes»<sup>(١)</sup> وهي كلمة لانعرفها — نحن الشرقيين — ولكن يفهمها الشباب الغربي أكثر منا لأن الشاب هناك لا يفتح عينيه الا على كلمة بزنس، ولا يفتح أذنه الا على biznes ولا يرفع رجلاً وبضم اخرى الا من أجل biznes، وعند النوم يحلم بالbiznes.

وهكذا الى ان تنتهي حياته وهو مع biznes، لذلك تجد في سنة ٦٨ كيف انفجر الشباب كبركان ثائر في اتجاه فرنسا يطالبون بنوع من الحرية، وكان فيلسوف تلك الثورة التي سميت بثورة الشباب «أربيرت ماركيوز» الذي كتب كتاباً كثيرة من أبرزها كتابه «الانسان ذو البعد الواحد» والذي قال فيه: «ان هذا الانسان قد ولد انساناً فتحولناه نحن الى آلة فقد انسانيته».. والغريب في الامر ان بعض الفلاسفة الغربيين قد اكتشفوا ظاهرة غريبة هي ان التكنولوجيا لم تكتفي بابتلاع الانسان الذكر، واما هي الان تتجه الى ابتلاع الانسان الأنثى، ورغم ذلك فان الغرب ما زال مصراً على التحرر — تحت شعار تحرير المرأة — في هذا الاتجاه تصبح المرأة عاملة في مصنع، او بائعة بنزين في محطات الوقود. او شرطية مرور في الطرق، وسوف تواجه المرأة نفس المشكلة التي حولت الرجل الى آلة.

ماذا يريدون من المرأة..؟ اذا كانوا يريدون لها الحرية، فمن تتحرر؟ هل تتحرر من انسانيتها لتسبعد للمادة كما استبعد الرجل لها..؟!

يقول أحد الفلاسفة الغربيين: «بِاللَّهِ عَلَيْكُمْ دُعُوهَا فِي بَيْتِهَا وَمُخْدِعُهَا! دُعُوها تكون انسانة مربية للبشر القادمين لا تأخذوا الاجيال القادمة من حضن الانسانية

---

(١) «biznes» كلمة انجليزية تعني الانهماك في الاعمال المادية تجاريأ.

بأخذكم للمرأة، حينما تأخذن المرأة من بيتها ومن أنوثتها ومن حكمة خلقها — لأن الله قد خلقها لتربي الأولاد وتربي الجيل القادم، فانكم سوف تظلمون الاجيال القادمة — انكم ظلمتم هذا الجيل فكفي ! لا تظلموا الاجيال القادمة»، ونعم ما يقول هذا الانسان ..

وللامام الخميني حفظه الله تعالى كلمة قالها في باريس عن المرأة وأهدافها حيث قال : (أننا لانريد ان تحول المرأة الى شيء ، نريدها ان تبقى انسانة) وهذه الكلمة لايفهمها الانسان الا اذا نظر الى مئات الألوف من النساء في اوروبا وامريكا كل صباح كيف ، يخرجن ، من بيوتهن و يغبن في أسفل الأرض او في الانفاق او في القطارات السريعة ليتحولن الى جزء من تلك الماكنة الكبيرة ماكنة الحضارة اللاعقلانية ، ولا يعرفن لذة تربية الاولاد ، ولا يعطين الحب للجيل القادم ولا يشعرن بانسانيتهن وهكذا تصبح المرأة مجرد «شيء» .

## ● الاسلام والمادة

وعلى العكس من ذلك تماماً نجد كيف يؤكّد الاسلام على انسانية الانسان وعلى حريته، بل وعلى فردية وذاتية الانسان كانسان، اذ يقول للانسان: حذار ان تستعبدك المادة فانها تخدعك وتغررك، انها في البدء تقول انت الذي تسود ولكنها في النهاية هي التي تسود عليك !! فأنت من الوهله الاولى قد تعتقد انك تركب السيارة ولكن حينما تلاحقك اقساطها الشهرية، يتضح لك ان السيارة هي التي ركبتك، انك أنت الذي تسكن البيت، ولكن البيت الذي تشتريه بثمن غالٍ فتبيع نفسك وشرفك وقيمك من أجل الحصول عليه هو الذي يسكنك، وهو الذي يستعمرك لا أنت الذي تستعمره ومنذ البدء قال لنا الأنبياء(ع) ان الدنيا خداعه:

\*[فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور]\*

فالانسان المسلم لا يتحرر من سيطرة التكنولوجيا والمادة فحسب، واما يسخرها لخدمته، فاذا سخرها استطاع ان يفك رمزاً من اعقد رموز حضارتنا الحديثة!، وهذا هو الفرق بين الحضارة الاسلامية والجاهلية الغربية.

من هنا فان الاسلام لايرضى بأن تكون في بلادنا جزر صناعية متقدمة تعيش في محيط من الفقر والتخلف، ولا يرى ان هذا الاسلوب هو اسلوب مجده ونافع لتقدير بلادنا، لأن بلادنا لا تستطيع ان تقدم بهذه الوسيلة، وليس الهدف من المال والثروة ان نمتلك الصناعة. فالصناعة وسيلة وليس هدفاً كي تصبح الآلة هي السيد الذي يستعبدنا! ان فلسفة الاسلام تؤكد على ان الانسان هو الذي يجب ان يسود الصناعة واننا يجب ان لانعزم هذه الصناعة الا في حدود سيطرتنا عليها فلا نجعلها إلهاً تسيطر علينا.

#### ٤ الرابعة: بعث الهمة وحب العمل في المجتمع

ضرورة بعث روح العمل والسعى في الامة وقطع الأيدي المستغلة والخائنة من المجتمع وهذه الأيدي هي التي تسبب تخلف المجتمع.

وهنا لي كلمة وهي: أننا نعتقد ان العالم الغربي اليوم يتقدم بقوة، ولكنه في نفس الوقت يحمل في داخله بذور التخلف، لأن الانسان الغربي سيصل بالتألي الى قناعة واضحة، ان ما يفعله لا ينتهي الى جيبه، ولا يؤدي الى رفاهيته، واما يتوجه الى آخرين، فهذا الشعور لن يغيب، ومهما حاولت اجهزة الصحافة والاعلام ان تخفي الحقيقة فان الانسان الغربي سوف يتوصل الى هذه القناعة يوماً ما.

#### ٥ الانسان الغربي واحتمالات المستقبل

كتب أحد الكتاب مؤلفاً باسم (الثورة في الولايات المتحدة الامريكية) مشيراً

فيه الى أن الولايات المتحدة الأمريكية هي الدولة الأقرب احتمالاً الى ان تتفجر فيها أكبر ثورة في عصرنا الحاضر ضد النظام القائم، وان هذه الثورة ليست ثورة شيوعية ولا ليبرالية ولا برجوازية! واما هي ثورة من نوع آخر، والملفت للنظر ان الكاتب لا يعرف ماهية النوع الجديد من الثورات، ولكنه يتمناً به، وهناك الكثير من يتباؤن بهذه الفكرة، فقد ظهر الى الآن العديد من الكتب حول هذه القضية وكلها مهتمة ببيان ان الولايات المتحدة الامريكية تحمل في أحشائها بذور الثورة لأسباب لامجال لذكرها هنا، انا نستطيع ان نقول انه مهما حاولت الاجهزة المختلفة ان تخفي الحقائق عن الانسان الغربي فانها ستظهر يوماً ما، فالى متى لا يتسائل الامريكي لمن أعمل؟ ومن المستفيد؟ ولماذا هذا المخزون النووي؟ ولماذا هذا الظلم؟ وهل صحيح اني أسعد لكي يشقى الآخرون؟ وهل أنا بشر؟ لقد جرت في سنة ١٩٧٩ عملية انتشارية جماعية غامضة انتحر فيها حوالي ١٩٠ انساناً في احدى المدن الامريكية، لأنهم اكتشفوا ان حياتهم شقاء، وانهم يعيشون في جحيم!!

اذن لابد ان يصل الغربي يوماً الى هذه النتيجة.. وهي ان جهوده ضائعة!! ومن هنا فان عجلة التقدم ستتوقف، هذا بالإضافة الى ان التقدم الامريكي والأوروبي والروسي ما هو الا تقدم كاذب وليس سوي سرقة وغشاً! واذا ما تقدم العالم الثالث واستقل عن الغرب، فان الغربيين لن يتوقفوا عن التقدم فحسب، واما ينهارون! والدليل على ذلك ما يجري في بريطانيا وفرنسا اليوم وأيضاً ما جرى قبيل الحرب العالمية الثانية! وأنني أعتقد بأن ما يجري في امريكا وأوروبا من تململ انا يعود الى سبب هام، هو ان الانسان الفرد في امريكا وأوروبا بدأ يشعر بأن ما يعطيه أكثر مما يأخذه بكثير.

وما يجدر الاشارة اليه أن هذه المشكلة نفسها باتت تخيم على شعوب العالم الثالث بالنسبة للفرد، والا فلماذا الركود؟ ولماذا النوم والكسيل في بلادنا؟ ان أحد الاسباب الرئيسية هو ان الانسان يشعر .. ويعمل ليل نهار، ثم يرى ان مكاسبه تذهب الى الدول الاشتراكية او تذهب الى المصارف الغربية والى كل حاكم سارق، ولكن

لاتعود اليه بنفع، فيصل الى نتيجة هي ان سعيه «هواء في شك» فلماذا يسعى؟ فالانسان يسعى لكي يأخذ نتيجة! لذلك حينما يأتي الاسلام، بقطع كل الايدي السارقة.. وعندها تنطلق طاقة الجماهير التي اذا شعرت بان مكاسبها ترجع اليها فستتحرک وتنتج!! لأن الانسان خلق بطبيعة متحرکاً نشطاً، فاذا ما شاهد جهوده تسرق، فان حاسه سرعان ما ينطفئ فيخلد للجمود والكسل.



## الحضارة الاسلامية

# من أجل الانسان (٢)

● لتجاوز مرحلة التخلف التي يعيشها العالم الثالث، ولما هذه المرحلة من مأس وکوارث، ولکي يخرج العالم من قبضة السيطرة الاستکبارية الاحتكارية للدول الاستکبارية الشرقية والغربية المتحكمه في مصير العالم، ولکي لا يكون مصير حوالي أربعمائه مليون من البشر في كف عفريتين أحدهما أقدر من الثاني، وأبعد عن الانسانية والعقل، ولکي لا يكون مصير كوكينا هذا بيد مجموعة قفزوا في ظلام الليل الى مركز الصدارة في الاتحاد السوفيتي وشكلوا المكتب السياسي هناك وراحوا يخططون لأنخاذ قرار البدء بحرب نووية لا تُبقي ولا تذر، وجموعة أخرى سموا أنفسهم بمجلس الأمن القومي في أمريكا وهم بدورهم أيضاً يخططون مثل هذا القرار فيضعون العالم بأسره على حافة الهاوية التي تتبع الارض من فيها، ولکي لا يأتي من هو مثل نيكسون الرئيس الامريكي الأرعن الذي قرر أن يضع جزءاً كبيراً من الصواريخ الذرية في حالة انذار قصوى من أجل الدفاع عن اسرائيل، ومن أجل ان لا يزاح عن السلطة بسبب فضيحة (وترغيت)، من أجل ذلك كله لابد وان يقفز العالم الثالث الى مرحلة التصنيع والتقدم، ولو استطاع ان يتتجاوز هذه الهوة المصطنعة بينه وبين العالم المتقدم، وأن يصنع نفسه ويكتشف سر اللعبة الدولية ويفك لغز الذرة ويفزو الفضاء وينفذ الى عمق المحيطات والى آخر ما هناك من حقول التقدم، فمما لا شك

فيه أن هذين القطبين لا يستطيعان أن يلعبا بمصير العالم، اذ سيكون هنالك أقطاب أخرى قادرة على فرض رأيها في هذا العالم، وستكون للقارة الافريقية شخصيتها وثقلاها وزنها وقرارها السياسي وال العسكري، وسيكون أيضاً لدول جنوب آسيا وزنها وثقلاها وقرارها، وكلما استطاع العالم ان يتقدم باتجاه تنوع وتكتير الأقطاب، فان سفينة الارض سوف تكون اكثر استقراراً، أما اذا كانت أمور الارض بيد قطب أو قطبين فان هذه السفينة ستتعرض للخطر، يقول الرئيس اليوغسلافي السابق (جوزيف بروستيت) في كتاب له: «ان من جنون هذه الحضارة ان يكون مصير العالم بيد ستة عشر فرداً فقط في هذا العالم، هم الذين يقررون لحظة سوداء من لحظات العالم الكونية التي تبיד كل شيء، ولا تذر أحداً على وجه الارض، ربما لا انساناً ولا حيّاً غيره».

اما اذا تعددت مصادر القرار في العالم فان هذه المأساة سوف لا تقع. ان هوة التخلف، هوة سحقيقة لابد أن نجتازها بالقفز عليها، وقد ذكرنا لذلك فيما سبق اربع مراحل، بقي ان نشير هنا الى المرحلة الاخيرة والخامسة وهي: ايجاد روح التقدم في الامة.

## ● الخامسة: ايجاد روح التقدم في الامة

ولكي نوضح هذه المرحلة لابد ان نشير الى نقطتين تمهدتين:

### ● النقطة الاولى:

(روح الامة) تعني مجمل الحالة النفسية التي يعيشها الشعب، والتي ت ملي رددود فعله تجاه الأحداث، وهي ايضاً مجمل القواعد الفكرية والثقافية والسلوكية والأخلاقية عند الشعب، والتي تشكل مجموعها ما يسمى بـ«روح الامة» ، فإذا أردنا أن نلقي نظرة على هذه الامة فيلزمنا ان نقول ما هي روح هذه الامة؟ أي ما مجمل أوضاع هذه الامة؟ وما هو مجمل الانعكاسات الشرطية التي تقع لهذه الامة امام الحوادث؟؟

والاجابة على هذه التساؤلات هي في الواقع بجمل ردود الفعل لدى الامة، والذي نسميه «روح الامة» وقد تتجه روح الامة ناحية التقدم، أو قد تتجه ناحية التخلف، وهذه هي الملاحظة الاولى..

### • النقطة الثانية:

حينما نقول ان الأمة ينبغي أن تتحرك روحها باتجاه الصناعة والتقدم فلأنه من دون تحرك تلك الروح، فإن تقدم الامة حتى لو تقدمت لن يكون لحسابها، وإنما لحساب قوم آخرين، وهذا الموضوع قد سبق وان طرقناه، ولكن نريد ان نستشهد حوله هنا بمقتضيات من اقوال كاتبين كلاهما يعتبر قوله حجة ومرجعاً علمياً في مجاله، الكاتب الاول:

يقول «ايسينوت» الذي مر علينا ذكره في مجال آخر عن التقدم الذي يحدث عبر التمويل الخارجي، وهو ما اسميه «الطيران بأجنحة الآخرين» ومن طار بجناح غيره كان على جناح السقوط.. يقول الكاتب في كتابه: «أصبحت القوة التي اكتسبتها التمويل الاجنبي الخاص من الخطورة بحيث صارت قادرة على مواجهة مجهودات التصنيع المستقلة وان تحطمها عبر انقلابات».. كما جرى في كل من: (البرازيل – والارجنتين – والمكسيك – وبلد آخر افريقي، هو غانا) حيث استطاعت الرساميل الاجنبية في هذه البلاد أن تبدل النظام اساساً عندما رأت أنها لا تستطيع أن تواجه المجهود الوطني في الصناعة فقامت بتبدل النظام وتغيير الوضع.

### • المواد الخام مصدر الانقلابات

لقد شهدت امريكا اللاتينية الكثير من الانقلابات، التي تسمى بـ«انقلابات الموز» لأن الشركات الاحتكارية القائمة على زراعة الموز هي المسبب الرئيسي لتلك الانقلابات، تماماً كما في بلادنا حيث تقوم الشركات النفطية الاحتكارية بصنع انقلابات النفط، وكالانقلابات النحاسية في زائير، وانقلابات الكوكاكولا في كثير من

البلدان النافذة فيها، فمعظم هذه الشركات تقوم باعداد الانقلابات في مطابخها لغير السلطة القائمة فتأتي بسلطة أخرى ترغم الشعب على تغيير عاداته وتربّب الوضع بما يتلاءم مع المصالح العليا لتلك الشركات.

وما هذه الانقلابات الا وسيلة ضمن الوسائل العديدة التي يصطنعها أصحاب الرساميل الخاصة ضد الاقتصاد الوطني، ضد النمو الصناعي الوطني، وهناك طرق أخرى، لاحضان الدول اقتصاديًّا وصناعيًّا، ولتدمیر الاقتصاد الوطني والقضاء على محاولات الاستقلال الصناعي حيث تقوم الرساميل الاجنبية بشراء المنشآت الصناعية الهامة — الخاصة منها وال العامة — بثمن بخس، ثم تقوم بتدمیرها اذا كانت تزاحماً في التصنيع والانتاج وأيضاً تقوم بالتسلي الى داخلها وأخضاعها لمصالحها الخاصة، وهذا يبدو كثثير الحدوث في امريكا اللاتينية، وفي الهند..

## • التطور بين التدريج وتعقيدات التكنولوجيا

اما الحديث الأكثر تفصيلاً وأهمية، والذي يستدعي الانتباه الى تفاصيله فهو الحديث الذي يقوله «هاري ماجدوف» وهو استاذ في جامعة هارفارد، وقد القاه ضمن محاضرة في احدى الجامعات، يقول هذا الرجل (وما هو مسلم ولا عربي ولا حتى ينتهي الى العالم الثالث، وإنما هو امريكي قلباً و قالباً، ولكن قد يعترف أحدهم بالحقيقة) يقول:

«صحيح ان هنالك حالة سحرية تحيط بماكناة الأوتوماتيكية السريعة وعمليات الانتاج المتطرفة (الالكترونية) والتي تعد معجزات في ميدان الانتاج الضخم لكنه ليس بوسع هذه المعجزات ان تفعل سوى القليل في ميدان رفع الانتاج الزراعي الى المستويات اللازمة ولتهاج المجاعة والتغلب على سوء التغذية، — في القسم الثاني من الموضوع، سأقف عند هذه النقطة بعض الوقت لأشرح ماذا يريد أن يقول هذا المؤلف — لهذا السبب فان المطلوب أولاً بصورة عامة هو مشاريع حفظ المياه

وانظمة الري والتحجيف، بالأنابيب والمضخات ومعدات النقل البسيطة في الغالب كعربات اليد والدراجات وتشكيلة من الأدوات الزراعية المتطورة والآلات البسيطة، وقد تساعد المصانع الكبرى الحديثة ذات الانتاج الضخم نظرياً، ولكنها ليست مفتاح الحل لمشاكل البلدان الفقيرة فمعظم ما هو مطلوب يمكن تحقيقه عملياً بتبعة القوى العاملة وتركيزها على المشاريع الاجتماعية الأكثر الحاجة فقط، ان معظم الأدوات الضرورية لتحسين الزراعة يمكن ان تصنع في معامل محلية صغيرة تستخدم أساليب غير متطورة، واساليب تقليدية في الغالب وتتمتع الصناعة المحلية المحدودة ببرونة اكبر في انتاج الأدوات الملائمة للترابة والظروف الطبيعية الأخرى، ومثل هذه المرافق يمكن ان تكون مفيدة جداً في التغلب على مسألة البطالة في الريف واستخدام الموارد البشرية المهدورة لغايات بناء، ولا تنشأ الحاجة الى كمية كبيرة من قوة العمل في الريف عادة الا في ذروة الموسم الزراعي فيما تظل هذه القوة بقية العام خاملة، وهكذا فانه بنمو الصناعة في الأرياف، يمكن تشغيل هذه القوة الخاملة في المعامل، وفي مشاريع البناء مع بقائها متوفرة في مواسم جني المحاصيل الزراعية. ان النقطة المهمة اذا ما وجہ الانتباھ للزراعة والصحة والاسكان وتعليم الطبقات المفروض عليها الفقر، هي ان التكنولوجيا ونوع الانتاج المطلوب سيكونان مغایرين كل المغایرة للانماط، والنماذج التي ترتبط عادة باستخدام التكنولوجيا الحديثة.

ثم يقول في مكان آخر: ان المطلوب قبل كل شيء هو تحويل الانتباھ عن التكنولوجيا ورأس المال الى الناس، فالتنمية الناجحة تعتمد في النهاية على تحول الناس أنفسهم وطالما ان هذه هي الحال، فعلينا ان نعي العقبات التي تفرضها روح الاتکالية لدى شعوب العالم الثالث، والتي تبدو بشكل صارخ في الاریاف حيث تعيش الأغلبية، اذ ان سيطرة كبار الملاكين والمرابين وزعماء القبائل والموظفين البيوکراطيين الصغار، هذه السيطرة المدعومة بقوات الشرطة المحلية وعصابات المرتزقة، عند الضرورة التي تضرب بجذورها عميقاً وتمس تقريباً جميع أوجه الحياة اليومية للعامل الريفي والمزارع».

واضييف: ان هذه العوامل تجحد الانسان في الريف وتحوله من انسان منتج فعال

متحرك معتمد على ذاته الى انسان ذيلي يلفظه الريف فيتحول الى بيوت الصفيح حول المدن ويحول البلد من بلد متخلّف الى بلد مرتكز في التخلف اكثراً فاكثر ..

ثم يواصل الكاتب: «كما ان هذه الروح الاتكالية موجودة وبشكال مختلفة في المدن أيضاً» بعدئذ يقول هذا الكاتب فيما يخص القسم الثاني من حديثنا: «فوق هذا كله هناك التبعية الثقافية وفقدان الثقة بالنفس الناشئان من جملة التاريخ الامبرالي الرسمي وغير الرسمي. لقد لُقِنَ الناس بأن أحسن السلع هو ما صُنع في الغرب (هذا انسان غربي يتحدث ويعلم كيف تعمل الشركات وكيف تربع) وان المخلوقات المتفوقة من سكان المراكز المتروبوليّة (أي الصناعية الكبرى) وحدها هي التي تستطيع ان تتقن فنون التكنولوجيا، كما ان اتحاد القمم الطبقي «والاستكبار الروسي أيضاً»، مع الامبرالية الثقافية يعزّزان الشعور بالعجز عن استخدام وادارة التكنولوجيا الحديثة. هذه العوامل مضافاً اليها عنجهية الاختصاصيين الغربيين الذين يذهبون الى العالم الثالث لاقامة وتشغيل المصنع الجديدة هي اسهامات مهمة في عزل القطاعات التكنولوجية الحديثة في بلدانه، هذا العالم في ادامة الاعتماد على التكنولوجيا الغربية».

وبعد أن يبيّن كثيراً من هذه المفارقات يضرب لنا مثلاً من واقع الصين بالقياس الى واقع هونغ كونغ، فهو نع كونغ مستعمرة تستورد آخر موديلات التكنولوجيا الحديثة، ولكنها في الواقع ليست الا بلدآً متخلّفاً، بينما الصين تعمل بعكس ذلك اذ تعتمد على ذاتها، وتعتبر اليوم - خارجة تقريرياً من العالم الثالث حتى لتکاد ان تصبح من أعضاء العالم الثاني فيقول الكاتب: وأشار هنا الى مقابله مع عالم الفيزياء (سي ان يانغ) الحائز على جائزة نوبل وهو أمريكي الجنسية من أصل صيني أجرتها معه مجلة الصين الجديدة في خريف عام ١٩٧٥ لقد سُئل البروفسور يانغ عن مدى سرعة تطور العلم في الصين فأجاب: ان أسرع طريقة للحاق بالعالم الحديث واثارة اعجاب الزوار الاجانب هي اقامة مختبر عملاق واستيراد كل المعدات من الخارج ثم الاستعجال في تدريب كادر من الخريجين واصحائيي البحث للانكباب على العمليات نفسها التي تجري في اماكن أخرى من العالم، لكن الصين ترفض هذا الاسلوب لأنه لا يكون

سوى عملية استعراض لاصلة لها بالتنمية الشاملة في البلاد، لقد دخل هذا في ادراكي بوضوح صباح ذات يوم من عام ١٩٧٣م وعندما كنت أقوم بزيارة مختبر الأشعة الليزر في احدى جامعات هونغ كونغ حيث أدخلت الى غرفة مكيفة، وهناك شاهدت أنبوبة هائلة لليزر مستوردة مساء جداً، جيدة الصناعة وجيدة التغليف، لقد كانوا يقومون بأبحاث متقدمة مما أثار اعجابي، ومساء ذلك اليوم نفسه وبعد أن اجتازت الحدود الى الصين أخذت الى مختبر البطاريات في جامعة (زونك شانغ) وقد تجولت في غرف الليزر غرفة بعد غرفة وشاهدت الالسلك الناتئة من هنا وهناك والتمديدات الزجاجية المنتشرة في كل اتجاه، لقد كان كل ما هناك فوضى وكان التمايز مدهشاً فانبوبات الليزر لم تكون ناعمة جيداً ولم تكن هناك مادة الكروم الضرورية لهذه الصناعة، بل كانت هناك كل انواع المشاكل، وكان واضحاً لي ان جيلاً من علماء الليزر الذين يعرفون كل شيء في هذا المضمار، والذين يعرفون السبب الفعلي للمشاكل التي تجري دراستها في الخارج سوف ينشأ في هذا المرفق، وليس في ذلك المرفق، واعتقد أن هذه هي الفلسفة التي ستجلب المنافع للتنمية العلمية والتكنولوجية في الصين».

## ● لا.. للتقليد الأعمى

اننا اذا أردنا أن نتحرك ونطور أنفسنا في حقل التكنولوجيا.. فلا بد أن نكتب لافتة بطول بلادنا وعرضها تقول: «التقليد منع» بل لا بد أن تكون هذه اللافتة من أعماق أعماقنا حينما نتحرك، لأن التقليد وبالتالي ما هو الا انعكاس حالات وطبائع غيرك عليك، لقد كتبت في مقدمة كتاب (المنطق الاسلامي) حادثة سمعتها من بعض المهندسين الذين زاروني من «عمان» وقالوا بأن المدارس التي بنيت باشراف المهندسين البريطانيين في «عمان»، كانت نوافذها كلها تقابل الشمس، لأن المهندسين البريطانيين يتحسرون على الشمس التي لا تشرق الا قليلاً في بلادهم، ويحرصون على أن يروا قرصها بين فترة و أخرى، وحينما جاءوا الى عمان لم يدركون

بأن هذا البلد لا يعرف الشتاء وان الشمس هي مشكلة هذا البلد، وان اطفال هذا البلد يهربون من الشمس الى كل ظل ممكن، نسوا هذه الحقيقة البسيطة فجعلوا المدارس الابتدائية بشكل، أن الشمس حشما شرقت أو غربت تواجه الأطفال المساكين، وكثيراً ما يدوخ الأطفال من حرارة الشمس، وهذا مثل بسيط، فكل حياتنا، أصبحت تقليداً للجانب، في طريقة اذاعتنا واعلانات صحفنا، وطريقة ملابستنا، في مشينا ونومنا. ان التقليد جعلنا شعباً ممسوحاً، لقد ضيّعنا المشتتين تماماً، فلم نتعلم مشية الغربين ونسينا طريقتنا الاولى.

## • فلنتجاوز بروح الأمة عصر الانحطاط

السؤال الآن: كيف نفجر الروح في امتنا لكي تصبح صناعتها من اجل الانسان.. من اجل اهدافها.. لا من اجل الآخرين، ولكي تستطيع ان تجتاز عقبة التخلف.

اننا نشير هنا الى ثلات نقاط حساسة قد يكون المؤلف المذكور سراً أشار الى بعضها:

### • اولاً:

اننا في سبيل تخطي الحواجز والسير على طريق التقدم وبالذات صناعياً، يجب أن نبدأ من الزراعة، أي يجب أن نبدأ من حيث بدأوا، ولكن بسرعة أكبر ومن الخطأ الفضيع ان نقول (نبدأ من حيث انتهوا) فان كان لك أخ درس في الجامعات المتقدمة حتى حصل على شهادة بروفسور ورجع اليك، بينما انت جئت من الريف الى المدينة ورأيت أخاك يقرأ كتاباً ضخمة مكتوبة بالإنجليزية واردت أن تصبح مثله، هل من الصحيح أن تجلس الى تلك الكتب وتحاول قرائتها والبدء من حيث انتهى أخيك؟، انك لا تستطيع ان تقرأها ولو جلست عليها الى أبد الآبدين. عليك ان تبدأ من حيث تبدأ من المدرسة الابتدائية فال المتوسطة فالثانوية فالجامعة فالمجيسٌ فالدكتوراه،

وان تتعب نفسك حتى تصير بروفسوراً.. اجل تستطيع ان تتحرك بسرعة اكبر، ولا اريد ان استشهد بكلام ذلك الانسان الذي قال «من أراد حرق المراحل احرقه» افما استشهد بكلام الامام علي(ع) .. حيث قال:

□(من صارع الزمان صرعيه)

لا تستطيع ان تقفز فوق حاجز الزمان، ولكن بامكاننا ان نسرع!

لقد بدأت الصناعة في بريطانيا، وكان احد العوامل الاساسية لتطور الصناعة هو تراكم الثروة الزراعية، وبعد ان تراكمت هذه الثروة، تحولت شيئاً فشيئاً الى عملية صناعية بسيطة، ثم بالتدرج أصبحت معقدة!

من هنا ينبغي ان نبدأ من الزراعة، ومن الريف، ولقد كانت هذه نظرة عميقه جداً لللامام الخميني «حفظه الله» وللقيادات السياسية الايرانية ان توجهت الى الريف وقالت: الريف اولاً! وتوجهت الى بناء الطرق، ثم توجهت الى زراعة ايران فأصبحت الزراعة في ايران الان أفضل من ايام النظام البائد بحوالي الضعفين أو ثلاثة أضعاف، وهذا قليل الحدوث في العالم، جاء خبير زراعي عالمي وقال لي: لماذا لا تتحدثون عن تجربتكم، لأن هذه التجربة فريدة في العالم؟ اذنا لا نجد اليوم في عالم يعيش الجوع والحرمان دولة استطاعت ان تقفز بهذه السرعة في المجال الزراعي! في مطالعة احصائية لبعض الانجازات الثورية نجد الارقام التالية: قام (جهاد البناء) باصلاح أربعة وعشرين ألف قناة أي أربعة وعشرين الف نهر ماء مستمر، لأن القناة تقريباً نهر ماء بامكانها أن تسقي مساحات واسعة جداً.

كما تم رصف حوالي ٣٠ ألف كيلومتر من الطرق الريفية، وأوجدوا في كل قرية من قرى ايران مخزنأً ملياً الشرب، لقد بدأ الناس يفهمون العالم حينما اتصلوا به، هل تعلمون بأن هناك قرى في ايران وكانت الى عهد قريب لاتدرى بما حدث في ايران من الثورة وتغيير النظام؟ وكان يظن أهلها بأن النظام لايزال «نظام الشاه البائد» قال لي أحد القرويين في احدى قرى خراسان النائية بعد ان سأله من الذي يحكم في ايران؟

قال: احمد شاه!! قلت له: وما هو اتجاهه؟ قال: انه روسي الاتجاه وهو موجود في روسيا وهو الذي يحكم ايران! ياللمسكين!! لقد توقف فكره منذ ايام احمد شاه الذي تحول هو وخلفاؤه الى تراب في بطن الارض !! لماذا هذا التخلف؟

ان هذا هو التخلف الذي يغلف بلداننا، والآن فقط بدأ عصر النور بعد مجيء الشورة الاسلامية فالآن، بدأت الطلاقع تخترق الحواجز كي تصل الى أولئك البعدين عن العصر وعن الحضارة وعن العالم! لم يكن لهم ماء يشربونه، فأعطوه الماء، وماذا ينفع ايران اذا استطاعت ان تصنع قبلة ذرية وأبناء ايران لا يستطيعون ان يشربوا الماء الصحي..؟ زرت قري كثيرة في ايران لم يكن لديهم ماء يشربونه الا الماء المالح المليء بالميكروبات! اذن فلنبدأ بالزراعة اولاً، لان السواد الاعظم هناك، وكما قلت سابقاً لنبدأ خطوة فخطوة فلنوفر لهم اولاً التعليم الابتدائي لانه ليس من الضروري ان يكون في ايران عشرون الف جامعي، بينما يبقى كل الشعب الايراني أمياً، قرأت في تقرير لليونسكو ان نسبة الامية تزيد سنة بعد اخرى في بعض دول الخليج! وهذا شيء غريب مع كثرة المدارس، كيف تزيد نسبة الأمية؟! هل الناس ينسون القراءة والكتابة؟! ولكن كلا.. الهجرة من البادية الى المدينة كثيفة، والمigration من خارج البلد الى داخل البلد من غير المتعلمين كثيفة، وهؤلاء يضيقون الى الأمرين ارقاماً جديدة..

## • ثانياً:

عليينا ان نبعث روح الثقة بالذات والاعتماد على النفس والتوكيل على الله في نفوس جاهيرنا.

أيها الانسان المسلم عد الى نفسك، وقاوم هذه المجموعة المتربطة من الذين لا هم لهم سوى استلاب ثقتنا بأنفسنا، وسرقة اعتمادنا على ذواتنا، وكل ما تقوم به هذه المجموعة عبر الاعلام والصحف، فلو ان المطابع توقفت والامواج الاثيرية ركبت لمدة خمس سنوات لبدأت الحركة الصناعية الكبرى في عالمنا، ولكن هذه الاجهزة

الاعلامية هي التي توحى اليها بطريقة او بأخرى بأنكم لاشيء وأنكم لا تستطيعون ان تفعلوا شيئاً وقد رأيتم في ايران كيف توقف كثير من المصانع، لأن الخبراء الاجانب هربوا منها، بل هدموها، ولكن المهندسين الشباب، بل وحتى غير المهندسين من الشباب اقتحموا هذا المجال وعملوا وسعوا الى ان اعادوا تشغيل المصانع! ومصنع التحاس في كرمان أحد الأدلة، والتلفزيون الملون في بندر عباس دليل آخر، لقد جاء الفرنسيون وبأجهزة ارسال التلفزيون الملون داخل الصناديق وعليها ختم، قالوا اذا فتحتموها فنحن بريئون من التزامنا بتشغيلها ثم لم يأتوا لتركيتها.. ولكن الشباب الرساليين فتحوا الصناديق وشغلوا الاجهزة بنجاح، وبعد الحرب ربما نستطيع ان نشغل أيضاً مجمع البتروكيماويات في ميناء الامام الخميني. وهناك المئات من المصانع والمشاريع المتوسطة والصغيرة التي تم انجازها على يد الشباب المؤمن، وفي غياب كامل من الخبراء الاجانب.

لقد أثبتت التجربة الايرانية وقبلها التجربة الصينية، والتجربة الكورية الشمالية ان الاعتماد على الذات قادر على ان يفجر مواهب الانسان، واضرب لكم مثلاً من كوريا الشمالية التي لا اكمن اي احترام لرئيسها، ولكن اقول ذلك احتراماً لشعبها وللمنهج الذي اتبعه هذا الشعب. الكوريون لا يملكون من الطاقة الا الفحم الحجري، لذلك فهم يشترون مرسيدس من المانيا الغربية ويحولوها من مرسيدس تعمل بالبترول أو الكازوئيل الى مرسيدس تعمل على الفحم الحجري، وهذا يعني الاعتماد على النفس، وهناك بعض البلاد الاجنبية واعتقد انها من بلاد امريكا اللاتينية تعمل بنفس الطريقة، ولكن تحول السيارات للعمل على البيرة، أي تستغل البيرة كمادة للوقود. في ايران كان الشاه المقبور قد باع الغاز الايراني كله للاتحاد السوفيتي وباستطاعة الغاز الايراني ان يوفر للایرانيين كل عام ٢٥ ألف مليون دولار اذ أنه أفضل وقود للایرانيين وباستطاعتهم ان يبدأوا صناعتهم من نقطه «الغاز الطبيعي» والحكومة الاسلامية اليوم تدرس مشروعًا ضخماً في هذا المجال! وما بعد اليوم من البارحة! لقد كان الشاه المقبور يقول: لا، اننا نبيع الغاز للاتحاد السوفيتي، والاتحاد السوفيتي يبيع الغاز الى المانيا الغربية، والمانيا الغربية تصنع لنا جرارات نفطية

ترسلها الى ايران لنعمر عليها!! ومازال العالم الثالث مكبلاً بأمثال هذه المشاكل التي يجب ان نتجاوزها؛ وذلك بأن نعيد الثقة الى أولادنا منذ الطفولة. يجب ان نجعل الطفل يعمل، يجب ان ندع له فرصة للاختيار، فرصة للتحرك منذ الطفولة، ثم نربي أولادنا ومجتمعنا على هذه الطريقة ليتحول المجتمع الى مجتمع متوج! واليوم تكرر المأساة في العراق: فصدام آخر حضارة الشعب العراقي حسين عاماً، حينما فتح الأبواب امام الانتاج الغربي والشركات الغربية والشرقية وحول العراق الى سوق استهلاكية واقتراض الاموال من هذه الدولة الرجعية وتلك، وبثها بين الناس، فعد ذلك الشعب البطل الذي كان أول من اكتشف الزجاج في التاريخ، وكان مجرأً لكثير من الحضارات التاريخية، عوده على الكسل والترهل، فإذا به اليوم يتعرض للمسخ على يد صدام معدواً آياته على اخذ الاموال لتحول الى مواد استهلاكية، ومتى شاءوا منعوا عنه المال ليتحولو الى عبيد وأتباع لصدام وحزبه! اذكر ذات سنة قام هذا النظام الحاقد بعمل اجرامي بحق شعبنا، ففي منطقة الناصرية شحت مياه الفرات بسبب السد الذي اقيم في سوريا أو هكذا قيل، فشحت المزارع تقريباً وأصبحت تعاني من العطش فاستغل صدام هذه الفرصة وبدل ان يعمل على حفر الآبار مثلاً قام بفتح باب التطوع في الشرطة لأهل الناصرية واغراهم أن يكونوا شرطة براتب حسين ديناراً في الشهر، فذلك الفلاح الذي كان يزرع في بلده مرتاحاً جاء صدام وعمل له هذا الطعم فسحبه وسحب الناس الى بغداد، والى سائر المحافظات وحوّلهم من مزارعين شرفاء يعملون داخل بلدتهم الى شرطة تابعين له يستخدمهم كيف يشاء، بدل ان يصرف نفس المال في ايجاد مضخات قوية او آبار ارتوازية لتقين توزيع الماء، على المزارع، وفي محاولات لابقاء الشعب في أرضه وعمله، الا أنه بخيانته حول الارض الزراعية الى ارض جرداء، كما عمل مؤخراً في العراق عملاً جنونياً اجرامياً آخر حين أوعز للبدو العراقيين الذين كانوا رعاة للمواشي وعليهم تقوم الثروة الحيوانية في العراق، بأن الحكومة تسمح لمن أراد منهم ان يستورد سيارة شحن أو سيارة نقل ويعمل بها بحريته من دون ان تأخذ الحكومة اي رسوم على استيراد السيارات.

فانخدع أولئك المساكين الذين كانوا يعانون من شظف العيش في البداوة فقام

كل راعي ماشيه يبيع ماشيه داخل المدن حيث استهلكت وسافر بمنها الى الكويت ليشتري سيارة نقل، وعندما عاد الى العراق أعطي في الحدود لوحه عبور مؤقتة لسيارته لمدة ثلاثة شهور، ولما تأكد لصدام واعوانه انهم قضوا بذلك على مصادر الثروة الحيوانية عادوا لأصحاب السيارات وأمر وهم بدفع الجمارك !!

وبهذه الطريقة المنظمة قضى صدام وحزبه على الثروة الحيوانية في العراق ! ونحن —على العكس من ذلك تماماً— مطالبون بأن نبدأ من ذلك البدوي في الصحراء وليس من ساكن المدينة، لأن سكان الصحاري والارياف متوجون، أما سكان المدن فمستهلكون، ونحن علينا ان نبدأ بالمنتجين فنعيد الروح اليهم وندفعهم بأن ندعهم ونوفر لهم الامكانيات لتطوير انتاجهم !

### • ثالثاً:

الاعتزاز بالطرق التقليدية التي كانت سبباً في تحقيق الاكتفاء الذاتي في ذلك الوقت دون الحاجة الى اللجوء لما عند الغرب أو الشرق، اذ يجب علينا ان نجعلها الان مكان افتخارنا وموضع تقديرنا ..!

فمن بين تلك الطرق العظيمة نختار هذا المثال:

في ايران منطقة صحراء جرداء تسمى «كويرلوط» وتنشر فيها بعض الواحات الخضراء من بينها (كرمان) الشهيرة، وكان سكان كرمان نظراً لندرة المياه سابقاً يعمدون الى احواض خزفية كبيرة يملؤنها بالماء ويفطرون فوهتها بطبقة تسمح للماء بال النفاذ ثم يدفووها في التربة وينذرون البذور حولها فتثبت تلك البذور بما يصل اليها من الماء الناضح من الاناء الخزفي وتسربه في التربة. مقتضدين بذلك، في الماء القليل في منطقتهم ويعطون البذرة مقداراً بسيطاً من الرطوبة لنموها فقط !

هكذا تغلب الكرمانيون على ظروف الطبيعة فحلوا مشكلة ندرة المياه بهذه الطريقة البسيطة والفعالة، فهل خطط على فكر أحد منا مثل هذه الفكرة ..؟ ولقد

قرأت كثيراً عن الطرق الاقتصادية في العالم، ولكن لم أقرأ عن مثل هذه! وهل تعرفون في العالم طريقة اقتصادية، لاقتصاد الماء مثل هذه الطريقة.

ومثال آخر.. من منطقة زاد الرود في اصفهان، حيث سحب المسلمين الماء تحت الأرض عبر قنوات خاصة الى منطقة ايلام لاستغلالها في ري الاراضي الزراعية هناك، رغم أن المسافة بين اصفهان وايلام تبلغ مئات الكيلومترات. أفلأ تستحق مثل هذه التجارب الاكبار والاحترام!! ان تقدير التجارب، في حفظها والاستفادة منها، فلابد ان نتعلم هذه التجارب عبر وسائل حديثة ونعلمها لجيئنا الجديد.

## كيف يعالج الاسلام مشكلة الحرب؟

- هناك تساؤل يقول: هل يستطيع الاسلام اذا حكم البلاد انهاء مشكلة الانسان الرئيسية وهي الحرب أم لا...؟

ولا ريب ان الاجابة عن هذا التساؤل ليست بالسهولة الكافية، ليس فقط، لأن قضية الحرب هي أصعب قضية يعيشها الانسان منذ ان قتل قabil هابيل، وأريق دم ربع العالم في ذلك اليوم (حيث ان العالم يومها لم يكن فيه سوى ٤ افراد فحسب)، وانما لسبب آخر ايضاً وهو ان كثيراً من النصوص الاسلامية تعالج قضية الحرب، وتحرض الناس على القتال، فكيف يستطيع دين يحرض الناس على القتال ان يمنع القتال؟ واذا كان لهذا التساؤل ما يبرره سابقاً باعتبار ان الحروب في النهاية تدمر البلاد وتنهك العباد وتختلف ويات كثيرة، فان لهذا التساؤل اليوم أهمية أكبر، فالامر أعمق خطورة واكثر الحاحاً، اذ لم يبق للحرب في العصور السابقة والمعصر الحديث قاسم مشترك غير الانسان، فالفرق ما بين حرب الأمس وحرب اليوم شاسع بعيد.

فالحرب سابقاً كانت بضعة سيوف ورماح ونبل وسهام تصيب حيناً وتختفي أحياناً، وكان المتحاربون يشتبكون ضمن زمن محدد ورقعة محدودة سرعان ما تنتهي بسقوط اللواء او بقتل القائد فينهزم الباقيون.

أما عدد القتلى فانه لا يتجاوز العشرات او المئات و اذا كانت الحرب ضرورةً كما شهدتها ايام العرب في الجاهلية، فان عدد القتلى قد يتخطى الالاف فحسب، فهل كانت الملاحم الحربية التي سجلها الشعراء مثلاً، تبلغ عشر مابلغته الحرب العالمية الاولى؟ ان تلك الحروب في قاموس اليوم تسمى مناوشات ليس الا، بل ان بعض المناوشات اليوم اكثرو بالاً من أكبر الحروب السابقة!! ..

وهناك ثلاثة ملاحظات في الحروب الجديدة أعطت الحرب طابعاً حديثاً تماماً .

## • الاولى: الشمول البشري

لقد أصبحت الحرب شاملة، اذ ليس هناك محاربون في بلد من البلاد وآخرون مسالمون، فهذا التقسيم الوهمي قد زال، لأن الحرب الحديثة هي حرب كل الشعب في طرف، مع كل الشعب في الطرف الآخر بكل مواردهما وطاقةيهما وامكاناتهما. يقول الجنرال الفرنسي (بوف) الذي يعتبر أحد الاستراتيجيين في كتابه «بناء المستقبل»: في عهد الاستراتيجيين السابقين الذين كتبوا حول الحرب مثل «كلوفيرز» هذا الاستراتيجي المعروف، كان هناك جماعة يحاربون وجماعة جالسون في بيوتهم، أما اليوم فحينما تعلن الحرب في بلد ضد آخر فان كل شيء في البلدين يتغير عن ساعة قبل اعلان الحرب، فالسلطات تتركز، والاقتصاد يصبح اقتصاداً حربياً، والناس كلهم يخضعون للتعبئة ان لم يكن في جبهات القتال، فخلف الجبهة وكل شيء يرتبط بالحرب حتى الطلاب في المدارس ينبغي ان يكيفوا أنفسهم مع الوضع الجديد في الحرب.

## • الثانية: الشمول الجغرافي

بسبب تلاحم العالم واقتراب شعوبه أكثر و بسبب المواصلات واساليب التعارف بين الناس ووسائل الاتصال الحديثة لم تعد الحرب اقليمية محدودة، اذ لا

تشتعل نيران الحرب في احدى مناطق العالم الا وتنعكس آثارها على سائر المناطق الأخرى حتى وان لم تبدو لنا الآثار واضحة وسريعة. وكثير من الحروب المحدودة التي كانت في منطقة معينة تحولت الى حروب واسعة شملت المنطقة كلها، ولذلك فان الحروب اليوم ليست تنحصر بحدود جغرافية معينة.

### ● الثالثة: تطور وسائل الحرب

لم تعد الحرب الحديثة تعتمد على الوسائل البدائية في القتال كالمقلع مثلاً، ذلك السلاح الذي استخدمه النبي داود عليه السلام بقتل الطاغية (جالوت)، كان داود عليه الصلاة والسلام جندياً في جيش (طالوت)، في حربه على جالوت، فأصابه داود بصخرة المقلع في رأسه فسقط جالوت قتيلاً، وانهزم الجيش وانتهت المشكلة.

هذه الصخرة تحولت اليوم الى قنبلة انشطارية تستطيع ان تقتل مئات الالوف من الناس ان كانوا في رقعة سقوط القنبلة.. لأنها تنشرط الى الوف الشظايا الصغيرة السامة كما ان هناك قنابل حينما تتفجر تتطلق منها عشرات الالوف من الابر المسمومة، فاذا صادفت الابرة انساناً في أي مكان من جسمه يموت بسببها، والسهيم الصغير في السابق، تحول اليوم الى (آر.بي.جي) او الى مدفعية، وأما الطائرات والأسلحة النووية فحدث عنها ولا حرج اذا لم يكن يوجد في السابق سلاح يقابلها، من هنا فان حرب اليوم تختلف كلياً عن حرب الامس.

### ● دوامة الرعب العالمية

ما سبق ييدو ان سؤال «هل يستطيع الاسلام ان يمنع الحرب؟» مطروح بشكل جدي، فعالمنا اليوم يعيش فلقاً حقيقياً في ظل الرعب النووي المخيف ولا شك ان الراية التي تنادي بالسلام، وتعمل على انقاد العالم من هذا الرعب هي الراية القادرة على استقطاب أوسع الجماهير في العالم. وان معظم الاحصائيات والدراسات العلمية

أصبحت مثيرة للغاية، والامور في ضوئها تتفاقم الى الأسوأ..

• أولاً:

يدفع العالم اليوم أكثر من (٥٠٠) ألف مليون دولار للتسلح، وكل عام تزداد هذه الميزانية..

• ثانياً:

منذ الحرب العالمية الثانية الى الآن لم يسجل التاريخ سنة واحدة كانت ميزانية التسلح في العالم أقل منها في السنة السابقة فهي في حالة تصاعد مستمر. يقول (هاري ماجدوف) في كتابه (من عصر الاستعمار الى اليوم): «ان هذا تحول الى عنصر في ذات النظم السياسية والاقتصادية في العالم» واني اعتقد ان هذا صحيح اذ ان هذا العالم وهذه التركيبة الاقتصادية والسياسية لا تستطيع ان تستمر بدون ميزانيات التسلح المتتصاعدة، فقد اصبحت ميزانيات التسلح عادة قدرة تعودت البشرية عليها ولا تستطيع ان تتركها الا بهزة عظيمة جداً.

ويواصل الكاتب حديثه في اطار يختص بالولايات المتحدة الا انه بالامكان ان يشمل حكمه، القوة العظمى الثانية، اذ يقول: «وان استمرار اعتماد الاقتصاد في الدول الجديدة على المراكز «المتروبولية» في اطار الاستقلال السياسي يتطلب بين ما يتطلبه الانتشار العالمي للقوات العسكرية الامريكية كما يستدعي الدعم العسكري المباشر للطبقات الحاكمة المحلية» و يقول في موضع آخر..

«ان القفزة لامام في سنوات ما بعد الحرب في اتجاه بناء الامبراطورية وتحول المجتمع الامريكي الى مجتمع مشبع بالنزعه العسكرية المتحفزة مرتبطة بظاهرتين: ظاهرة ملأ الفراغات. وظاهرة مقاومة الدول الشيوعية..».

ويقول المؤلف في مكان آخر من كتابه: «ان الولايات المتحدة ظلت مشغولة بنشاطات حربية طوال ثلاثة اربع تاريخها وبالتحديد في ألف وسبعمائة وثمانين شهراً من جموع هذا التاريخ—أي تاريخ الولايات المتحدة الامريكية—الذى يمتد الى

ألفين وثلاث مائة وأربعين شهراً» وهذا يعني في الفين وثلاث مائة وأربعين شهراً من تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية ظلت هذه الدولة مشغولة بالحروب طوال ألف وسبعين مائة وأثنين وثمانين شهراً ب مختلف أنواع الحروب ، فإذا حسبنا ان عمر الولايات المتحدة الأمريكية أربع سنتات فثلاث سنتات منها كانت في الحرب سواء في فيتنام او في كوريا او مع الهندو الصينيين او مع غيرهم .. ويضيف المؤلف: «لذلك علينا ان لانفاجأ حين نكتشف ان الانفاق على الحرب وما يتصل بها قد شكل دائماً القطاع الاهم في الميزانية الاتحادية خلال التاريخ كله، ان جدول الانفاق الاقتصادي على اساس عشري، بدأ من عام ألف وثمانمائة وحتى عام ألف وتسع مائة وتسعة وثلاثين على الجيش والقوات البحرية والمحاربين القدماء ومرتبات التقاعد والفوائد المدفوعة على الديون، وقد ظهر ان أربعة وخمسين بالمائة من الانفاق الاتحادي باستثناء عقد زمني واحد فقط كان مختصاً للنشاطات العسكرية او للإعداد لنشاطات عسكرية او لتغطية نفقات الالتزام الناشئة عن نشاطات عسكرية».

## ● العالم على حافة الهاوية

ومما تقدم يتوضّح لنا:

### ● أولاً: ان العالم خلال ذلك العهد كان يتجه نحو التسلح.

● ثانياً: أصبح الخطر أكثر جدية مع تقدم العلم واستغلال النزعة العسكرية له في ميدان التصنيع الحربي ويتبدى هذا الخطر الجدي مع تطور الاسلحة وفعاليتها الخطير.

فالقنبلة الذرية مثلاً أول ما استخدمت في هiroshima، كانت من حيث التقدم والخطورة بمستوى الطائرة المروحية التي القتها على تلك المدينة البائسة، أما اليوم فان القنبلة الذرية أصبحت بمستوى الصواريخ عابرة القارات !!

وفي احصائية حول تقرير نتائج الحرب العالمية الثالثة فيما لو حدثت نجد ارقاماً مذهلة

للغاية، يقول الجنرال (فكتور فنيير) في كتاب (الحرب العالمية الثالثة): «في حال نشوب الحرب العالمية الثالثة، فإن مائة مليون قتيل سيسقطون في ساعات قليلة».

ولك ان تتصور أننا لو اردنا ان ننفذ حكم الاعدام في مثل هذا العدد باطلاق الرصاص عليهم لأحتاجنا لبعض سنين حتى يتم لنا هذا الامر!! ولعل هذه الخسائر البشرية المئات هو نتيجة استخدام نوع واحد من الاسلحة، مثلا اطلاق عدة صواريخ نووية عابرة للقارات، فكيف اذا استخدمت، كل أنواع الاسلحة؟ لاشك ان امواج البحار يجذبونها فتخرج من البحار وتسرى على البر وتبتلع المدن الساحلية كلها. تاهيك عن تنتائج «الحرب الفضائية» التي لانعلم الى الان بسبب السرية التي تغلف الخطط العسكرية الأجنبية حول الحرب الفضائية – أي تفصيات عن هذه الاقمار الصناعية التي تحجب الفضاء بعيداً عن الرقابة، وكم تحمل من الاسلحة النووية، وكيف يمكنها ان تضرب في الساعة السوداء من تاريخ الانسان كل الاهداف الممكنة!! وهكذا الامر بالنسبة الى «الحرب الكيميائية والبيولوجية» فان مائة طن فقط من الاسلحة البيولوجية الموجودة في العالم من بينآلاف الاطنان تستطيع ان تنهي الحياة عن وجه الكرة الارضية، وتقول الاحصائيات العسكرية الدقيقة ان الانسان قد صنع لقتل نفسه مقداراً من الاسلحة يكفي لقتل كل انسان على وجه الارض – على اعتبار ان عدد سكان المعمورة هو أربع ملايارات نسمة – خمسة عشر مليون مرة! وهذه هي المعادلات الرهيبة التي يعيشها العالم اليوم!

## ● الاشعاعات النووية والخطر عبر الاجيال

قلنا فيما مضى ان الحرب الكونية فيما لو نشبت فانها ستقتضي على مائتي مليون انسان في الساعات الاولى، هذا فيما لو توقفت بعدها الحرب، ولكن الذي لم نذكره هو ان العالم المتبقى «أي الذي نجا من الضربة النووية الاولى» سيظل يعاني من الاشعاعات النووية لـمليون جيل قادم كما يذكر أحد الكتاب!!

ماذا يعني هذا..؟ ان العالم منذ عهد آدم الى يومنا لم يشهد أكثر من خمسمائة

جيل حسب النقل التاريخي، فكيف بمليون جيل ..؟

في حديث لوزير الدفاع الامريكي الاسبق «مكنتمارا» يقول: (ان المسألة التي تفرض نفسها اليوم هي ضرورة معرفة ماذا يجب ان نفعله في عصر تهدد الحرب الشاملة فيه بموت عدة مئات من الملايين من بني الانسان، ويمكن ان تؤدي الى تغريب الوراثة لـ مليون جيل قادم !!).

فهذه الحرب لن يمتد تأثيرها التدميري لـ مليون سنة فقط، واما لـ مليون جيل، يعني لـ ثلاثة ملايين سنة على الاقل سيظل البشر— فيما لو بقوا أحياء— متأثرين بنتائج تلك الحرب كأن يولدوا من غير عيون، أو بأطراف ناقصة، او مصابين بمرض القلب او مرض السرطان، وما أشبه هذه الأمراض الخطيرة.

وقد قام علماء الذرة باجراء عدة تجارب حول تأثير الاشعاعات الذرية على الكائنات الحية، لا بأس ان نذكر نموذجين منها:

أ/ قام فريق من الخبراء بتجربة عرضوا فيها عدداً من الذباب لمقدار معين من الاشعة الذرية، فجاءت سلالتها الاولى بأجنحة معقوفة الى الاعلى بينما خرجت السلالة الثانية بدون اجنحة.

ب/ وفي تجربة اخرى عرض الخبراء عشرين فأرآ سميّناً للأشعاع النووي، فجاءت اولادها وهي تحمل شكلًا مربعاً وغريباً مما دعا امهاتها الى ان تأكلها، لأنها لم تعرف بأنها اولادها فأكلتها جميعاً ماعدا فارين صغيرين أمكن انقاذهما، وكانا مجردين من الشعر تماماً وجلدهما وردي اللون، ولم يكن لهما مكان العينين، سوى ثقبين فارغين !!

وهذا يعني ان الجيل الاول من البشرية التي تتعرض للأشعاع سيولد بدون أعين او بدون أيدي، أما الجيل الثاني فالله أعلم أي نوع من المسمخ سيكون !!

والجدير بالذكر ان مجموعة من العلماء الامريكيين شكلوا لجنة لمقاومة الانتشار

الذري في العالم، ثم كتبوا تقريراً حول الموضوع جاء فيه: «يعلن العلماء ان من المحتمل ان يؤدي انفجار ذو قوة عشرة عشرة آلاف ميجاوترن أي قوة انفجار عشرين ألف ميليار كيلوغرام من مادة (تي. ان. تي) — وهذه المادة يكفي انفجار غرام واحد منها لقتل الانسان — الى ازالة ثلاثين الى سبعين بالمائة من غاز الاوزون في النصف الشمالي من الكره الارضية أي في المكان الذي تقع فيه الانفجارات، وعشرين الى أربعين بالمائة من الغاز ذاته في النصف الآخر من الارض، وبحتاج الامر الى نحو عشر سنوات لاعادة بناء هذه الطبقة من غاز الاوزون، وقد أكدت التقارير ان هذا الغاز يحيط بالارض فيمنع عنها الشهب المتساقطة من السماء كما يتضمن الكثير من الطاقة الشمسية بحيث لا يصل منها الى الارض الا ما ينفعها ولا يضرها

ولوان هذه الغازات ذهبت بما الذي يحدث خلال عشرة اعوام حتى يستعيد الغاز نسبته وتركيبة الطبيعية في غلاف الارض الغازي؟ هل تبقى الحياة على وجه الارض بفعل النيازك والاجرام السماوية المتساقطة؟؟

وبالرغم من كل هذا فان أقطاب الاستكبار العالمي — اليوم يندفعون — وبصورة مذهلة — نحو انتاج المزيد من هذه الاسلحة التدميرية بلا وازع من خلق أو ضمير.

## • الانسان ذلك القاتل..!

بعد استعراض هذه المأساة والفجائع التي تنتظر البشرية أو تهددها على الاقل نريد ان نتساءل من الذي يصنع هذه الاسلحة؟ أوليس هو الانسان نفسه؟

وهل ستقع الحرب العالمية الثالثة ياترى..؟ أم هو مجرد خوف وقلق وهميء..؟

بدون أدنى ريب ان المجانين فقط هم الذين يرضون بهذا الانتحار الجماعي.. لانه لا يمكن للولايات المتحدة الامريكية ان تضرب الاتحاد السوفيتي — مثلاً — دون

ان تتلقى ضربة مماثلة منه، فالصواريخ ذات الرؤوس النووية العابرة للقارات الموجودة في مناطق في الاتحاد السوفيتي موجهة نحو مدن نيويورك وواشنطن وشيكاغو ولوس انجلوس والى سائر المدن الامريكية، وكذلك الحال في امريكا اذ توجد صواريخ عابرة للقارات وتحمل الرؤوس النووية موجهة الى المدن الروسية، كما هناك صواريخ موجودة في قاع البحار تحملها الغواصات النووية العملاقة وهي الاخرى موجهة نحو اهداف معينة، اضافة الى ان هناك اسلحة ذرية موجودة في القضاء عبر الاقمار الصناعية التي تدور حول الارض.

فلو اعتدت الولايات المتحدة الامريكية وضربت الاتحاد السوفيتي او العكس، فان الثاني يرد بنفس المستوى، ومعنى رد الضربة ان الدولتين العظميين تنتهيان.

فحسب تقدير الخبراء، فان ما لا يقل عن ١٢٠ مليون انسان في امريكا و ١٢٠ مليون انسان في روسيا سيقتلون في اللحظات الاولى من الحرب على الاقل.

وبهذا النحو يوت الناس وكأنهم حشرات، وليس هنالك أحق بمحنون ينتحر بهذه الطريقة البشعه المرعبة !!

الحرب العالمية الثالثة لا تقع على الاكثر، الا ان علماء النفس والتاريخ وعلماء الحروب يؤكدون جميعاً ان الحرب ليست قضية ارادية، وافقاً من يقتسم الحرب انما يقتسمها بعد سلسلة من ردود الفعال الشرطية التي تتولد فيه من دون ارادته، لان الحرب اذا اشتغلت بطلقة واحدة، فان النفس الامامية بالسوء توسر للانسان — مالم يكن مدافعاً عن حق او رادعاً لباطل — فتوهه بقوته وضعف اعدائه مما يدفعه الى رد الصاع صاعين، واذا ما بدأت الحرب، فالله وحده أعلم متى تضع أوزارها !!

هكذا جرت الحروب، وهكذا تجري في كل بقاع العالم !! من الخطأ ان تتصور بان العالم عقد اجتماعاً دولياً ثم اعلن فيه بدء الحرب العالمية الاولى او الثانية !! كلا.. ليس كذلك، واما انحدرت البشرية الى تلك الحروب، وربما، تنحدر مرة

آخرى وبشكل طبيعى فتقع حينها الحرب العالمية الثالثة !!

## • الاسلام ولحظة التهور النووي

والآن لنعد الى الاجابة على السؤال الذي طرحتناه في بداية الموضوع:

هل يستطيع الاسلام ان يمنع حدوث الحرب العالمية الثالثة أم لا ..؟ اني استطيع ان أقول نعم واستدل على ذلك بثلاثة أدلة رئيسية:

## • الاول: ان للكون رباً يحميه

ان الحرب ليست قضية ارادية للانسان وقد اثبت التاريخ ان الحروب اما تقع بصورة شبه جبرية، فالانسان في الحرب لا يمتلك القرار النهائي للدخول في خضم المعركة، ولكنه يندفع على قرع الطبول وتدافع الآخرين، واستحسان الناس لها، وعلى هذه الكيفية يلقي الانسان بنفسه في اتون الحرب، فإذا كان هذا الامر صحيحاً فان الذي يستطيع ان يمنع مثل هذه الحروب المدمرة للبشرية ليس الا واحد وهو الله سبحانه وتعالى، فلننفر اليه جل شأنه، لأنه في تلك الليلة السوداء التي وضع فيها نيكسون نصف القواعد الذرية الامريكية تحت درجة الانذار القصوى، من الذي منع الحرب العالمية من ان تندلع؟

ولقد فقد مجنون امريكا «كيندي» ضميره فراح يعلن ويهدد الاتحاد السوفيتى بالحرب النووية الشاملة في قضية (خليل الخازير) فمن اعطى مقداراً من العقل لخروتشوف ذلك المجنون الآخر الملقب بالدب الروسي لكي يتراجع ويسحب صواريخه المدمرة من كوبا؟ وليس هو الكرييم المتعال خالق الكون ورب العباد، الله العالمين المهيمن الجبار، الله الواحد القهار..؟

أجل انها نفوس مظلمة، تلك النفوس التي لا تعرف الرحمة، حيث الغرور

والوسواس والشيطان الرجيم، وحيث الطيش والعنجهية وظلمات فوقها ظلمات، لا تمتلك من ضوء الایمان ولا مضة شعاع، فلا تمانع في قتل النفس البريئة، بل تستلذ بقتل الناس جيئاً.

ونفوس يحملها أمثال جنكيزخان وهتلر وصدام وبيغن، تقتل ملايين الناس من الشعوب المستضعفة، ثم لا يختلج فيها عرق، هي أشد وأصلد من الحجارة، وان من الحجارة لما يتفجر منها الانهار، بينما قلوب هؤلاء لم تكن لتتخشع لشيء.

فمن الذي يمنع هذه الحرب المدمرة..؟

وهل للبشرية ملجأ الا الله سبحانه وتعالى..؟

لقد شهد العالم عديداً من الجلسات، ومئات الساعات وألوف الخبراء يجلسون الى بعضهم عبر مؤتمرات نزع السلاح.. سالت (١) وسالت (٢)، يجلسون ويبحثون ويفكررون، وعندما تنقض اجتماعاتهم، يتمخض الجبل فلا يلد الا «أفعى»!!

فالولايات المتحدة الامريكية ترفع من ميزانية الدفاع والحرب من مائة وعشرة بلايين دولار حتى صارت مائة وخمسين بليون ثم اصبحت مائة وستين فمائة وسبعين بليون حتى بلغت مائتي بليون دولار.

وكأن جلساتهم تلك كانت من أجل انشاء شبكة الصواريخ الجديدة وشبكات أخرى لأصطياد وابتلاع الصواريخ المضادة القادمة من البلد المهاجم او انشاء صواريخ تستطيع ان تنطلق عندما تنطلق نظائرها في البلد الآخر فلتنتقي بها في الجو لتفجرها فيه، وهكذا دواليك، كلما طورت هذه القوة سلاحاً خصصت القوة الأخرى ميزانية اضافية لتطوير سلاح آخر بال مقابل، فالي أين وصلنا ياترى..؟ بالطبع وصلنا الى موقف آخر وضع أكثر توبراً!! فهذا يجهد شعبه وذاك يجهد شعبه، وهذا يمتص الطاقات والآخر يمتص الطاقات، فمن الذي يوقف هذا التسلح، هذا السباق الابدي نحو الدمار، الا الله سبحانه وتعالى..؟! وهنا لابد ان نستعيد قصة عاد وثمود وقصة لوط

واصحاب الأيكة وقصة قوم تبع فهذه القصص التاريخية خير مثال تاريخي لحضارتنا واخطاءها، فقد كانت تلك حضارات ذات شأن، وكما ان اسلحتها كانت تختلف عن اسلحتنا، فان الطريقة التي انتهت بها تختلف عن الطريقة التي سنتها حضارتنا المعاصرة بها، ولكننا اذا حسبنا حساباً عقلياً نجد ان البشرية حينما نست  
الله أنساها الله نفسها ودمرت نفسها بنفسها.

\*| ونفس وما سواها \* فأهملها فجورها وتقوها \* قد أفلح من زكاها \* وقد خاب من دساها \* كذبت ثمود بطغواها \* إذ انبعث أشقاها \* فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها \* فكذبواه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها \* ولا يخاف عقباها \*  
—١٥،٧ الشمس—

فالله عز اسمه اذا رأى الناس قد تولوا عن الهدى وابتعدوا عن النور والاستقامة فانه يرحمهم، ولكن اذا رآهم يتمادون في غيهم، فانه يسويها ويدكها دكاً ولا يخاف عقباها، فالله لا يخاف من أحد وهل باستطاعة أحد ان يقول له لماذا فعلت كذا وكذا..؟

اذن نصل الى نتيجة واحدة هي: ضرورة العودة الى الله سبحانه وتعالى!!

ونحن حينما نقول: ان الخلاص في الاسلام، لا يعني كلمات الاسلام او رسوم القرآن، واما حينما نقول الاسلام فاننا نقصد واقع الاسلام الحقيقي وتوجه الانسان الى الله!!

جاء في رواية ان جبرائيل (ع) حينما حمل قرى لوط وهي سبع او تسع قرى حملها على جناحه ورفع بها الى الفضاء فأوقفها فترة وبعد ذلك قلبها فسأل لوط (ع) جبرائيل لماذا فعلت كذلك؟ قال له لسببين:

السبب الأول: انه كان هناك ديك يصبح.

السبب الثاني: كان هناك رجل عجوز نائم اردت ان يستيقظ من النوم، فقد

يكون مؤمناً ولكن حينما استيقظ قام يسأل عن الفاحشة، فدمرت القرى !!

جاء في الحديث الشريف: «لولا الحجة لساخت الارض باهلها» وتدل الروايات على ان «الحجّة» تعني الانسان المؤمن بالله حق اليقين، فحتى لو كان في الناس شخصاً واحداً ملتزماً بحدود الله، لکفى ان يحفظ الله الارض من ان تسيخ باهلها. وجاء في الحديث الشريف:

■ (لولا بهائم رقع وأطفال رضع وشيوخ ركع وشباب خشع لصب الله عليكم البلاء صباً) ■  
اذن فالله يرحم عباده، والاسلام الحقيقي هو التوحيد الاهي الذي يمنع العذاب عن البشر

## • الثاني: سعادة المثل الاسلامية

ان الاسلام بتعاليمه الخلقية ينتزع فتيل الحرب من قلب الانسان وحينما أقول الاسلام فلا أقصد الاسلام المعتقل في المساجد والأماكن العبادية فقط او في الحرمين الشرifين او في حرم الحسين(ع) او غيره، واما الاسلام العملي الشامل الذي اذا ساد البشرية فان مناهجه التربوية والخلقية والثقافية تسود الانسانية جيغاً، وعندها يستطيع ان ينزع فتيل الحرب من القلوب !!

فالحرب انا تدلع من اجل الدنيا، ومادام الاسلام يقول «حب الدنيا رأس كل خطيئة»، ومادام الانسان المؤمن يتضرع الى الباريء عزوجل ويدعوه قائلاً:

■ (اهي أخرج حب الدنيا من قلبي) ■

أي حب هذه الدنيا التي تسب الويلاط والمشاكل !، فكيف لا يصبح الانسان حالياً من روح العداون، طالما ان الطمأنينة والقناعة تملآن كيانه ووجوداته ..؟ فاذا خرج حب الدنيا من قلب البشرية فان فتيل الحرب أيضاً سوف ينزع من القلوب،

و ينزع الناس الى السلام والدعة والانصاف!

### • الثالث: ممارسة دور الشهادة على العالم

ان الدولة الاسلامية القوية المقدرة الممتدة على رقعة الوطن الاسلامي الواسع تستطيع القيام بدور الشاهد على أهل الارض.

\*[وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً]\*  
—١٤٣/البقرة—

فالدولة الاسلامية الكبرى التي نرجو ان تتحقق باذن الله سوف تقف الى جنب المظلوم! وليس مثل مجلس الامن، الذي يصوم صوم الصمت بينما العراق المعذبي يضرب طوال اثنين وعشرين شهراً المدن الآهلة بالسكان وعندما ينسحب العراق تحت وطأة الحرب الاسلامية.. فان الاصوات ترتفع وتعالى الاحتتجاجات...!!، وهذا الذي حصل في مجلس الامن، لن يحدث له مشيل في الدولة الاسلامية او الامة الاسلامية.

فالظالم يجب ان يمنع والمظلوم يجب ان ينصر وان يحمى.

وسوف تكون وصية الامام علي (عليه السلام) لولديه:  
■(كونا للظالم خصمأً وللمظلوم عوناً) ■

شعار المسلمين في الدولة الاسلامية.

# الفهرس

## الفصل الاول:

منطلقات الثورة الاسلامية .....	٧—٢٠
ما هي الثورة؟ .....	٢١—٣٠
الاسلام والارادة الثورية .....	٣١—٤١
برمجة الثورة الاسلامية .....	٤٣—٥٢
النظرية العلمية في الثورة الاسلامية .....	٥٣—٦٢

## الفصل الثاني:

عوامل الثورة الاسلامية .....	٦٥—٧٥
بناء الكوادر في العالم الاسلامي .....	٧٧—٨٦
العوامل المساعدة للثورة .....	٨٧—٩٨
استراتيجية الثورة الاسلامية .....	٩٩—١٠٩

## **الفصل الثالث:**

دور الانسان الرسالي في الثورة الاسلامية .....	١٢١—١١٣
كيف نبني الانسان الرسالي؟ .....	١٣٥—١٢٣
الثورة بين الارادة والظروف .....	١٤٨—١٣٧
الانسان الرسالي بين حب الله وخشيه .....	١٦٣—١٤٩

## **الفصل الرابع:**

التربية الاجتماعية أرضية الثورة .....	١٧٩—١٦٧
السلح بالارادة الذاتية لتركيبة النفس .....	١٩٣—١٨١
اثارة العقل وسيلة التربية .....	٢٠٨—١٩٥
مكونات الشخصية الرسالية .....	٢٢٣—٢٠٩
اليقين سبيل الاستقامة .....	٢٤١—٢٢٥
الحكمة والاجتهاد في شخصية الرسالي .....	٢٥٥—٢٤٣
الثورة الاسلامية وأزمة الحضارة البشرية .....	٢٦٣—٢٥٧

## **الفصل الخامس:**

كيف يعالج الاسلام مشكلة التخلف؟ .....	٢٨٠—٢٦٧
الاستقلال منطلق التقدم الرسالي .....	٢٩٦—٢٨١
برنامج الاسلام للتقدم الحضاري .....	٣٠٩—٢٩٧
الحضارة الاسلامية من أجل الانسان(١) .....	٣١٩—٣١١
الحضارة الاسلامية من أجل الانسان(٢) .....	٣٣٤—٣٢١
كيف يعالج الاسلام مشكلة الحرب؟ .....	٣٤٨—٣٣٥

## أ/ دراسات

الفكر الاسلامي .. مواجهة حضارية.  
المنطق الاسلامي .. اصوله ومناهجه  
الفقه الاسلامي .. الجزء الاول.  
بحوث في القرآن.  
تفسير من هدى القرآن.  
العمل الاسلامي.. منطلقاته واهدافه  
المجتمع الاسلامي ..  
التاريخ الاسلامي.  
البعث الاسلامي. (بين يديك)

## ب/ كتب

الاسلام .. ثورة اقتصادية.  
محمد .. قدوة وأسوة.  
مع الرسل على الطريق الشائق.  
كيف تحيا سعيداً.  
الامام الحسين قدوة وأسوة.  
كيف انطلقت الثورة الاسلامية في ايران ولماذا؟  
عاشوراء .. استمرار لحركة الانبياء.

## ج / كراسات

المرأة في المجتمع الاسلامي.  
حضارة .. بلا مصير.  
حضارة .. في بيت العنكبوت.  
حضارتنا .. في عصر البترول.  
الايمان .. والحضارة.  
حضارتنا .. متى وكيف؟  
الحسين .. ثورة لا تنتهي.  
ثورة الحسين .. دروسها وابعادها.  
الامام الحسين ثورة مستمرة.  
نهضة الامام الحسين(ع).  
الامام الحسين .. قائد المسيرة.  
ابطال وبطولات.  
الفكر لا المدفع.  
رمضان مدرسة الانسان الحكيم والامة الراسدة.  
عاشوراء ملحمة البطولة والقداء.  
البناء الحضاري بين لا ونعم.  
ثورة الامام الحسين تجسيد لرسالة النبي(ص).  
سلسلة رؤى اسلامية في العمل الثوري.



رابط بديل  
[lisanerab.com](http://lisanerab.com)



أ. علاء الدين شوقي

[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)



### الكاتب

- \* ولد سماحة العلامة السيد محمد تقى المدرسي في عام ١٩٤٥ م في كربلاء المقدسة في العراق وتابع دراساته الدينية على أيدى علمائها الكبار.
- \* نقد الثقافة الأوروبية وحدد التغرات الواسعة في جدارها.
- \* عمل على تطوير الحوزات العلمية عن طريق تنظيمها وتحديث برامجها ، وفق الحاجات الراهنة.

### الكتاب

• ما هو الأصلاح؟ ومن هو المصلح؟ وما هي العوامل الرئيسية والمساعدة للأصلاح في العالم الإسلامي؟ وما هي نظره الإسلام في الأصلاح؟ ما هي استراتيجية المسلمين من أجل الوصول إلى الأهداف الإسلامية؟ ما هو برنامج الإسلام من أجل تربية الفرد والمجتمع؟ ما هو برنامج الإسلام من أجل القضاء على التخلف؟ هل يمنع الإسلام وقوع الحروب؟

هذه وغيرها من الأسئلة الخطيرة التي تواجه الأمة الإسلامية اليوم، يجيب عنها كتاب «البعث الإسلامي» الذي يسعى المؤلف عبره إلى إعطاء رؤية متكاملة حول أهم القضايا الإسلامية الراهنة.